

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لَمَّا خَرَجْتَ لَطَبْتُ الْأَضْلَاحَ فِي مَشْرِجِكَ

الْإِضْلَاحُ الْحُسَيْنِيُّ

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنَهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ

تَصَدَّرَ عَنْ

مَوْجِسَتِهِ وَأَرْشَادِ أَوْلِيَاءِهِ الَّذِينَ تَلَقَّوْا الْحَصَصَةَ مِنَ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

فِي الشُّرُوفِ الْفِكْرِيَّةِ وَالنَّقَائِدِ / الْعِنَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْقَائِمِيَّةِ

العدد الرابع والعشرون
السنة السادسة (١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م)

الإصلاح الحسني

مجلة فضلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وافتها الفكرية



الهيئة الاستشارية

آية الله السيد عادل العلوي
آية الله السيد منير الخباز
العلامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقلسي

آية الله الشيخ محمد السيد
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني
آية الله السيد رياض الحكيم

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي



الإصلاح الحسيني

* الإشراف العام:

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

* التنسيق العام:

السيد صالح التنكابني

السيد مالك البطاط

د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

د. مريم هادي الياسري

* إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قرم المقدسة)

* معاونة المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قرم المقدسة)

* رئيس التحرير:

الشيخ صباح عباس الساعدي

* مدير التحرير:

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

* هيئة التحرير:

الشيخ غزوان العتابي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلطان

د. الشيخ رغدان المنصوري

* المقابلة وتقويم النص:

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

* التصميم والإخراج الفني:

السيد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

* معتمد الترجمة الإنجليزية: ...

الشيخ حيدر علي البهادلي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978 ISSN:

هوية المجلة

مجلة فصلية علمية تخصصية تُعنى بالبحوث المتخصصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدسة.

اهتمام المجلة

تهتمُّ المجلة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسلط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلة تتطلع لاستيعاب جميع المجالات المهمة والحساسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمنة لجوانب من الإبداع والحدثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلة

- ١- إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.
- ٢- نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.
- ٣- إحياء التراث الديني والحسيني.
- ٤- فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.
- ٥- الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكرين.
- ٦- استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.
- ٧- فسح المجال أمام الباحثين والمفكرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.
- ٨- التصدي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

ضوابط النشر

- تدعو المجلة العلماء والأساتذة والباحثين وكل من لديه اهتمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتائجهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأمور التالية:
- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص المجلة وأركانها.
 - ألا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلة.
 - أن تكون ضمن المناهج العلميّة المتّبعة.
 - أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
 - أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
 - حقوق النشر محفوظة.
 - الأفكار المطروحة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
 - لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنَشَر.
 - يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
 - إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات المجلة.
 - للمجلة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
 - كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
 - تتّبع المجلة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
 - المجلة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر

- * النجف الأشرف: سوق الحويش - المكتبة العلمية.
- * النجف الأشرف: شارع الرسول ﷺ - مكتبة دار الهلال.
- * النجف الأشرف: سوق الحويش - دار الغدير.
- * كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
- * بغداد: شارع المتنبي - مكتبة العين.
- * البصرة: العشار - مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
- * إيران / قم المقدّسة: شارع معلم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
- * إيران / قم المقدّسة: صفائية - سوق الإمام المهدي عليه السلام - مكتبة فدك.
- * إيران / قم المقدّسة: سوق كذرخان - مكتبة الهاشمي.

المحتويات

كلمة التحرير

كلمة التحرير

رئيس التحرير..... ١٣

كلمة المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة

كلمة المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي..... ٢٣

ملف العصر

المرأة وكربلاء.. قراءات أدبية

العقيلة الهاشمية سيّدة البلاغة الإقناعية

أ. د. عهود عبد الواحد العكيلي..... ٣٥

قبس من القرآن الكريم ونهج البلاغة في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد

د. زهور كاظم زعيميان..... ٨١

المرأة.. الحضور والتفاعل في ديوان الشاعر حيدر الحلّي (دراسة أسلوبية في تحليل الخطاب الشعري)

أ. م. د. أزهار علي ياسين..... ١٠٥

قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيّدة زينب عليها السلام

أ. د. ابتسام السيّد عبد الكريم المدني..... ١٥٩

السيدة زينب عليها السلام في شعر السيد رضا الهندي

م. د. إسراء محمد رضا العكراوي ١٨٥

أساليب الإقناع في خطبة السيدة زينب عليها السلام في الشام .. دراسة تداولية

أ. م. د. سناء هادي عباس ٢١١

وظيفة المثل القرآني في خطبة السيدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة .. دراسة تحليلية

م. د. نور مهدي الساعدي ٢٢٧

بلاغة المرأة في تصوير القضية الحسينية ونشرها للأجيال .. السيدة زينب عليها السلام أنموذجاً

م. د. زهرة حميد عودة ٢٤٥

أثر القرآن الكريم في خطبة السيدة زينب عليها السلام

م. م. إيناس محمد العبادي ٢٥٣

الخطاب التوجيهي في خطبتي السيدة زينب عليها السلام في الكوفة والشام

أ. م. د. آلاء محمد ٢٦٧

صورة نساء الطّف في أشعار الشيخ أحمد الوائلي

أ. م. د. فاطمة أكبري زاده ٢٨٣

قصيدة (على لسان السيدة زينب عليها السلام) للشاعر السيد رضا الموسوي الهندي .. قراءة نصّية

أ. م. د. بشرى ياسين ٣١٧

٣٢٧ خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية

كَلِمَةُ التَّحِيْرِ
ا س ا م ا ح

كلمة التحرير

رئيس التحرير

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على حبيب إله العالمين المبعوث الأمين نبي الرحمة محمد المصطفى، وعلى آله الغرّ الميامين المتجيين. أصبحت مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية واحدة من أهمّ المشاريع العلمية والتخصصية في المجال الحسيني، وقد أنشئت بمباركة مباشرة ورعاية خاصّة من المتويّ الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة، سماحة العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، ممثّل المرجعية العُليا (دام عزّه)؛ إذ كان وما زال مهتمّاً بهذا المشروع المبارك اهتماماً بالغاً، ومطلّعاً على جميع مجريات نشاطاته العلمية ومشاريعه بتام نفاصيلها، فضلاً عن الدعم والاهتمام الفائق من قبل الأمين العام للعتبة الحسينية المقدّسة جناب السيّد جعفر الموسوي (دامت بركاته)، وحرصه على استمرار العطاء العلمي فيها.

وبعد أن قطعت هذه المؤسّسة الفكرية التخصصية ذات الفروع المتعدّدة شوطاً طويلاً في مجالها العلمي والتخصّصي المعنيّ بالنهضة الحسينية المباركة، أخذت تُلقى بظلالها على مساحات واسعة ورحبة في مختلف البلدان الغربية، فضلاً عن الإسلامية والعربية، فوصلت أصداء مشاريعها ونشاطاتها ونتائجها العلمية والفكرية إلى أروقة مختلفة، دينية وأكاديمية، وأخذ صيتها يذيع في محافل علمية كثيرة وكبيرة.

ولعلّ سرّ هذا التطوّر الذي لا يمكن إنكاره - بعد توفيق الله، والمدد الرباني، وانتمائها إلى سيّد الشهداء والأحرار الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، دون أن تنتسب

إلى جهة سياسية أو حزبية ضيقة - هو أن المؤسسة قد أخذت على عاتقها العمل على تأسيس بناءٍ علميٍّ مختصٍّ رصين في كافة أبعاد النهضة الحسينية وآفاقها الواسعة، الفكرية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، ضمن المشاريع والأقسام العلمية والتخصصية المتعددة فيها؛ ما ساعد في انتشارها وبروزها في البلدان على نطاق واسع. ومن بين المشاريع العلمية الضخمة التي عملت عليها مؤسستنا - وذلك في ضوء التوجيهات السديدة لساحة المتولّي الشرعي نحو الاهتمام بواقع المرأة، واحتواء الكوادر النسوية، وتشجيع أعلامها - هو مشروع إنشاء قسم نسوي يهتم بالجانب العلمي والفكري المرتبط بالمرأة، ودورها في واقعة الطف، ضمن المشاريع العلمية الواسعة في المؤسسة، فضلاً عن التنسيق والعلاقات العامة، واستقطاب الأعلام النسوية التي تُسهم بشكل فعّال في توعية المرأة المسلمة خدمةً للمجتمع، فانطلقت مؤسسة وارث الأنبياء بجهد استثنائي حثيث، ومتابعة دؤوبة في هذه المهمة الكبيرة، وأخذت على عاتقها مسؤولية إنشاء وتكوين أسرة علمية عمادها الكادر النسوي التخصصي في شتى المجالات الدينية والإنسانية.

وبعد المداولات والاستشارات المتواصلة مع الكفاءات والنخب العلمية في هذا الجانب، باشر القسم النسوي عمله العلمي التخصصي؛ مسلطاً الضوء على التتجات والأبحاث العلمية المتعلقة بالنهضة الحسينية المباركة، مع التأكيد على الجانب النسوي منها، فقام بالتواصل مع الجهات العلمية المختلفة في داخل العراق وخارجه؛ لتغطية الأقسام والمشاريع العلمية في داخل المؤسسة.

ومن بين الخطط الاستراتيجية التي أسهمت في إنجاح هذا القسم بشكل ملفت، أنّ كادره النسوي في المؤسسة لم يقتصر على الملاك التوظيفي الذي يتمّ اعتماده في أغلب المؤسسات العلمية، وإنما تمّ العمل على تشكيل أسرة واسعة النطاق تعمل مع مؤسسة وارث الأنبياء كخلية نحل واحدة، هدفها الأساسي إنجاح المشروع النسوي فيها، والنهوض بالواقع العلمي لدى المرأة.

نشاطات القسم النسوي

من النقاط التي تجدر الإشارة إليها وتسلط الضوء عليها هو الحديث عن الإنجازات والنشاطات التي قام بها القسم النسوي خلال هذه الفترة القياسية من عمره في المؤسسة:

١- إعداد الندوات والمؤتمرات والعمل على إقامتها، سواء أكانت بأقلام وكوادر نسوية مستقلة، أم بنحو الاشتراك مع الكتاب والباحثين من الأساتذة في مجالات تخصّصهم. وقد قمنا إلى الآن بعقد مجموعة من النشاطات العلمية بواسطة إقامة الندوات أو الملتقيات والمؤتمرات، من جملتها: المؤتمر العلمي النسوي الدولي حول المرأة في كربلاء، وقد أعطى ثماره على صُعد مختلفة، علمية وفكرية وإعلامية، ومن أهمّ ثماره العلمية ما هو ماثل بين يدي القارئ الكريم من بحوث محكمة ورسينة تصبّ في خدمة المجتمع ورفد الساحة الفكرية.

٢- استقطاب البحوث والنتائج العلمية الرصينة التي تُكتب بأقلام نسوية، سواء أكانت في مجال المرأة في كربلاء، أم ما كان أعمّ من ذلك ممّا يرتبط بالنهضة الحسينية المباركة؛ لیتّم نشرها في المجالات التخصصية وبقية الموسوعات الأخرى التي يجري العمل عليها في داخل المؤسسة المباركة.

٣- إعداد عناوين حسينية تخصّصية تصلح أن تكون رسائل وأطاريح جامعية، تتضمّن الخطة التفصيلية بما في ذلك الفصول والهيكلية العامّة لها؛ لكي تُقدّم إلى قسم الرسائل والأطاريح العلمية في المؤسسة.

٤- العمل على المتابعة الميدانية للنتائج الحسينية التي كُتبت بأقلام نسوية وبلغات أخرى؛ لكي تُترجم بعد ذلك من قبل قسم الترجمة في المؤسسة، أو يوكل ذلك إلى من لديهم القدرة على الترجمة.

٥- الانفتاح الواسع على الكفاءات العلمية في المؤسسات الدينية النسوية والجامعات الأكاديمية، داخل العراق وخارجه؛ لغرض توسعة نطاق التبادل العلمي والاستفادة من الخبرات والكوادر الأكاديمية والحوزوية؛ لإثراء الجانب العلمي وتطويره، وترويج الفكر النهضوي الحسيني على مستوى المرأة المسلمة.

مؤتمر المرأة في كربلاء

أمّا فيما يرتبط بهذا المؤتمر المبارك فهو عبارة عن تطلّعات وطموح حملته الإخوة القائمون على مؤسّسة وارث الأنبياء، فرأوا أنّه قد حان وقت تحقيقه، فعقدوا الاجتماعات المتكرّرة والجلسات التداولية المكثّفة مع الكادر النسوي في المؤسّسة؛ بغية الخروج بخطة استراتيجية تُسهم في إنجاحه وتألّقه في مجاله.

وبعد نضوج الفكرة وبلورة الرّؤى حوله بشكل واضح وقع الاختيار على أن يكون العمل بالاشتراك مع بعض الأقسام العلمية في العتبة العبّاسية المقدّسة، فتمّ التواصل معها والتداول حول إمكانية إقامة عمل علمي نسوي يفسح المجال أمام المرأة؛ ليأخذ قلمها دوره الحقيقي في إثراء الساحة الفكرية، ومعالجة الشبهات المثارة حول شخصيتها في الماضي والحاضر، وتقديم مثال واضح لدورها في خدمة العلم والفكر، والنهوض بواقع المرأة المعاصرة. وقد رحّبت تلك الأقسام بهذه المبادرة، ولسنا منها الحرص والجدّ الكبيرين لإنجاح مشاريع من هذا القبيل، وبدأنا العمل الدؤوب على كتابة الجوانب العلمية والتحضيرية والفنية للمؤتمر وبكافة مفاصله.

وبناءً على ذلك؛ جاء تأكيد مجلس الإدارة الموقر في مؤسّسة وارث الأنبياء والإخوة القائمين على المؤتمر، على ضرورة الحضور العلمي المميّز والملفت للطاقت النسوية من الجامعات والحوزات والمؤسّسات العلمية، فضلاً عن الشّعب النسوية في العتبات المقدّسة؛ ليعطي هذا المؤتمر ثماره، ويتناسب مع الجهود المبذولة من قبل الجهات القائمة عليه.

ومن هذا المنطلق؛ أُقيمت الورشات العلمية التحضيرية التي تُسهم في إنجاح هذا النشاط العلمي المبارك؛ للأخذ بوجهات النظر القيّمة والمقترحات البناءة من قِبل الأخوات الفاضلات من داخل المؤسسة وخارجها.

وقد سار العمل التحضيري لهذا المؤتمر بأنّهم وأفضل ما يمكن؛ ونتج عن ذلك إقبال منقطع النظير من قِبل الباحثات والكاتبات بأقلام أثرت الجانب العلمي التخصّصي في النهضة الحسينية في المجال النسوي بوجه التحديد، فقد وصلنا من البحوث وأوراق العمل ما يربو على مائة عنوان، وكانت حصيلة المقبول منها نسبة كبيرة من البحوث الرصينة والنافعة، وقد تجسّدت مجموعة من البحوث في هذا العدد من مجلّة الإصلاح الحسيني المائل بين يدي القارئ الكريم، وقد قمنا بطباعتها ونشرها تعميماً للفائدة، ضمن عنوان (المرأة وكرهلاء.. قراءات أدبية).

الثمار المترتبة على هذا المؤتمر

إنّ الاهتمام بالنتاجات النسوية، والإثراء الفكري والعلمي للمرأة، والارتقاء بواقعها في المجال الحسيني، والتأكيد البالغ الذي لمسناه من سماحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية (دام عزّه) على إنجاح مثل هذه المشاريع.. كان وما زال من أهمّ تطلّعات علمائنا الأعلام في الماضي والحاضر، فحينما قمنا بعرض هذا المشروع المبارك على بعض أساتذتنا الأجلّاء لمسنا التأكيد على ضرورة إقامته، مشدّدين على أنّ العمل سيكون ناجحاً ومثمراً في الساحة العلمية.

وبعد أن باشرنا العمل لمسنا النتائج التي فاقت التوقّعات والتطلّعات التي كنّا نحملها، ولكي لا يطول الحديث في هذه الكلمة التي يُفترض لها الاختصار؛ نذكر بعض الثمار:

١- الانفتاح والتعرّف على الواقع العلمي والفكري لدى الكفاءات النسوية، وطريقة تفكيرها تجاه النهضة الحسينية ودور المرأة فيها.

٢- اكتشاف أقلام نسوية فتيّة لم تعرّف عليها من قبل؛ إذ حصلنا على مجموعة من البحوث التي نالت استحسان اللجنة العلمية في المؤتمر لبعض الأقلام الواعدة للأخوات الكرييات.

٣- رقد مشاريعنا العلمية في المؤسسة بنمط جديد من النتائج التي اختلفت عن سابقتها موضوعاً وكتابةً؛ إذ إنّ بحوث هذا المؤتمر امتازت بكون موضوعها يرتبط بالمرأة في كربلاء، وبكونها ذات أقلام نسوية محضّة. وقد أسهمت هذه النتائج في إثراء مجموعة من المشاريع العلمية في المؤسسة: كمشروع المؤتمرات، ومشروع مجلّة الإصلاح الحسيني، وغيرهما من المشاريع التي استثمرت الأقلام النسوية التي تعرّفنا عليها من خلال هذا النشاط المتألّق.

٤- البرهنة على قدرة المرأة المسلمة واستعدادها لإقامة نشاطات ومشاريع واسعة النطاق علمية وفكرية وثقافية، وأنّ التزامها بالتكاليف الدينية وواجباتها الشرعية لا يقف عائقاً أمام أداء مهامها الإصلاحية والفكرية في المجتمع.

وفي الحقيقة، فإنّ هذه الثمار المهمّة والنتائج الإيجابية قد نادى بتحقيقها والعمل عليها بعض علمائنا الماضين، واعتبرها من التطلّعات المهمّة التي يتحمّم على المهتمّين بهذا الشأن تحقيقها؛ إذ قال آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين عليه السلام في كتابه (واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي): «... في نطاق هذا الفهم نتطلّع إلى الأمور التالية: ... أن يظهر دور المرأة في كربلاء بصورة أجلى ممّا يحدث الآن... ونحن ندرك أنّ مادّة الحديث عن المرأة في كربلاء تحتاج إلى أبحاث تاريخية واسعة النطاق لم تُبذل حتّى الآن، تجمع كلّ الأخبار المتعلّقة بهذا الموضوع وبغيره من شؤون المآتم الحسيني، وهو بحثٌ كان يجب أن يكون قد أنجز منذ قرون بالنسبة إلى مؤسّسة بلغت من العمر ثلاثة عشر قرناً، وإذا لم يكن قد أنجز في الماضي فيجب أن يُنجز الآن بجهود المهتمّين بشؤون المآتم الحسيني من الباحثين...»^(١).

(١) شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص ٤٣٣.

ولا نريد الحديث عن المداليل المهمّة التي تضمّنها هذا النص الذي عملت مؤسّسة وارث الأنبياء على تحقيق جزءٍ كبيرٍ من أهدافه في هذا المؤتمر، وإنّما جئنا به كنموذج لصيحات علمائنا الأعلام التي يراد منها بيان أهمّية مشروع كهذا، واهتمامهم وتأكيدهم البالغ على إبراز الدور الفاعل للمرأة في كربلاء.

شكروثناء

وفي الختام أتقدّم بكلمات عطرة إلى كلّ من:

١- المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزّه)؛ للرعاية الأبوية، والدعم المتواصل لكافة مشاريعنا، وبالأخصّ ما يرتبط بمؤتمرنا هذا، وفي جميع مراحلها ومفاصله، خصوصاً المبادرة المباركة من قبل سماحته بإقامة أمسية قيّمة على هامش المؤتمر، ثمّن من خلالها الجهود المتواصلة، وأثنى على ما قامت به المؤسّسة والكادر النسوي فيها، وأشاد بالنتائج التي قدّمت من قبل الباحثات من مختلف البلدان العربية والإسلامية؛ إذ ما زلنا نعيش تلك اللحظات النورانية التي سنّف فيها أسماءنا بكلمته المباركة التي قمنا بنشرها في مطلع هذا العدد من المجلّة؛ بغية الاستفادة من النكات المهمّة والقيمة فيها.

٢- الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدّسة؛ على الدعم والمتابعة لكافة مشاريعنا، وبخاصّة المؤتمر النسوي العلمي الدولي.

٣- جميع أقسام العتبة الحسينية المقدّسة التي غمرتنا بطيب التعامل ودماثة الأخلاق طيلة هذه الأيام التي تواصلنا معها فيها، وأخصّ بالذكر قسم الشؤون الفكرية، وقسم العلاقات العامّة، والعلاقات النسوية، وقسم الآليات، وقسم التشرّيفات، وقناة كربلاء الفضائية، وإذاعة الروضة الحسينية، وغيرها من الأقسام التي ذلّت لنا المصاعب، وهيأت لنا كافة المستلزمات لإنجاح المؤتمر، كما أبعث رسالة امتنان إلى الإخوة القائمين على قاعة سيّد الأوصياء عليه السلام، وخاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله، ومجمع سيّد

الشهداء عليه السلام، ومدينة الزائرين (مجمع سيّد الأوصياء عليه السلام)؛ لاستضافتهم المتميّزة للأُسية التي أُقيمت في أروقتها المباركة.

٤- الأخوات الفاضلات المشاركات في المؤتمر؛ على مواكبتهن لوقائع المؤتمر طيلة أيام انعقاده.

٥- الأخوات الباحثات؛ على الجهود القيّمة التي أسهمت في إبراز الجوانب الفكرية والعلمية لدى المرأة في الماضي والحاضر؛ ما يجعلنا نفخر ونعتزّ بواقعنا العلمي وطاقاتنا النسوية الرائدة.

٦- العتبة العبّاسية المقدّسة، بدءاً من المتوّلي الشرعي سماحة السيّد أحمد الصافي (دامت بركاته)، والأمين العام للعتبة العبّاسية المقدّسة، وسائر أقسامها الموقّرة، وأخصّ بالذكر قسم الشؤون الفكرية والثقافية وتحديدًا شعبة المكتبة النسوية، على جهودهم المتميّزة، ورعايتهم لهذا المؤتمر المبارك.

٧- العتبة العلوية المقدّسة، وتحديدًا الكوادر النسوية فيها، على الجهود المباركة التي تقدّمت بها، والتفاني والإخلاص؛ خدمةً لسيّد الشهداء عليه السلام، ودعمًا لكافة نشاطاتنا العلمية، خصوصاً المؤتمر العلمي.

٨ - وفي نهاية هذه المحطّة أقدمُ شكري وامتناني اللامتناهين للكادر النسوي في مؤسسة وارث الأنبياء؛ على الجهود الاستثنائية والمضنية التي بذلتها الأخوات من أجل إنجاح هذا المؤتمر، والحقّ يقال: إنّ سرّ نجاح هذا المؤتمر المبارك مرهون بالهمة والجدّ والتفاني الذي تحلّت به الأخوات في مؤسسة وارث الأنبياء، والتحمّل والصبر المطلوب في إقامة نشاطات ضخمة كهذا المؤتمر الدولي الفريد من نوعه.

وأخيراً، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل نافعاً في مجاله؛ لنكون ممّن قد قدّم شيئاً مفيداً في الساحة الفكرية الحسينية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

كَلِمَاتُ الْمَوْتَى الشَّرِيفَاتُ

لِلْعَبْدَةِ الْحَسَنِيَّةِ الْبَقِيَّةِ

كلمة المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة^(١)

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على نبينا أبي القاسم محمد، وآل بيته الطيبين الطاهرين. السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

الإخوة الأعزّاء أصحاب الفضيلة العلمية، والأخوات الباحثات، والأستاذات الكريهات.. السلام عليكم جميعاً ورحمة الله تعالى وبركاته.

[شكر وثناء]

بدءاً، أودُّ أن أتقدّم لكم بالتهنئة بمناسبة تسلّم الإمام الحجّة عليه السلام لمهام الإمامة المهديوية، وأيضاً أتقدّم بوافر الشكر والثناء والتقدير إلى الإخوة الأعزّاء والأخوات الكريهات في مؤسّسة وارث الأنبياء، وكذلك الشكر والتقدير للأخوات في شعبة المكتبة النسوية في العتبة العباسية المقدّسة، ولنا شكر خاص وامتنان وافر للأخوات الباحثات اللاتي أتحنن هذا المؤتمر بالبحوث القيّمة.

في الواقع، حينما اطّلت على الكثير من العناوين خرجت بمحصّلة تدعو إلى الاطمئنان والأمل في دوام المسيرة الزينية على مستوى حفظ الإسلام وحفظ قيم

(١) أُلقيت هذه الكلمة في الأمسية التي أُقيمت في رحاب المؤتمر العلمي التّسوي الدولي الذي عُقد بتاريخ (٢٨-٢٩/١١/٢٠١٧)، بالاشتراك مع شعبة المكتبة التّسوية/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة العباسية المقدّسة.

النهضة الحسينية، فهذا المؤتمر وهذه المشاركة الدولية للكثير من الأخوات الباحثات الزينيات تبعث اعتزازاً وفخراً من حيث تغذية واقع المرأة بهذه الإثرائية للفكر الزيني، خصوصاً أنّ الأخوات كتبنَ عناوين مختلفة ومتعدّدة، منها ما يرتبط بالماضي والحاضر، ومنها ما يرتبط بتحدّيات المرأة الزينية، ومنها ما يرتبط باحتياجات الفترة الحاضرة التي نمرّ بها.

[دور المرأة في تحويل الإثراء الفكري إلى واقع عملي]

إنّ بحوث الأخوات في المؤتمر النسوي حملت ثراءً فكرياً، يعكس العمق الفكري والتحليل الدقيق والاستنتاجات الغنية التي خرجت بها الباحثات في مختلف المجالات والاختصاصات، وستحقّق الفائدة والغاية المرجوة منها إذا ما حوّل ذلك الجانب النظري إلى الميدان العملي، فنحن في الوقت الحاضر بحاجة إلى إكمال مسيرة هذه البحوث المعرفية التي أثّرت الفكر الزيني، بالنزول الميداني للمرأة، خصوصاً في المواسم المليونية التي لم نشهد لها مثيلاً في سابق الأزمنة أبداً.

أفترحُ على الأخوات - من خلال تجربتنا التي خضناها خلال السنين الماضية في إدارة العتبات المقدّسة، وفي مجال التبليغ والمهام الأخرى، خصوصاً مع توفّر الفرص في المجالات التي سوف أذكرها - أن يكون الاهتمام بالجانب التبليغي له أهمّية قصوى في عمل الأخوات الباحثات، خاصّة الأكاديميات والحوزويات، فنحن بحاجة إلى ذلك الإثراء الفكري، بأن يكون هناك نزول ميداني للمرأة، من خلال:

- 1- استثمار التجمّعات المليونية في زيارة الأربعين، والنصف من شعبان؛ إذ من المعلوم أن ليس هناك حضور مليوني مائل لهذا العدد في العالم.
- 2- التنسيق مع الجهات المعنية في العتبات المقدّسة وأصحاب المواكب الحسينية؛ للتثقيف والتوعية الفكرية والممارسة العملية، حتّى في محيط الأسرة.

أخواتي، في السنوات الأخيرة حينما بدأت هذه الأعداد تتزايد يوماً بعد يوم، كان

هناك حضور للإخوة من فضلاء وطلبة الحوزة العلمية في موسم الأربعين، وكان هناك تواجد مكثف ومحطات للتبليغ في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية والمعرفة العقديّة والفقهية والأخلاقية، هذا التواجد في الواقع تُوفّر لنا هذه الفرصة، ولا يتوفّر ذلك الحضور في أشهر أخرى.

نأمل من المرأة أيضاً أن تحوّل هذا الإثراء الفكري إلى واقع عملي لديها، خاصّة ونحن لدينا مجموعة مباركة من الأخوات ذوات التفكير العميق والتحليل الدقيق للنهضة الحسينية، وما رافقها من المسيرة الزينية.

[الحضور الواعي للمرأة في التجمّعات النسوية]

تلاحظون الآن إذا أحصينا عدد الذين يحضرون في زيارة الأربعين فحسب، فإنّ الأعداد التي ذُكرت في هذه السنة بين ثلاثة عشر إلى أربعة عشر مليوناً تقريباً، فهناك خمسة إلى ستّة ملايين من النساء الزينيات اللواتي حضرن في هذا الموسم فيما لو كان عدد الحاضرات أقلّ من النصف، ومن المعلوم أنّ هذا العدد لا يمكن أن يتوفّر على مدار شهور السنة المتبقّية، وبالتالي هناك فرصة لإيصال صوت التبليغ الديني الواعي الذي تتعدّد آلياته، والتي منها:

١- ما يكون من خلال اللقاء المباشر.

٢- ما يكون من خلال التثقيف والانفتاح على المجتمع النسوي في مختلف المجالات التي تحتاج إليها المرأة.

٣- الأجوبة عن الأسئلة الفقهية الخاصّة بالنساء.

٤- تعليم النساء كيفية حلّ المشاكل التي تمرّ بها النسوة الزينيات.

ولا يتوقّف التبليغ النسوي في ميدان زيارة الأربعين وتجمّعاته فحسب، بل هناك موارد كثيرة تتجمّع فيها النسوة، كصلاة الجماعة التي تُعطي انطباعاً لأتباع أهل البيت عليهم السلام بمدى اهتمامهم بالصلاة وأدائها في أوّل وقتها، بل حتّى في زيارة الأربعين

هناك صلاة جماعة تُقام خلال المسير على المداخل الثلاث (النجف وبابل وبغداد)، يمكن استثمارها في عملية التبليغ الفقهي للنساء.

ولا يتوقف دور المرأة المثقفة والباحثة الواعية على ذلك، بل يتعداه إلى حاجتنا إلى نزول الأخوات الباحثات الكريبات إلى الميدان، وممارسة حضورهنّ الواعي من خلال ما يأتي:

أولاً: الانفتاح على مجتمع المرأة الموظفة، والأستاذة الجامعية، والمهندسة والطبيبة، والمدرسة والمعلمة، والطالبة، وربّة البيت، خصوصاً أن بعض الأخوات لا يمتلكن المستوى الفكري والثقافي الكافي لمواجهة مصاعب الحياة، ويفتقرن إلى ذلك الرصيد المعرفي المتوافر لدى الأخوات الباحثات؛ ممّا يستدعي بذل جهد أكبر في التبليغ وإيصال الرسالة الزينية إلى المجتمع النسوي بجميع شرائحه وفئاته.

ثانياً: تقديم نماذج تجسّد الدور الزيني في معركة الحقّ ضدّ الباطل، وهنا لا بدّ من الالتفات إلى هذه النقطة، وضرورة الاهتمام بها، فحينما نقرأ عن نماذج المرأة في معركة الطف، نتصوّر أنّ ذلك التجسيد لتلك الشخصيات اقتصر على تلك الحقبة الزمنية في عام (٦١هـ) وما قبله وما بعده، إذ جسّدت تلك النماذج أسمى القيم، ووصلت إلى المرتبة العليا في تجسيدها، وكثيراً ما نتصوّر أنّنا نفتقر إلى نماذج تجسّد تلك المبادئ عند النسوة في بقية الأزمنة، وإذا بنا إخوتي وأخواتي نجد كمّاً وافراً من تلك النماذج التي أعادت تجسيد دور واقعة الطف.

وهنا أتمنّى على الأخوات أن يقرأن قصص النسوة من أمّهات وزوجات شهداء المعركة الحالية، هذه المعركة التي نخوض غمارها ضدّ عصابات (داعش)؛ إذ أعادت هذه المعركة صور واقعة الطف تماماً، ولعلّه حينها نرى الآن طبيعة الصراع الفكري فيها، وطبيعة المبادئ التي تجسّدت في كلّ صف من الصفين المتحارين، نجد أنّها نموذج مقرب لما حصل في واقعة الطف، ونموذج المرأة التي كانت في تلك المعركة نشهده يتكرّر الآن في هذه المعركة، ولعلّ بعضهم لم يطلع على القصص التي كُتبت

عن عوائل الشهداء، ولو اطلعتم فستجدون تلك الأمّ التي كانت في معركة الطف تدفع ابنها وتحرّضه على القتال، وتلك الأمّ التي كانت لا تبالي عندما يسقط أربعة من أبنائها في المعركة، وعندما تدفع الابن الخامس نجده يلبي النداء لهذه المعركة، وتلك الزوجة الصابرة التي تحث زوجها على القتال، وتحمل مسؤولية الأمّ والأب، وغيرها من المسؤوليات بعد فراق الزوج.

تلك النماذج السابقة التي قرأنا عنها في واقعة الطف تكررت اليوم في معركتنا ضدّ (داعش)، ومهمّتنا أن نُبرز نموذج المرأة التي تجسّدت فيها تلك المبادئ في الوقت الحاضر، فحينما نستذكر نموذجاً من نساء الطف ربّما يؤثر فينا تأثيراً عابراً، ولكن حينما نستذكر النموذج المعاصر من نساءنا: أمّهات وزوجات وأخوات الشهداء، سيكون التأثير أشدّ من جهتين:

الأولى: أنّ التأسّي والافتداء بنساء واقعة الطف انتقل من كونه اقتداءً نظرياً إلى الاقتداء العملي، وهو أمرٌ نادر التحقّق، ولكن عوائل شهدائنا قد حقّقته بجدارة.

الثانية: إعطاء نموذج معاصر للمرأة المضحيّة والمجاهدة والمدافعة عن حرّمات الدين، يمكن للنساء أن يقتدين به في المستقبل.

ولا يخفى أخواتي أنّنا نقف إجلالاً وتعظيماً حينما نجد الأمّ التي قدّمت أربعة من الشهداء في واقعة الطف حاضرةً في معركتنا اليوم ضدّ عصابات (داعش)، فكثير من الأمّهات قدّمن أربعة شهداء وثلاثة شهداء، وبالرغم من شدّة الألم والمصاب نجهنّ في أعلى مراتب الصبر والاندفاع، والاستعداد لتقديم الشهيد الرابع والخامس وهكذا.

هذا النموذج نحتاج أن نُقدّمه ونُظهره للعالم؛ لكي يخلّده التاريخ كما خلّد نماذج الزينيات السابقات، خاصّة وأنّ معركتنا ضدّ عصابات (داعش) أفرزت كثيراً من النساء اللاتي يُحسبن بحقّ نموذج المرأة الزينية، بحثّ الزوجة لزوجها على الجهاد، وصبرها على فراقه، وحثّ الأمّ ابنها على القتال.

لاحظن أخواتي، أن هؤلاء نسوة بسيطات في ثقافتهن وموقعهن الاجتماعي، ولكن جسدن نموذجاً صالحاً؛ لهذا نحتاج إلى إبرازه اليوم.

ثالثاً: الانفتاح على أصحاب المذاهب الأخرى، وهو أمر مهم نشهده أثناء التواجد المليوني في زيارة الأربعين وغيرها، فما عشناه من معركة، والأوضاع التي مرّ بها العراق خلال هذه السنين، والتي أرادت أن يدخل البلد في معترك الفتنة الطائفية، يتطلّب منا العمل على نشر ثقافة التعايش الاجتماعي وفق مبادئ مدرسة أهل البيت عليه السلام، وهذا يحتاج إلى انفتاح النسوة من أتباع مذهب أهل البيت عليه السلام على النسوة من أتباع المذاهب الأخرى، خصوصاً في العراق والعالم الإسلامي، والانفتاح على أصحاب الديانات الأخرى في بقية دول العالم، خصوصاً في المجتمعات الأوروبية والشرقية؛ لكي نعرّف العالم بمبادئ الثورة الحسينية.

في الحقيقة، لم نشهد عصرًا تعرّف فيه العالم على الثورة الحسينية مثل هذا العصر؛ لأسباب عدّة، أرجو الالتفات إلى تلك الأسباب، منها:

١- ما يحتلّه أتباع أهل البيت عليه السلام من موقع ثقافي قيمّي وسياسي وتربوي في منظومة القيم الإنسانية، وانتشار تلك القيم في مختلف بقاع الأرض.

٢- التجسيد القوي والصامد لهذه القيم في زماننا، وفي مناطق مهمّة في العالم عموماً، وفي منطقتنا على وجه الخصوص، فقد كان له دور مهمّ في وصول تلك المبادئ إلى هذا الموقع العالمي.

لذلك؛ نحن بحاجة إلى الانفتاح والتحرّر من الانغلاق الفكري؛ لتعريف نساء العالم الغربي والشرقي بهذه القيم، ونذكر مثلاً لذلك في زيارة الأربعين:

أخواتي، حينما نجد كثيراً من الرجال قدّموا من دول العالم إلى العراق، وشهدوا هذه الزيارة، واطّلعوا على مبادئ وقيمهم بحاجة إليها، ولم يجدوها في الغرب أو الشرق، ولم يجدوها لا في عالم الثقافة والفكر، ولا التجسيد والتطبيق، فإن ذلك يؤدّي على الأقلّ إلى التعريف بهذه المبادئ والقيم، والتعريف بها يُعزّز مكانة وموقع

أتباع أهل البيت عليهم السلام في المجتمع الدولي، ويُعطيهم قوّة لدى ذلك العالم؛ وبالتالي هناك الكثير من الإيجابيات التي تحصل وتتحقق من خلال ذلك الانفتاح والتجسيد العملي لمبادئ وقيم الثورة الحسينية.

فعندما تتعرّف المرأة في العالم الغربي على كثير من المبادئ والقيم التي افتقدتها، وتجدها متجسّدة هنا لدى النساء في زيارة الأربعين، فسيكون ذلك بمثابة جذب وتعريف وقوّة لهذه المبادئ لدى الآخر.

رابعاً: تشخيص الحلقة الأقوى في التأثير، وهيئة الإمكانات لها؛ إذ علينا أن نبحث في قضية الاستجابة العظيمة في العراق لفتوى الجهاد الكفائي، والسرّ الكامن فيها، فطوال أربع سنوات من القتال، وكثير من الشهداء والجرحى سقطوا، وهم في الأغلب من طبقات فقيرة، وكثير منهم من عوائل شديدة الفقر، نجد صموداً وصبراً على مدار تلك السنوات التي سبقتها تفجيرات راح ضحيتها كثير من الشهداء والجرحى، وأنتجت لنا كثيراً من الأرمال والأيتام، ومع ذلك فإنّ هناك صموداً وثباتاً وصبراً على تحمّل نتائج هذه المعركة.

إنّ من الأسباب المهمّة التي أدّت إلى هذه النتائج وتلك الاستجابة هو دور المنبر الحسيني؛ لما له من تأثير كبير في نفوس الناس؛ وعليه لا بدّ أن نقوّي دعائم المنبر الزينبي، فكما أنّ هناك خطباء من الرجال لهم مستوى عالٍ من الثقافة الحسينية والقدرة على مخاطبة المجتمع بصورة عامّة، نحتاج أيضاً إلى مبلّغات وخطيبات زينبيات لهنّ القدرة على أن يخاطبن النساء من خلال المنبر.

أخواتي، هناك نقطة مهمّة تستدعي الالتفات إليها، وهي: أنّ المبلّغ تارة يبلغ مبادئ وقيماً، لكنه لا ينطلق من المنبر الحسيني، وهناك مبلّغ يجلس على منبر حسيني، ويكون المنبر في ذاته - من حيث انتسابه إلى الإمام الحسين عليه السلام - سبباً للتأثير العظيم. حينما يكون لدينا منبر فاطمي ومنبر زينبي، فهذا المنبر يُنسب إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، وارتباط المنبر بفاطمة وزينب عليهما السلام يُعطيه تأثيراً عظيماً في النفوس؛ لذلك نحن

بحاجة إلى أن يكون لدينا تأثير من المبلّغات والخطيبات الزينيات اللاتي يمتلكن ثقافة ومبادئ ومستوى من الطرح الذي يناسب حاجة المجتمع النسوي؛ من هنا جاءت أهمية تطوير وإعداد ذلك المنبر بمجموعة كبيرة من المبلّغات والخطيبات الزينيات اللاتي يمتلكن ثقافة ومعرفة وقدرة على التأثير في المجتمع النسوي وكيفية مخاطبته.

خامساً: التوعية الثقافية والدينية لدى المرأة، وتوعية شريحة النساء في مجال التعليم الديني والحوزوي والتبليغ، فهناك اهتمام بالجانب الأكاديمي في العلوم الأكاديمية لا بدّ أن يوازيه مقدار من الشعور بأهمية الدين والحوزة، بأن يكون هناك توجه بعدد كبير من الشريحة النسوية نحو هذه الدراسة، فكما أنّ العائلة تتمنّى أن تكون ابنتها طيبة وصيدلانية، علينا أيضاً أن نتوجّه إلى حاجة المجتمع النسوي إلى أن تكون هناك خطيبة ومبلّغة وباحثة وأستاذة في الجانب الفقهي والعقائدي والأخلاقي؛ حتى تستطيع تلك الشريحة أن تقود المجتمع.

نحن بحاجة إلى التوجّه إلى هذه الدراسة التي تعتمد على مجموعة من المبادئ التي من جملتها المنزلة الاجتماعية للمبلّغة ومكانتها، إذ علينا أن نُعطي للمبلّغة والخطيبة الزينية منزلة اجتماعية وإجلالاً وتقديراً، مثلما نُعطي تلك المنزلة للطبيبة والمهندسة، فهذا أيضاً فيه دفع وجذب نحو اهتمام المرأة بهذه الثقافة، والتوجّه نحو معرفة أسرار الإعلام الزيني.

أخواتي، نلاحظ أحياناً خطبة بسيطة تبقى مؤثرة في المجتمعات آلاف السنين، كما هو الحال مع خطبة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وخطبة السيّدة زينب عليها السلام، فعلى أن نعرف ما هو السرّ في خلود الإعلام الزيني الذي امتدّ عبر القرون، وما زال مؤثراً في الوقت الحاضر.

نحن نقترح على الإخوة والأخوات أن يكون هناك معهد للتبليغ النسوي يحمل اسم (معهد الإعلام الزيني)، يُعنى بمعرفة كيفية مخاطبة المرأة، سواء في داخل

العراق أو خارجه من بقية المجتمعات، وكيفية توظيف الخطاب الزينبي؛ لتكون لدينا القدرة الإعلامية على أن نخاطب المجتمع النسوي، وهذا يحتاج إلى شيء من التخصص في دراسة الإعلام الزينبي.

نأمل - إن شاء الله - أن يكون هناك مثل هذه المعاهد، ونأمل أيضاً من الأخوات أن تكون هنّ مشاركات في دول أخرى، كباكستان وتركيا ودول أوربية وآسيوية، فإنّ هناك إرادة لأن نفتح على دول العالم، بحمد الله - في وقتنا الحاضر - هناك مشاركات من بلدان إسلامية كإيران ولبنان والبحرين ودول أخرى، لكن نأمل أن يكون هناك انفتاح أيضاً على دول إسلامية أخرى ودول العالم الغربي والشرقي؛ لكي نُعرّف هذه الثورة الحسينية، ويكون هناك تجسيد في الواقع على هذه العوالم.

جزاكم الله تعالى خيراً على هذا المؤتمر، وشكرنا وتقديرنا لجميع الإخوة والأخوات الذين ساهموا في هذا المؤتمر النسوي، وهو موضع اعتزاز وفخر لدينا، ومن دواعي السعادة أن نجد مثل هذا النشاط، الذي نأمل أن يكون في السنوات القادمة أوسع وأكبر إن شاء الله تعالى، وشكرنا وتقديرنا للجميع، ونسأل الله القبول والتوفيق، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وأهل بيته الطيّبين الطاهرين.

مَلَفُ العَدَدِ

المرأة والكربلاء .. قراءة أدبية

◆ العقيلة الهاشمية سيدة البلاغة الإقناعية

◆ قبس من القرآن الكريم و نهج البلاغة في خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد

◆ المرأة .. الحضور والتفاعل في ديوان الشاعر حيدر الحلبي (دراسة أسلوبية في تحليل الخطاب الشعري)

◆ قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام

◆ السيدة زينب عليها السلام في شعر السيد رضا الهندي

◆ أساليب الإقناع في خطبة السيدة زينب عليها السلام في الشام .. دراسة تداولية

◆ وظيفة المثل القرآني في خطبة السيدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة .. دراسة تحليلية

◆ بلاغة المرأة في تصوير القضية الحسينية ونشرها للأجيال .. السيدة زينب عليها السلام أنموذجاً

◆ أثر القرآن الكريم في خطبة السيدة زينب عليها السلام

◆ الخطاب التوجيهي في خطبتي السيدة زينب عليها السلام في الكوفة والشام

◆ صورة نساء الطف في أشعار الشيخ أحمد الوائلي

◆ قصيدة (على لسان السيدة زينب عليها السلام) للشاعر السيد رضا الموسوي الهندي .. قراءة نصية

العقيلة الهاشمية سيّدة البلاغة الإقناعية

أ.د. عهود عبد الواحد العكيلي*

المقدمة

ليس غريباً على بيت شريف أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً أن يكون أهله - رجالاً ونساء - آيات للعالمين بالاصطفاء الإلهي، ولا ريب في ذلك، فقد أُعدُّوا لأداء المهام الرسالية لإصلاح البشر مهما غلت التضحيات، وأدركوا عظم الأمانة التي يحملونها، والمسؤولية التي يتبوؤونها، فأجادوا في أدائها، واستطاعوا مواجهة التحديات بعزيمة راسخة وعقول راجحة.

ولقد أحنفنا هذا البيت الكريم بامرأة كلّمها عركتها الأحداث الجسيمة ازدادت من الله قرباً، وبه يقيناً، وما ذلك عليها بغريب، فلقد أُوتيت شخصية صلبة منطوقة، فسلكت في الدعوة إلى الله وإحقاق الحق السبيل القويم لجدها المصطفى ﷺ، وأبيها المرتضى عليه السلام، وأمّها الحوراء الأنسية عليها السلام، وأخويها سيّدي شباب أهل الجنة عليهما السلام، وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب، وتمكّنت من فنون اللّغة العربية بما أهر السامعين، واستطاعت أن تكشف من خلالها زيف الأعداء، مع جمال في الصبر والرضا بالقضاء، وقدرة مذهلة في احتمال البلاء.

ولما كانت البلاغة العربية عشقاً روحي، ومجال تخصصي، وُصِّب عملي، وقفتُ إجلالاً لما أهالني من صنوف البلاغة الإقناعية للعقيلة الهاشمية، التي جاءت على

* جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد) / العراق.

لسانها إبداعاً مُرتجلاً في أعظم مواقف الألم التي تُخرس غيرها من البلغاء، لكنّها أنطقتها في أرفع مواقف الإباء، فأذهلت السامعين، وذكّرتهم بنهج أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، فهذه اللبوة من ذاك الأسد.

فلقد خاطبت عليها السلام الناس على مقدار عقولهم، ومبلغ قدراتهم، فأوصلت ما تبتغيه إليهم من خلال وسائل بلاغية إقناعية، أي: تلك الوسائل التي استمدت إقناع المتلقين من الإبداع البلاغي، وذلك من خلال توظيف الوسائل المفضية إليه، وكانت تلك البلاغة في خطابها الشريف مشفوعة بالحجّة والدليل العقلي والنقلي، فكشفت النقاب عن تضليل الأعداء، والتعقيم الإعلامي الذي أحاطوا به عقول من حولهم. لذا؛ وددت أن تكون مشاركتي في هذا المؤتمر المبارك قراءة في تلك الوسائل، ضمن الفقرة الرابعة من المحور الأدبي، وهي: بلاغة المرأة في النهضة الحسينية وأثرها في المتلقي؛ عسى أن أفي بشيء من حقّ العقيلة الطاهرة علينا، وأسهم - ولو بجزء يسير - في إيضاح الطريق الذي يجب أن تسير عليه نساؤنا في هذا المعترك الذي يحتاج إلى المرأة المعطاء، اقتفاءً للقدوة الحسنة المتمثلة في السيّدة العقيلة عليها السلام، ولأدلل على أنّ عطاء المرأة ثرّ غزير، تحتاج إليه المجتمعات لنهضتها وارتقائها، ولا سيّما أنّ وطننا الحبيب العراق يمرّ بأكثر الظروف حاجةً إلى عطاء أبنائه ذكوراً وإناثاً، فطوبى لمن جاد بسعيه وأجاد، ولم يحشّ إلا الله، فأثقل موازينه تفتاناً في خدمة الوطن المقدّس الولّاد، واستعداداً ليوم المعاد.

التمهيد: السيّدة زينب عليها السلام الشخصية المُقنعة

لو سألنا أنفسنا: لماذا كانت شخصية العقيلة عليها السلام محطّ إجلال ذوي الألباب عبر العصور؟ ألمميزات امتلكتها وتّضححت في مواقفها عملاً وقولاً، مما غير من مجريات الأحداث، وأسهم في يقظة كثير من الناس من الغفلة التي كانوا عليها؟ أم لكونها خير خلف لأجلّ سلف؟ وربما كانت الأسباب مجتمعة هي ما أبقاها مشعلاً يُنير

درب الأحرار نساء ورجالاً، ولحاجة الناس للأسوة الحسنة التي تنتهج الإصلاح سبيلاً، وتتخذ من الحق حجةً ودليلاً.

لذا؛ كان ما نادت به من مبادئ متجلياً في شخصها، واضحاً في أداؤها؛ مما جعل الناس الذين لا يعرفونها، وكانوا حاضرين في المجالس التي أدخلت فيها عنوة، يؤمنون بما تقوله، وينبذون ما قر في عقولهم من تضليل، ويقف بعضهم في مواجهة الطاغية يزيد وأعوانه، حتى دفع حياته ثمناً لذلك، كما حصل مع أكثر من شخصية في مجلس يزيد بحسب ما نقلته كتب السير والمقاتل^(١).

سمات الإقناع في شخصية العقيلة

للسيدة العقيلة عليها السلام شخصية فريدة، وخصال حميدة، ومواقف راسخة في المحن الشديدة التي لم يقوَ الرجال على تحمل نزرٍ يسير منها، مع أداءٍ مثنى للمهمة الإلهية الموكلة إليها، وقد تميّزت عليها السلام بسمات عديدة، أهمّها:

١- الشجاعة الفائقة التي تجلّت في الثبات، وعدم الخوف من الأعداء، والوقوف بوجههم، وإسقاط الأقنعة التي يختفون وراءها، وقول الحق في أصعب المواقف، وفضح الطغاة، وكشف زيفهم، وأداء أعظم جهاد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(٢).

٢- الاستعداد لأداء المهمة المقدّسة، فلقد هيأتها أسرتها المطهّرة لهذا الأداء، لعلمهم الإلهي بما سيجري من أحداث؛ لذا ربّى أمير المؤمنين أولاده على المحبة والاحترام المتبادل والارتباط الروحي الرسالي، وتمتين العلاقة بينهم، وكان تزويج السيدة زينب عليها السلام في بيت أبيها عليها السلام حتى لا تفارق أخويها، وتواكب الأحداث التي تمرّ بها العائلة؛ ممّا أكّد التلازم بين السيدة وأخويها السبطين عليهما السلام؛ للتمهيد لما ستقوم

(١) أنظر: ابن نهار الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحرار: ص ٨٢-٨٣.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ١٧، ص ٢٢٧.

به العقيلة زينب عليها السلام، لتكون القطب الثاني الذي تدور عليه نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وهي في أعلى درجات الشعور بالمسؤولية لتأدية المهمة الموكلة إليها^(١).

٣- وعيها لأسباب إصرار الإمام الحسين عليه السلام على مصاحبته له في ذهابه إلى كربلاء، والالتزام الكامل بوصية الإمام الحسين عليه السلام التي تبين مهمتها الجسيمة التي لا بدّ من الاضطلاع بها، والتي كانت قبل نزوله النهائي إلى الميدان بعد استشهاد الرجال الذين كانوا معه جميعاً، فقال لها: «يا أختاه، اتقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي وأمي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة... يا أختي، إنّني أقسمت عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليّ جيّاً، ولا تخمسي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والشبور إذا أنا هلكت»^(٢).

٤- التصرّف بحكمة واتّزان، والاحتفاظ بالحجاب، والمحافظة على النساء والأطفال، على الرغم من هجوم الأعداء على الخيام وإحراقها، وعدم السماح لأحد أن يركب السبايا على الأقتاب بغير وطء ولا غطاء، بل ركبت النساء بعضهنّ بعضاً على تلك النياق الهزيلة بإشراف السيّدة زينب عليها السلام، على الرغم من أخذهنّ أسيرات إلى الكوفة^(٣).

٥- إبداء الرضا بقضاء الله تعالى، وإظهار رباطة الجأش، وعدم الانكسار أمام الأعداء؛ يظهر ذلك من حديثها مع ابن زياد عندما خاطبها شامتاً: «الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أعدوتكم! فقالت: إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا. فقال ابن زياد: كيف رأيت صنّع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلاّ جميلاً،

(١) فيما يرتبط بحياة السيّدة زينب عليها السلام أنظر: محدّثي، جواد، موسوعة عاشوراء: ص ٢٢٤.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج ٢، ص ٩٤.

(٣) أنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص ٢٥٨.

هؤلاء قومٌ كتبَ اللهُ عليهم القتلَ، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع اللهُ بينك وبينهم، فُتُحَاجُّ وتُحَاصِمُ، فانظُرْ لِمَنْ الفَلَجُ يومئذٍ، هبَلتَكَ (١) أُمَّكَ يابنَ مرجانة...» (٢).

فقد رفعت عن أهل بيتها الفضيحة والكذب، وأبانت رضاها بقضاء الله العادل الذي سيجمع بين هذا الظالم وبين الإمام الحسين عليه السلام ومن معه، فيقضي بينهم بالحق، فصغرت بذلك قدر الدعي ابن زياد أمام الناس، ولا سيما أنه جمعهم ليُظهر التشفي بأهل البيت عليهم السلام أمامهم، فإذا بالعقيلة تُظهر نتانة منبته، وصغر حجمه أمام عظمة الشهداء من أهل بيت الرحمة.

فإذا فكّرنا في الوقت الذي دار فيه ذلك الحوار، وحجم الحزن الذي كانت تعيشه العقيلة عليها السلام، عرفنا قوة شخصيتها، وشدة شعورها بالمسؤولية، فكل كلمة وكل تصرف لا بد أن يُحسب، فهي الآن من يمثل أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وذلك هو الراسخ في الأذهان بقوله تعالى في محكم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٣)، ويجب أن يتمثل هذا الانطباع في التصرف الحكيم الصادر عن من يمثلهم، وهذا ما أثبتته السيدة زينب عليها السلام في المواقف كلها على اختلاف الأماكن التي حلت بها، وتعددت الشخصيات المعادية التي ناظرتها.

٦- الهيبة التي علتها مع أدبٍ جمٍّ وحياءٍ شديد، ولقد وصفها من كان حاضراً خطبتها في الكوفة - وهو حذيم بن شريك الأسدي - قائلاً: «لم أرَ والله خِفرةً قطُّ أنطق منها! كأنها تنطق وتُفرغُ على لسان علي عليه السلام» (٤). والخِفرة: هي المرأة شديدة الحياء (٥)،

(١) هبَلتَكَ، أي: تَكَلَّتَكَ.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٢٠١.

(٣) الأحزاب: آية ٣٣.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ١، ص ١٣٢.

(٥) قال الجوهري: «والخِفرة (بالتحريك): شدة الحياء، تقول منه: خَفِرَ (بالكسر)، وجارية خِفرةٌ ومُتَخَفِرَةٌ». الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ج ٢، ص ٦٤٩،

مادة (خفر).

وهذه إشارة إلى أن السيِّدة العقيلة جمعت بين شدة الحياء وجودة الأداء، فلا تعارض بينها أبداً.

٧- استعمال الحجّة والدليلين النقلي والعقلي لإقناع السامعين، ولا سيّما القرآن الكريم الذي حفظته واستحضرتة في جميع حجاجها، وأحاديث رسول الله ﷺ، والأقوال المأثورة عن العرب، والآيات الشعرية السائرة، والأمثال العربية، وهذا ما سيّضح في فصول البحث عند تحليل مآثرها، وبيان وسائله الإقناعية.

٨- العلم اللدني الإلهي، ولا ريب في ذلك؛ فهي سليلة الرسالة والإمامة، وقد أورد ابن عبد ربّه الأندلسي ما رواه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في أوّل خطبة له في المدينة: «ألا إنّ الأبرار عترتي، وأطياب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، ألا وإنا أهل البيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، وإن تتبعوا آثارنا تهمّدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا، معنا راية الحقّ، من تبعها لحقّ، ومن تأخّر عنها غرق...»^(١).

ويدلّ على ذلك أيضاً؛ ما خاطبها به ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام بعد خطبتها في الكوفة، إذ يقول: «يا عمّة، اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنّ بحمد الله عالمة غير معلّمة، فهمة غير مفهّمة...»^(٢)، فقد وصفها بالعلم والفهم اللدنيين الإلهيين من غير معلّم ولا مفهّم.

٩- تمكّنها من فنون البلاغة، فلقد أبهرت السامعين بحسن منطقتها، وقوّة حجّتها؛ ممّا ذكرّ الناس بمنطق أبيها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كما ورد في كلمة حذيم السابقة الذكر، وهذه أهمّ سمة، فقد كانت تسعى إلى تثبيت حقائق يجهلها السامعون، ويؤمنون بما يناقضها.

(١) ابن عبد ربّه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج ٤، ص ١٥٧.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣١.

وبما أنّ كلّ خطاب يهدف إلى الإقناع بقضية معيّنة فلا بدّ من استعمال كلّ وسيلة ممكنة في ذلك، وتأتي الصياغة اللغوية البلاغية لتساعد على الإقناع والإمتاع في الوقت نفسه، «وقد وضح ذلك أرسطو، فقال: لا يكفي أن نعرف ماذا نقول، بل لا بدّ أن نعرف كيف نقوله ببيان بليغ؛ حتى نؤثّر في عواطف السامعين»^(١)، فلقد سلكت السيّدة زينب عليها السلام السبيل القويم في إفحام الخصوم، متوخّية ما أَرادَه اللهُ في الدعوة إليه في قوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).

وعلى الرغم من عدم رغبتها في ذلك الجدل، قد أبلت أحسن البلاء حين اضطرت إلى الحديث مع الخصوم، فهزمتهم في عقر دارهم، وسلبتهم لذّة النصر، وكادت دولة الطغاة تتقوّض لو طال مكوث السيّدة زينب عليها السلام بين ظهرانيهم؛ لذا عجلوا بترحيل ركب الإباء إلى محل سكناهم.

ولمّا كانت السيّدة زينب عليها السلام سليلة عائلة تجري البلاغة فيها مجرى الماء في الأنهار، اتّسمت بلاغتها بالإقناع، فضلاً عمّا آتاها اللهُ تعالى من قدرات تعبيرية يعزّز نظيرها، سواء في عصرها أم في العصور التي تلتها حتّى الآن، وتمكّنها من وسائلها التعبيرية التي أقحمت بها المناظرين، حتّى كأنّها تغترف من بحر منطق وعلم وأدب وشجاعة. فلقد أدركت بفكرها الثاقب أهمّية توضيح الحقائق، وبيان معالم ثورة أخيها المباركة، من خلال إلقاء الحجّة على الخصوم عبر الوصف والحوار والاستدراج، وبها وهبها اللهُ تعالى من نبوغ مكّنها من تسخير طاقات اللغة العربية، والإفادة من البنى التركيبية والتصويرية والسياقية في إفحام الخصم، وإيضاح معالم تلك النهضة الحسينية المباركة، ليس لمن حضر تلك المجالس وحسب، وإنّما للأجيال القادمة

(١) أنظر: أبو مصطفى، أيمن، في بلاغة الحجاج والإقناع، المقدّمة.

(٢) النحل: آية ١٢٥.

التي أعطتها دروساً في الشجاعة والإباء، ومن بينها عصرنا الحالي، فنحن أحوج ما نكون لمثال يُتذى في رفض الظلم ومقارعة الثورة عليه مهما علا صوته وكثرت سبطوته.

المبحث الأول: وسائل الإقناع البديعية

وتتمثل هذه الوسائل فيما يتعلق بانتقاء الألفاظ، وبيان أثر أصواتها، وأثر استعمالها في أماكنها، بحيث تثير دلالة سياقاتها بهذا الانتقاء، ومن خلاله يفهم المتلقي ما أراده المبدع.

وقد رأيت أنّ العقيلة قد استعملت أساليب متعددة لتجعل سياق كلامها ناطقاً بما أرادته من دلالات، وتمثل ذلك في وحدات صوتية ووحدات سياقية.

الوحدات الصوتية

للأصوات أهمية كبيرة في دراسة الآثار الأدبية، «إذ إنّ كلّ عمل أدبي فني هو قبل كلّ شيء سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى»^(١)، وبلاغة المبدع تأتي من حسن انتقائه لألفاظه التي يدلّ جرسها على معناها، كما تأتي البلاغة من حسن الإيقاع، «ويراد به رصف الكلام رصفاً متناسب الأجزاء، ويحصل من تلاؤم الألفاظ والعبارات تلاؤماً ترتاح إليه النفوس»^(٢).

وعند القراءة المتأنية والدراسة المتمحّصة لمأثور العقيلة عليها السلام في الطف، وجدت عنايتها الكبيرة بالجانب الصوتي عناية قد تجلّت في:

جرس الألفاظ

قال ابن سيده: «الجِرس والجِرس والجِرس... الحركة والصوت من كلّ ذي صوتٍ، وقيل: الجرس، بالفتح: إذا أفرد، فإذا قالوا: ما سمعت له حساً ولا جرساً،

(١) وليك، رينيه، ووارين، أوستن، نظرية الأدب: ص ١٦٥.

(٢) أنظر: المقدسي، أنيس، تطوّر الأساليب النثرية في الأدب العربي: ص ٥٥.

كسروا فأتبعوا اللَّفْظَ اللَّفْظَ. وأجرس: علا صوتَه، وأجرس الطائر: إذا سمعت صوت مرّه»^(١). قال القاضي الجرجاني عن أهمية الأصوات: «وإنما الكلام أصوات، محلّها من الأسماع محل النواظر من الأبصار»^(٢).

لقد راعت السيّدة العقيلة مستويات أفهام المخاطبين والموقف الذي تتحدّث عنه في انتقاء ألفاظها، وصياغة عباراتها، فخطابها لأهل الكوفة اتّسم بقوة جرس ألفاظه، وبقصر عباراته، وتسجيع فقراته؛ وذلك لأنّ أهل الكوفة أهل لسن وبدادة، ولغتهم أشدّ فصاحة من غيرهم.

بينما كان خطابها ليزيد في الشام أسهل، وبعبارات أطول قليلاً؛ لأنّ أهل الشام أقلّ فصاحة من أهل الكوفة؛ ولأنّهم في حيرة من أمرهم، فأكثرهم لا يعلمون أنّ هذا السببي هو لآل رسول الله ﷺ، بل اعتقد أكثرهم أنّه من سبي الروم كما أشيع بين الناس قبل حضور ذلك الركب الطاهر، أو أنّه لأنّاس خارجين عن الدين؛ لأنّهم حاربوا الخليفة، فكان لا بدّ من استخدام الألفاظ والعبارات التي تُناسب أفهام الحاضرين، وأنّ تحتوي الحجّة البالغة التي تفنّد ادّعاءات يزيد وقومه المزيّفة عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

يبدو لمن يقرأ نصوص السيّدة انتقاء تلك الألفاظ، والاهتمام بإدخالها في سياقات تبرز أهميّة ذلك الانتقاء، على الرغم من وجود كلمات تقاربها في دلالاتها، إلّا أنّها ركّزت على ما يثري الدلالة، ويكون أكثر بياناً وإفصاحاً، كاختيار كلمة (الرحض) بدل (الغسل) في قولها: «فقد أبليتُم بعارها، ومُنيتُم بشنارها، ولن ترخصوها أبداً»^(٣)، والرَّحْضُ: كلمة تُستعمل في غسل النجاسات، وتحمل معنى الفضيحة، كما نقل الزبيدي عن الصاغانى ومنه: «ارْتَحَضَ الرَّجُلُ: افْتَضَحَ»^(٤).

(١) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم: ج ٧، ص ٢٦٤.

(٢) القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين النبي وخصومه: ص ٤١٢.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٤) أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٠، ص ٥٨. مادة (رحض).

فنرى انتقاء السيِّدة العقيلة هذه اللفظة تشنيعاً على فعلة أهل الكوفة بسيد الشهداء عليه السلام، وهي فعلة جلبت لهم العار الذي لم يُغسل ولن يُغسل أبد الدهر. وقد عبّرت عليها السلام عن هول ما حصل، بمثل قولها لهم: «لقد جئتم بها شوهاً، صلعاءً، عنقاءً، سوداءً، فقهاءً، خرقاءً كطلاع الأرض، أو ملاء السماء»^(١)، إذ جاءت بستّ كلمات حالية متتابعة؛ لترسم صورة متكاملة لها، وقد دلّ جرس هذه الكلمات على معانيها، فتلك الفعلة هي بداية ويلات عليهم، وهي جريمة ضخمة لا يمكن تغطيتها، ووصمة عارٍ ستقلب أيامهم البيض سوداً، وتكون شديدة عليهم؛ لأنّ ما جاؤوا به فوق مستوى التصوّر.

ولنتناول ما قالته في وصفهم: «هل فيكم إلا الصِّلَف، والعَجَب، والشَّنِف، والكذِب، ومَلَقُ الإماء، وغَمَزُ الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضّة على ملحودة، ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون أخي؟! أجل والله، فابكوا، فإنكم أحرى بالبكاء، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً»^(٢)، فدلّ جرس تلك الكلمات على أقبح الصفات التي اتّصف بها أولئك المجرمون.

السجع

للسجع أهمّية كبيرة، فهو من أهمّ الفنون النثرية الصوتية المؤثرة في السامعين، وإيصال أفكار المتكلّم إليهم، ولا سيّما في الخطب؛ لأنّ عمادها السجع، فإذا أحسن المتكلّم استعماله كان أثره واضحاً في المتلقين، وأفضله غير المتكلّف الذي يأتي عفواً

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق. والصلف: الذي يدعي ما ليس عنده، قال ابن منظور: «الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة، والأدعاء فوق ذلك تكبراً». والشنّف: شديد البغض، قال ابن منظور: «والشنّف: شدّة البغضة». والغمز: الطعن والعيب. والدمنة: مكان أبعاد الماشية، قال ابن منظور: «دمنت الماشية المكان: بعرت فيه وبالت». والشنار: «العيب والعار، وقيل: هو العيب الذي فيه عار، والشنار: أقيح العيب والعار، يقال: عار وشنار». ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٩، ص ١٩٦، وص ١٨٣، وج ١٣، ص ١٥٧، وج ٤، ص ٤٣٠.

الخاطر، ويدلّ على ما يحمله المبدع من ثقافة وثراء لغوي، يقول العسكري: «إذا سلم [أي: السجع] من التكلّف، وبرأ من التعسّف، لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه»^(١). لقد جاء هذا اللون الصوتي في مآثور العقيلة بأنواعه المختلفة من دون تكلّف؛ لأنّها قالت خطبها وردودها على المعتدين ارتجالاً، وهذا دليل على تمكّنها من الفنون الثرية كافّة، ولم يخلُ موقف واحد تكلمت فيه من ذلك الإبداع المذهل، ويدلّ على ذلك تعليق عبيد الله بن زياد على منطق السيّدة زينب عليها السلام الذي أشاد ببلاغتها وبلاغة أبيها عليها السلام، وسأورده في المبحث الثاني^(٢).

وقد ظهر جمال السجع في الكوفة والشام على حدّ سواء، وإن كان في الكوفة أظهر، ومن أنواعه:

١- الترصيع

«وهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان، متّفقة الأعجاز، أو متقاربتها»^(٣)، كقولها في أهل الكوفة: «ألا فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الزفرة... فلقد أبليتكم بعارها، ومنيتم بشنارها»^(٤)، أو قولها: «وأنتى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة... وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم»^(٥)، أو قولها ليزيد: «فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذرويك مرحاً»^(٦). ولا يخفى جمال هذا اللون، وأثره في الإقناع من خلال النغم؛ مما جعل كلام السيّدة عليها السلام ينزل صاعقة على رؤوس المخاطبين به.

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين: ص ٢٦١.

(٢) أنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٢٠١-٢٠٢.

(٣) السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص ٤٣١.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٠.

(٦) المصدر السابق: ص ٣٥.

٢- السجع المتوازي

وهو «أن يُراعى في الكلمتين الأخيرتين من القريبتين الوزن، مع اتّفاق الحرف الآخر منهما»^(١)، كما في قولها لأهل الكوفة في وصف مكانة الإمام الحسين عليه السلام: «ومقر سلمكم، وآسي كلمكم»^(٢)؛ وهذا يدلّ على تعدد ألوان خطابها، فقد اتّصف بالشدّة، كما في تقييدها منافقي أهل الكوفة ومجرميها، كما اتّصف بعكس ذلك في نديها الحسين عليه السلام، وشكواها لله تعالى ولجدها رسول الله صلى الله عليه وآله ما حصل لأخيها: «إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيّد الشهداء»^(٣).

ولا أريد أن أحصي الأنواع الواردة بقدر ما أريد أن أوضح أثر التنغيم في الإقناع، ولا سيّما المدّ بالألف، ولقد نقلت الكتب أن من سمع ندبة السيّدة زينب عليها السلام بكى لنبرة الحزن، وإن كان عدوّاً، ولنقرأ قولها: «يا محمداه! بناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفى عليهم ريح الصباء، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من أضحى عسكره في يوم الإثنين نهياً، بأبي من فسطاطه مقطّع العرى، بأبي من لا غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى»^(٤).

إنّ هذا المدّ بالألف جسّد الحزن والكرب، وصوت الأنين الذي تطلّبه الموقف أوحى للسامعين به، وقد اتّصف جرس كلماتها بالرقّة والهدوء؛ ليناسب ذلك الموقف، وليبرز التعاطف الأخوي، والموقف الحزين الذي وضعت فيه السيّدة العقيلة، ومقدار الفقد الذي تشعر به، وهي ترى ظلم المجرمين، وسوء مجازاتهم، فلا بدّ أن تكون كلمات نديها وراثتها بهذه الصفة.

(١) الحلبي، محمود، حسن التوسّل إلى صناعة الترسل: ص ٢٠٨.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ١٨١.

(٤) المصدر السابق.

وقد أقنعت السيِّدة عليها السلام المتلقين بما سمعوه - من هذا الخطاب الذي تفوح الرحمة من أعطافه - بمقدار التراحم بين أبناء هذا البيت الطاهر، وتقدير بعضهم لبعض للمكانة المقدَّسة التي يتحلَّون بها، وإدراكهم حجم المعاناة التي مرَّوا بها، والتضحيات التي قدَّموها في سبيل الله تعالى، وتصحيح مسار الدين مهما غلت الأثان.

وكان هذا اللون التنغمي طريقاً لإقناع الناس بغلبتها على يزيد، وإفحامها له بقولها: «كد كيدك، واجهد جهدك، فوالله الذي شرفنا بالوحي والكتاب، والنبوة والانتخاب، لا تُدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرا، ولا يرحض عنك عارنا، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعن الله الظالم العادي»^(١)، فلقد جعلت النص متسقاً موسيقياً بهذه الألوان التنغمية التي اشتملت عليها جمل النص، وجعلت التركيب مثرياً للنص من خلال القسم الممتزج مرّة أخرى بالسجع في: (فوالله... لا تُدرك أمدنا)، (ولا تبلغ غايتنا)، (ولا تمحو ذكرا)، (ولا يرحض عنك عارنا).

وأتبعت أسلوب الحصر التركيبي؛ ما يقوِّي توكيده بالتنغم في: (وهل رأيك إلا فند)، (وأيامك إلا عدد)، (وجمعك إلا بدد)، وتستفيد من الاقتباس القرآني غير النصي في الجانب التنغمي بقولها: (يوم ينادي المنادي: ألا لعن الله الظالم العادي)، حيث جعلت (ينادي المنادي) بموازاة (الظالم العادي)، ولم تورده بالنص، كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)؛ ليكون التنغم أكثر تأثيراً.

فقد أقنعت المتلقين بضعف يزيد على الرغم من ظلمه، فمهما حصل فلن يتحقق ما أراه، فذكر أهل البيت باقٍ أبد الدهر مهما اجتهد أعداؤهم في محوه، بينما ستمضي أيام يزيد، ويذهب إلى ربِّه مذموماً مدحوراً، قد التصق به عار أفعاله، وقد تبين للناس جميعاً رأيه المُفند، وجمعه المُبدد في الدنيا، ولعنة الله تحلُّ به مع جمع الظالمين الحاقدين المعتدين في يوم الحساب، يوم العدل الإلهي.

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٧.

(٢) هود: آية ١٨.

الوحدات السياقية

من أهمّ هذه الوحدات المؤثرة في الإقناع استعمال:

أسلوب التقابل

وهو أسلوب تدخل تحته مصطلحات كثيرة: كالطباق، والتقابل، والتكافؤ^(١)، وما يهمني الحديث عنه أن السيّدة زينب عليها السلام جعلت التقابل طريقاً توازن فيه بين حالين متضادّين يمثّلان خطّين متضادّين، وعند بحثي الدقيق في مآثرها وجدتها قد استعملت هذا الأسلوب جميعه، وقد عزّزت به حججها؛ لتؤكد أن الحقّ مع أهل البيت عليهم السلام، مقابل الباطل الذي اتّصف به أعداؤهم، وبإبرازها ذلك جعلت المتلقّي مقتنعاً بعدالة القضية التي من أجلها استشهد الإمام الحسين عليه السلام، وأنّه لم يكن خارجياً كما حاول الطغاة وصفه؛ لتبرير جريمتهم النكراء. وسأبرز هذا الأسلوب من خلال ثنائيات برزت فيه، أهمّها:

١- الضحك والبكاء

برزت هذه الثنائية في خطابها لأهل الكوفة قائلة: «أبكون أخي؟! أجل والله، فابكوا، فإنكم أحرى بالبكاء، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً»^(٢).

فما دامت قد رأت بكاءهم، وهم من قتل الإمام الحسين عليه السلام، فلا بدّ أن تعزّز دلالة البكاء، لتجعله مسيطراً؛ لأنّه سيطول عليهم جزاء ما اقترفته أيديهم بحقّ إمامهم؛ لذا كرّرت السيّدة اشتقاقاته، وقدمته في الذكر موصوفاً بالكثرة، وفي مقابلة ذكرت الضحك مرّة واحدة، موصوفاً بالقلّة، مع الاستفادة من التناص القرآني غير التام؛

(١) الطباق: أن يذكر الشيء وضده في الألفاظ. أمّا المقابلة فهي: «إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة». أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين: ص ٣٣٧.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

لتستطيع تقديم البكاء الذي يستدعيه السياق على الضحك، بعكس طريقة ترتيبه في النص القرآني، حيث قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(١)، فكان هذا التوظيف موفقاً للتأثير في المتلقين.

٢- الدنيا والآخرة

جاء ذلك عندما أرادت أن تبيّن أن غضب الله على المجرمين سيحلّ عاجلاً في حياتهم الدنيا، وآجلاً في الآخرة، كما في قولها: «أفعبجبتم أن تمطر السماء دماً، ولعذاب الآخرة أحرى وهم لا يُنصرون»^(٢)؛ ممّا جعل المجرمين يندمون، وقد عبّرت دموعهم التي جرت عند استماعهم إلى الخطبة عن مقدار ندمهم؛ الأمر الذي يدلّ على مقدار الإقناع الذي عكسه هذا الأسلوب.

٣- الضيق والسّعة

لقد تعانقت هذه الثنائية مع ثنائية (الهوان والكرامة) عند خطبة العقيلة في مجلس يزيد، إذ تقول مُفندة ظنّه بالتضييق عليهم^(٣): «أظننت يا يزيد، حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيّقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في أسار، نُساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار»، ممّا جرّأك على الاعتقاد «أنّ بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامة وامتناناً، وأنّ ذلك لعظم خطرك، وجلالة قدرك؟!»، ممّا دفعه للغرور، «فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنقض مذرويك مرحاً»؛ لأنّك اعتقدت سعة الأمور لك «حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور لديك متّسقة، وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا»، وأبانت عن خطئه في النظر؛ لذا وبّخته

(١) التوبة: آية ٨١.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٣) سأجعل النص مقطوعاً تجنّباً للتكرار، وكلّ ما اقتطعته من النص موجود في الاحتجاج: ج ٢،

بقولها: «فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً»، واحتجّت على صوابِ بقولها: «أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟!»^(١)،^(٢) لتعصد كلامها بما يقوِّي حجّته بما لا يشكّ فيه أحد، وهو كتاب الله تعالى، فما أراده يزيد لأهل البيت عليهم السلام من هوان من خلال التضييق عليهم لن يكون؛ لأنّ الله تعالى لا يمكن أن يذلّ عباده المخلصين، ويرفع مكانة العصاة المجرمين، وسأفصّل ذلك في الوسائل التركيبية إن شاء الله تعالى.

٤- ثنائية الإيمان والكفر

وتكاد هذه الثنائية تتضح في خطابها كلّ؛ لأنّ أهل البيت عليهم السلام مثّلوا الإيمان الصادق الذي أراد الإصلاح، وإعادة مسار الدين إلى نهجه الصحيح، وفي المقابل مثّل من عاداهم وحاربهم الكفر والفساد، وساروا بالدين في طريق النفاق والاعوجاج، قالت السيدة عليها السلام يزيد: «فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء»^(٣)، فـ(النجباء) يمثّلون (الإيمان)، والطلاقاء يمثّلون (الكفر)؛ لذا توعّدت السيّدة عليها السلام يزيد على سوء فعلته بما يدلّ على كونه مع الشيطان، وأنّ الله تعالى مع أهل البيت عليهم السلام، قائلة: «وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً»^(٤). وهكذا كان التقابل طريقاً للإقناع في مآثور السيّدة زينب عليها السلام؛ لذا لم يستطع يزيد الرد عليها، لأنّها أفحمته وأقنعت المتلقين بما أوردته.

التناص القرآني

كان القرآن الكريم حاضراً في مآثور العقيلة كلّ، تُعزّز به حججها، وتردّ على

(١) آل عمران: آية ١٧٨.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٢١٧.

(٤) المصدر السابق.

خصومها، وقد دخل في مستويات الأداء كلّها، وهذا ما استعمله البلغاء في خطبهم، وسارت السيّدة على نهج أهلها، كأمر المؤمنين عليه السلام، وقد أشار البلاغيون إلى أهميّة ذلك، يقول الرازي مُعرِّفاً: «هو أن تُدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام؛ تزييناً لنظامه، وتفخيماً لشأنه»^(١)، وتابعه العلماء كالمطرّزي والحلي في ذلك، مؤكّدين أنّ ذلك يأتي لتقوية الحجّة، وجعل الكلام أجمل وأكثر بلاغة^(٢).

الاقتباس النصّي

يأتي عندما تريد أن تبرز قدرة الله أو آياته، أو تُسكت الخصم بحجّة الله التي لا تقبل الردّ، فتُدكّر المتلقّين بأنّ الله تعالى قال ما ستذكره، كما في بدء خطبتها في الشام، حيث قالت عليها السلام: «صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوَأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣)»^(٤)، فكان السياق يستدعي هذا اللون؛ لتدلّ على أنّ الإمام الحسين عليه السلام آية من آيات الله تعالى، وأنّ يزيد ممّن أساء السُّوَأَى، وكذب بتلك الآيات الكريمة. وأمثال ذلك كثير، أشرت إليه في المباحث الأخرى.

الاقتباس غير النصّي

وهو كثير، وقد دخل في مآثورها بما يعكس شغفها بكتاب الله تعالى، وتشرّبها أسلوبه، وحفظه واستحضاره بشكل عجيب، وهذا ما يدلّ على كونها العالمة غير المعلّمة، كما وصفها الإمام زين العابدين عليه السلام^(٥)، ومن ذلك قولها متوعّدة أهل الكوفة

(١) الرازي، محمد بن عمر، نهاية الإيجاز: ص ١٤٧.

(٢) أنظر: المطرّزي، ناصر بن عبد السيّد، الإيضاح (شرح مقامات الحريري): ص ١٣٣. أبو الثناء

الحلي، محمد بن سليمان، حسن التوسّل في صناعة التوسّل: ص ٣٢٣.

(٣) الروم: آية ١٠.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

(٥) المصدر السابق: ص ٣١.

بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام: «وإن ربكم بالمرصاد»^(١)، فقد ورد الاقتباس القرآني عاضداً لأسلوب الخبر الإنكاري، فقد جاء التناصُّ مع الآية الكريمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾^(٢)، وسيأتي تفصيل ذلك في أساليب الإقناع التركيبية والتصويرية، وهذا يدلُّ على تفتُّنها في الاستعمال بما يقوِّي أدلتها التي تُفحم الخصوم.

وكقولها لعبيد الله بن زياد: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وطهرنا من الرجس تطهيراً»^(٣)، فقد أبعدت من خلال التناصُّ القرآني عنها وعن أهل بيتها الفضيحة والتكذيب، مما حاول الطاغية وصم أهل البيت عليهم السلام به، وذلك بقولها: «وطهرنا من الرجس تطهيراً» مع الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤)، فلا أحد يُنكر أنَّ هذه الآية نزلت في أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي فاختيار السيدة زينب عليها السلام هذا الأسلوب كان هو الأكثر إقناعاً ودحضاً لحجّة العدو.

وسأترك الأمثلة الأخرى^(٥)؛ لأنَّها وردت في أثناء تحليل النصوص في المبحثين القادمين؛ لأنَّ دخول النص القرآني في الأساليب كلّها كان أساسياً، فلم أستطع إفراده في هذا الموضع فقط.

المبحث الثاني: وسائل الإقناع التركيبية

تعدُّ الوسائل التركيبية أكثر وسائل البلاغة الإقناعية أثراً في لفت الانتباه، كأساليب الطلب المتعدّدة، مثل: الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، واستعمال أنواع الأخبار، والجمل الحالية، والإفادة منها في المحاجة والإقناع.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٨٧.

(٢) الفجر: آية ١٤.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٢٠١.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

(٥) وردت تلك الأمثلة في أقوالها. انظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠، وص ٣٥

وغيرهما.

وعند استقرائي لمأثور العقيلة عليها السلام في الطف - ولا سيّما في مجالس الأعداء - وجدتها قد مزجت التركيب بالوصف والموازنة، وأكثرت من استعمال أساليب الطلب كالاستفهام الإنكاري والأمر والنداء، واستعمال الأخبار الطلبية والإنكارية التي يكثر فيها التوكيد بأنواعه المختلفة؛ لكي تُفحم الخصوم، وتزيل شك المتلقين فيما أوردته من أخبار توضّح ثورة أخيها الإمام الحسين عليه السلام، وتبيّن عظم الجريمة التي ارتكبت بحق أهل البيت عليهم السلام. وكان من أظهرها:

استخدام أساليب الطلب منفردة ومجمعة

للطلب أساليب متعدّدة، كالاستفهام والأمر والنهي والنداء والتمني، ولقد وجدتُ السيّدة زينب عليها السلام تمزج هذه الأساليب، ولا تأتي بها منفردة إلا قليلاً؛ لتكون أكثر تأثيراً، وسأتطرق إلى تلك الأنواع منفردة وممزجاً بعضها ببعض، وأوضّح بشكل موجز في أثناء ذلك ما يحتاج إلى توضيح.

الاستفهام

من المعروف أنّ الاستفهام هو طلب الفهم^(١) إذا كان حقيقياً، على وجه الاستعلاء والإلزام، يقول السكاكي: «وعرفت أنّ الاستفهام طلب، وليس بخفيّ أنّ الطلب إنّما يكون لما يهّمك ويعنيك شأنه...»^(٢).

وله معانٍ بلاغية متعددة^(٣)، إذ لم يُقصد من إلقائه طلب الجواب الحقيقي، ومن أبرز تلك المعاني: الإنكار، والتفريع، والتوبيخ، والتهكّم، والسخرية، والحثّ، والتفريع، والتعجّب، والنفي وغيرها.

والملاحظ في استعمال السيّدة زينب عليها السلام للاستفهام كثرة استعمال الاستفهام غير

(١) أنظر: الرماني، علي بن عيسى، رسالة منازل الحروف: ص ٧٣.

(٢) السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص ٣١٧.

(٣) أنظر: النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٧، ص ٦٣.

الحقيقي وامتزاجه بالوصف في أغلب الأحيان؛ للانطلاق منه لتبصرة الحاضرين بما حصل لها ولأهل بيتها، وبيان جوهر أهل البيت عليهم السلام، وتغيير ما وقر في عقول الناس من تعميم حول الحقائق، علماً أنّها كانت تستعمل الاستفهام بأشكال منها:

الاستفهام المنفرد

الملاحظ أنّ السيّد حين تستعمل أسلوب طلب منفرد تجعله متتالياً، فيكون أكثر توكيداً للدلالة، وأكثر تركيزاً على المعنى، فمن الاستفهام غير الحقيقي المنفرد الذي أفاد معنى التقرّيع قولها: «أندرون ويلكم أيّ كبد لمحمد صلى الله عليه وآله فرثتم؟! وأيّ عهد نكثتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأيّ حرمة له هتكتم؟! وأيّ دم له سفكتم?!»^(١).

والملاحظ في خطبة السيّد زينب عليها السلام في الكوفة كثرة الاستفهام المتوالي الذي خرج للتقرّيع؛ نظراً لهول ما حصل في الطف، مع معرفة أهل الكوفة من هم أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّها مكان خلافة أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام.

ويمكن تلخيص مميزات الاستفهام في خطبتها بما يلي:

- ١- امتزاج الاستفهام بالوعيد في قولها: (أندرون ويلكم)، فبعد الاستفهام بالهمزة جاء الدعاء عليهم بالويل مباشرة.
- ٢- تكرار الاستفهام بـ(أيّ) مع اختلاف المُستفهم عنه بعدها؛ لبيان شناعة ما جنوه.

٣- إنّ هذه الاستفهامات جاءت في سياق أخبار إنكارية، وأوصاف بيانية، تصف هول الجرم، وسأطرق إليها في باب التصوير، وأتركها هنا تجنّباً للتكرار.

٤- تتضح شجاعة هذه المرأة التي تسلّحت بإيمانها بالله، وخاطبت القادة العتاة، والجيش الذي قتل أخاها ومن معه من الرجال، بهذا الشكل الذي أخزاهم، على الرغم من أنّها وحيدة، لا ناصر لها إلاّ الله تعالى.

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

النداء المنفرد

جاء النداء منفرداً، لكنّه متكرّر، مع اختلاف أوصاف المنادى؛ للتأكيد على تلك الأوصاف لحصول ما يسيء إليها، كما في قولها: «يا حسينا! يا حبيب رسول الله! يابن مكّة ومنى! يابن فاطمة الزهراء سيدة النساء! يابن محمّد المصطفى»^(١).

فإذا سألتنا أنفسنا لماذا تكرر النداء بالياء خمس مرّات؟ وجدنا أنّ ذلك كان جواباً لما قام به يزيد حين أخذ ينكث ثانياً^(٢) الإمام الحسين عليه السلام بمخصرته^(٣)، فالحاضرون لا يعلمون من هو صاحب هذا الرأس، واعتقدوا أنّه خارجي عن الدين بحسب ادّعاء يزيد، فكان لا بدّ من تعريف الحاضرين بالإمام الحسين عليه السلام أولاً، ثمّ الردّ على يزيد، فكان النداء هو التعريف المطلوب.

الاستفهام والأمر والإنكار

لدى قراءتي مآثور السيّدة وجدت الإنكار واضحاً فيه جميعاً، فقد أفصحت عمّا في داخلها الذي أنكر هذه الفعلة الشنيعة، سواء في كربلاء أم في الشام، فمّا ورد في الكوفة قولها لأهل الكوفة: «أتبيكون أخي؟! أجل والله، فابكوا، فإنّكم أحرى بالبكاء، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً»^(٤).

فقد أنكرت بكاءهم علام قتلوا الإمام الحسين عليه السلام ظلماً وعدواناً، وأكّدت ذلك بقولها: (أجل)، وتعني نعم، أي: يجب عليكم ذلك البكاء، وأكّدت أيضاً بالقسم بلفظ الجلالة (والله)، ومزجت أسلوب الاستفهام بأسلوب الأمر (فابكوا)،

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٤.

(٢) الثنايا: هي الأسنان في مقدمة الفم، قال ابن منظور: «الثنية من الأضراس: أول ما في الفم». ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ١٢٣.

(٣) «المخصرة: عصا أو نحوها بيد صاحبها». الفراهيدي، الخليل، كتاب العين: ج ٤، ص ١٨٣.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

وعضدت قولها باقتباس المعنى القرآني المحتوي على ذلك الأسلوب؛ لتقنع سامعيها بقولها: (فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً)، فقد أفادت من قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾^(١)، وقد أوضحت ذلك عند الحديث عن الوحدات السياقية.

الاستفهام والنداء

كما وجدت الإنكار واضحاً في خطاب السيِّدة زينب عليها السلام للطغاة، وعدم خوفها منهم، واستهانتها بهم، واستنكار أفعالهم من خلال أسلوب الاستفهام والموازنة بين حالين، كما حصل في الشام: كقولها ليزيد: «أمن العدل يابن الطُّلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قدهتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلدٍ، وتستشرفهنّ المناقل، ويتبرّزنّ لأهل المناهل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والدني والرفيع، ليس معهنّ من رجاهنّ ولي، ولا من حماهنّ حمي، عتواً منك على الله، وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عند الله...؟!»^(٢).

وقد اتّضح من النصّ أنّ الاستفهام جاء متلازماً مع أسلوبٍ طلبيٍّ آخر هو النداء في قولها: «يابن الطُّلقاء»، وقد جاء في سياق الوصف، وإجراء موازنة بين حالين غير متكافئين، وهما: «تخديرك حرائرك وإماءك»، و«وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ...».

فالملاحظ في النصّ ما يأتي:

١- أمّا ناداته بـ(يابن الطُّلقاء) لتوازن له بين حسن خلق جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، وتعامله الكريم مع أجداد يزيد الطُّلقاء، وهم رؤوس الكفر يومذاك، على الرغم من حربهم له، وسوء تعامل يزيد اليوم مع بنات الرسول صلى الله عليه وآله، ومقابلته الإحسان النبوي بالإساءة الأموية.

(١) التوبة: آية ٨١.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

٢- أوضحت عليها السلام محافظته على نسائه الإمام والحرائر مخدراتٍ وسوقه بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وإحضارهنّ من الكوفة إلى مجلسه في دمشق بشكل غير لائق، مُفصّلة الوصف في تلك الطريقة، مؤكّدة أنّه أراد عرضهنّ على الناس بمختلف أنواعهم بقصد الإهانة والتشقي: (قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ)، إذ كان من المعيب على المرأة المُكرّمة أن تخرج بهذا الشكل، و(تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد) و(تستشرفهنّ المناقل، ويتبرّزنّ لأهل المناهل)، للدلالة على اختلاف الأماكن التي عرضن بها، واختلاف الذين رأوهنّ، حيث (يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والذني والرفيع)، وهنّ وحيدات (ليس معهنّ من رجالهنّ ولي، ولا من حماهنّ حمي).

٣- مازجة الاستفهام بالمفعول لأجله المبين للأسباب، من خلال ثلاثة مفاعيل لأجلها، معطوفة بعضها على البعض الآخر؛ وذلك لكشف زيف الإيثار الذي يدّعيه يزيد، ويستحق برأيه تنصيب نفسه خليفة على المسلمين، وهي: (عتوّاً منك على الله) و(جُحوداً لرسول الله) و(دفعاً لما جاء به من عند الله).

الاستفهام والأمر والنهي

وردت في مآثور العقيلة عليها السلام نصوصٌ فيها أكثر من استفهام، منها نصٌّ داخل في تركيب إقناعي امتزج بأساليب طلب أخرى كالأمر والنهي، وهو قولها: «أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أنّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً، وأنّ ذلك لعظم خطرك، وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذكرويك مرحاً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور لديك متّسقة، وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا؟!!

فمهلاً مهلاً! لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ

لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٩﴾؟! (٢)، والملاحظ في النصّ ما يأتي:

١- إنّ السيّدة حسّدت ألواناً من التراكيب في نصّ واحد، ولا سيّما أساليب الطلب، وسخّرت طاقات اللغة التعبيرية لإقناع السامعين بما تقوله في ذلك الموقف العصيب، مُركّزة على أنّ ما حصل بإرادة الله التي ستعيد الأمور إلى نصابها.

٢- جاء الاستفهام بالهمزة قبل الفعل (ظنّ) مشفوعاً بإيضاح قراءة يزيد السطحية لظواهر الأمور وما يجري من أحداث، واعتقاده بعظم مكانته وجلالة قدره، ومطاردته أهل البيت عليهم السلام، وتضييقه الخناق عليهم، وسوقهم بشكل غير لائق بعلو مكانتهم، وقد أحسنت انتقاء الكلمة (ظننت)؛ لأنّ القرآن أشار إلى اجتناب كثير من الظنّ؛ لأنّه طريق إلى الإثم، ولا سيّما أنّ يزيد قد لبس الإثم وتلفّع به، بما جنته يدها في قضية الإمام الحسين عليه السلام.

٣- إنّها سخرت من يزيد من خلال بيان سداجة تفكيره، ووصف حركة جسمه الدالّة على الكِبَر والغرور الذي لا يليق بالحكّام في قولها: «تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذرويك مرحاً»، في تقسيم صوتي جميل، وتوازن موسيقي مستقطب للأصابع.

٤- حدّدت السيّدة زينب عليها السلام وقت ظنّه المخيّب للأمال بقولها له: «حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور لديك متّسقة، وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا»، وهذا كاشف عن حقيقة أنّ ما ينعم به هو حقّ مغتصب من غيره، فالملك والسلطان هو لأهل البيت عليهم السلام الذين جاء بنسائهم مسيّات مع تعظيم كبير، ووصفهنّ بنساء الخوارج.

٥- مزجت السيّدة زينب عليها السلام بين أسلوب الاستفهام الذي تخلّله الوصف،

(١) آل عمران: آية ١٧٨

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

وأسلوبين طليبين آخرين، وهما: الأمر في قولها: (مهلاً مهلاً)، وهو المصدر النائب عن فعل الأمر الذي يعمل عمله^(١)، أي: تمهل ودع ما أنت عليه. وأسلوب النهي في: (لا تطش جهلاً)، والملاحظ في هذا النهي التقرير وعدم الاحترام؛ لأنّ المقابل طائش جاهل، وأدخلته في أكثر التراكيب تعبيراً.

٦- ورد في النص استفهام إنكاري بالهمزة، فيه تقرير ليزيد؛ لأنّه نسي وعيد الله تعالى، ذاكراً النص القرآني في قولها: «أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟!»، وبهذا سدّت عليه طريق المحاجة؛ لأنّها جاءت بما لا نقاش فيه، وهو النصّ القرآني، فكأنّه ألقم حجراً، وبالتالي فقد بلغت الذروة في إقناع السامعين.

استعمال أنواع الأخبار

وردت في خطاب السيّدة زينب عليها السلام أنواع الأخبار الثلاثة، وهي:

١- الخبر الابتدائي: وهو الذي يُلقى والسامع لا فكرة في ذهنه عنه، فلا يحتاج إلى توكيد^(٢).

٢- الخبر الطلبي: هو الذي يُلقى وفي ذهن السامع شك في فحواه، فيقوم المنشئ بتوكيده بمؤكّد واحد^(٣).

٣- الخبر الإنكاري: هو الذي يُنكر السامع فحواه؛ لوجود فكرة مخالفة له في ذهنه، فيقوم المنشئ بتوكيده بأكثر من مؤكّد، وكلّمًا زاد إنكار المتلقّي زاد توكيد المنشئ^(٤).

وكانت هذه الأنواع في أغلبها مرتبطة بالاقْتِباس غير النصّي من القرآن الكريم،

(١) أنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) أنظر: الصعيدي، عبد العال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: ص ٤٣.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٣-٤٤.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٤.

وهذا النوع من الاقتباس يقوم فيه المبدع بالإفادة من معنى النصّ وألفاظه، ويجوز فيه التغيير على أنّه ليس قرآناً، وقد ورد في كلام البلغاء كأمر المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام.

ولما كان خطاب السيّدة موجّهاً بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام لمن يشك في أقوالها، أو ينكرها إيماناً أو ادّعاءً؛ أكثر عليه السلام من الأخبار الطليعية والإنكارية؛ لتقع السامعين بأقوالها، وتُسهم في تغيير ما وقر في عقولهم.

الخبر الطلبي

وهو في خطابها أقلّ وروداً من الخبر الإنكاري؛ لحاجة السياق إلى التوكيد، ليحاكي شدة الظرف، وقوّة النصّ الذي ينبثق عنه، قالت العقيلة: «ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون»^(١)، فقد أكّدت الخبر بـ(ألا) الاستفتاحية، وأفادت من النصّ القرآني في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَا قَدَمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٢)، فقد غيّرت السيّدة زينب عليها السلام جهة الخطاب من الغائب الذي ورد في القرآن إلى المخاطب؛ حيث حكّت الآية الكريمة حال من تولّى الكافرين، والسيّدة عليها السلام تخاطب من قتلوا أهدي الناس ليرضوا أضلّهم، فاستحقوا سخط الله وغضبه.

والحقيقة، أنّ ارتباط الأخبار التي استعملتها السيّدة عليها السلام بالآيات الكريمة له أهمّية كبرى في الإقناع؛ لأنّ كتاب الله تعالى لا خلاف فيه، ولا سيّما أنّ الناس قريبو عهد بنزوله، وأكثرهم ممن قرأه وحفظ منه.

الخبر الإنكاري مع الاقتباس القرآني

قالت السيّدة زينب عليها السلام متوعّدة أهل الكوفة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام: «كلّا،

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٢) المائدة: آية ٨٠.

إِنَّ رَبَّنَا بِالْمِرْصَادِ»^(١)، فقد ورد الخبر الإنكاري في معرض اقتباس قرآني ليكون أكثر تأثيراً؛ إذ اختارت آية وعيد، فيها توكيد بـ(إِنَّ) و(اللام المزحلقة) الداخلة على خبرها، وهذه الآية وردت في الحديث عن عتاة الكافرين، وهي ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(٢).

وقامت السيِّدة عليها السلام بتغيير نوع الضمير المتصل من المخاطب المفرد الوارد في الآية (رَبُّكَ) إلى المتكلم الجمع (رَبَّنَا) الوارد في كلامها، وفي ذلك التفاتة ذكية، فكأنَّ الله ربَّ أهل البيت، ومن وقف إلى جانبهم من المؤمنين فقط، ممَّا يدلُّ على أنَّها قصدت - من غير تصريح - أنَّ المحاربين لهم كفَّار، لا يؤمنون بالله تعالى، ولا يعبدونه.

علماً أنَّ سامع الآية المقتبسة لا بدَّ أن يتذكَّر آيات سبقتها تحكي حال المفسدين المشابهين لهؤلاء في ظلمهم واغترارهم، وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾^(٣).

وكان الإيجاز واضحاً في أسلوب السيِّدة عليها السلام؛ إذ أتت بالخبر الإنكاري مؤكِّداً بلفظ (كَلَّا) التوكيدي، الدالُّ على الرِّفْض، مع جعل الاقتباس مقتصرأ على آية واحدة موحية بما قبلها.

الخبر الإنكاري الداخل في تركيب شرطي وتذييله باقتباس قرآني

وخير ما يمثله نصُّ خالد من خطبتها في مجلس يزيد وهو: «ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرمًا، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤)»، فالخبر مؤكِّد باللام الموطئة للقسم، و(إِنَّ) الشرطية، وبالحرص في (حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك)، وانتهى باقتباس قرآني نصِّي هو: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٥). والملاحظ أنَّ النصَّ احتوى فنوناً بلاغية إقناعية، تركيبية وسياقية، لفظية وصوتية،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٦٥.

(٢) الفجر: آية ١٤

(٣) الفجر: آية ١١-١٣.

(٤) فصّلت: آية ٤٦.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٢١٧.

تجذب الأسماع بجمال صوتها، وتدكرّ بآيات الله، وتخيف الظالمين بوعيدها، وتقنع المخالفين بسفه من اتبعوه وسوء أفعاله، وتبهر السامعين على مرّ الأزمان بشجاعة قائلتها، وشدة بلاغتها.

الخبر الإنكاري الخالي من الاقتباس القرآني

ويمثله نصّ جريء ما قيل يوماً في مخاطبة الحكّام، وقد ورد في خطبة الشام، وهو لا يقلّ جمالاً عن سابقه، حيث قالت: «ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغرُ قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى»^(١).

فقد احتوى الخبر أربعة مؤكّدات، هي: اللام الموطئة للقسم، وإنّ الشرطية، في (لئن)، والتوكيد بـ(إنّ) في (إنّي)، واللام المزلحقة الداخلة على جملة الخبر (لأستصغر)، وذلك لأنّ الإنكار في أذهان المتلقّين كبير، وكذا الاختلاف مع المخاطب فكراً واجتماعياً، فقدرة صغير أمام كبر مكانتهم، وهي مكرهة على لقائه والجدال معه؛ لذا استكثرت توبيخه، واستعظمت تقريعه، وهي المخدّرة التي لم يرَ ظلّها أحدٌ، لكنّ الدواهي أبرزتها، لتلقّن الباغين دروساً في الشموخ والإباء لن ينسوها أبداً.

وقد صاغت هذه المعاني في جمل أسقت صوتياً، وجرى الوصل (العطف بين الجمل الثلاث بالواو)، لتشارك في الحكم وتؤدّي معاني النيل من الحاكمين المتسلطين أمام الملأ بشجاعة متناهية.

استعمال ألوان التركيب المختلفة مجتمعة

لقد بلغت السيّدة زينب عليها السلام من البلاغة مرتبة تُذهل الباحث، فيعجب من ذلك المستوى العظيم في توظيف الصيغ البلاغية بمستوياتها كافّة، وينبهر من جميل الجمع

(١) المصدر السابق.

بين الوسائل المتنوعة، وتوظيفها في الإقناع بما يرجح كفتها، ويهزم مناظريها، وهو كثير في مآثورها، وأكتفي بأنموذج واحد التزاماً بعدد الصفحات المسموح بها في البحث، وسأورد النص كاملاً للمحافظة على تأثير ما ورد فيه في السامعين، وانسيابية ترتيب فحواه، وأثره في قوّة المناظرة، كما أنّه احتوى على شهادة أعداء أهل البيت بمقدار بلاغة السيّدّة زينب عليها السلام الإقناعية.

ينقل الرواة أنّه عندما أمر عبيد الله بإدخال ركب السبايا على مجلسه عنوة، كانت السيّدّة زينب عليها السلام قد تنكّرت حتى لا يعرفها الطاغية ابن زياد، لكنّه عرفها من الهيبة التي علتها، فأقبل عليها، وخاطبها شامتاً: «الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوثكم... فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يُفتضح الفاسق، ويكذّب الفاجر، وهو غيرنا، والحمد لله. فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ قالت: ... ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاج وتُخاصم، فانظر لمن الفلج^(١) يومئذٍ، هبلتك أمك يابن مرجانة... فغضب ابن زياد... فقال له عمر بن حريث: أيها الأمير، إنّها امرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها... فقال لها ابن زياد: قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك. فرقت زينب وبكت، وقالت له: لعمرى لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت. فقال ابن زياد: هذه سجّاعة، ولعمرى لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً. فقالت: ما للمرأة والسجّاعة، إنّ لي عن السجّاعة لشغلاً^(٢).

وما أستشفّه من النصّ هو كالآتي:

١- إنّ ردّها كان مؤثراً جداً في المتلقّين الذين حضروا المجلس، مملوءاً بالعزّة والإباء، فلقد أجادت فيه، واستعملت ألوان البلاغة الإقناعية في المناظرة؛ إذ

(١) الفَوْزُ وَالْعَلَبَةُ. أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٤٤٨.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ١٣٩.

انطلقت من صيغ الطاغية التركيبية لتفند فحوى أقواله، فحين حمد ابن زياد الله على باطل بقوله: «الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحدوثكم»، حمدت السيِّدة زينب عليها السلام الله تعالى على نعمائه قائلة: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبِيِّه محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا من الرجس تطهيراً»، وفندت ادّعاءه بنسبة الفضيحة لأهل البيت عليهم السلام، مستعملة أسلوب الحصر بقولها: «وإنما يُفتضح الفاسق، ويُكذب الفاجر، وهو غيرنا»، وقد قصدته بكلمة (غيرنا).

مع ملاحظة أنّها ختمت كلامها بمثل ما بدأت به، وهو حمد الله تعالى؛ للتأكيد على شدة إيمانها وشكرها لنعمائه تعالى بما خصَّهم به من فضائل، وجعل مَنْ عاداهم من أهل الرذائل المفتضحين، وهذا نوع من التكرار يسمّى بـ(ردّ العجز على الصدر)، فلم يرَ العدوُّ منها استسلاماً، بل الرضا الحقيقي بقضاء الله تعالى والتسليم له.

٢- أجابت السيِّدة عليها السلام عن تساؤل ابن زياد: «كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟»، منطلقة من ألفاظه أيضاً، مستعملة أسلوب القصر، وهو استعمال (ما) النافية و(إلا) التي تعني حصر المعنى بما خصَّ به، وذلك بقولها: (ما رأيت إلاً جميلاً)، أي: إنَّ كلَّ ما حصل في المعركة من مصير لأخي ومَنْ معه هو جميلٌ يُرَى الأعين. ويُستعمل هذا الأسلوب في العربية عادةً لتوكيد المعنى إن أحسَّ المتكلِّم أنَّ السامع لديه شكٌّ في صحّة كلامه.

٣- أفادت السيِّدة عليها السلام من أسلوب التفصيل بعد الإجمال الذي له أنواع متعدّدة، فاستعملت السيِّدة منها ما يُعرف بـ(شرح المجل)، إذ شرحت قولها: «ما رأيت إلاً جميلاً»، وفصلته بقولها: «هؤلاء قومٌ كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمعُ الله بينك وبينهم، فتُحاجُّ وتُحاصم»، وفي هذا التفصيل أخبار ابتدائية، وهي الأخبار التي ترد من دون توكيد؛ لأنَّ معانيها لا يشك فيها أحد من السامعين، فهي بديهيات، فجعلت السيِّدة عليها السلام جهاد أخيها عليه السلام وما حصل له بديهياً، وهو مما كتبه الله، ولا بدّ من التسليم به، كما أشرت إلى ذلك أعلاه.

كما أشارت عليها السلام إلى أن فعلته لا بد لها من حساب في يوم ينتصر فيه المظلوم من الظالم، عند ذلك سيواجه غضب الله تعالى، فكان السياق يستدعي مزجاً بين تلك الأخبار وبين أساليب الطلب، كالأمر في: «فَانظُرْ لِمَنْ الْفَلَجِ يَوْمَئِذٍ»، والدعاء عليه في: «هَبْلَتَكَ أُمَّكَ»، ومناداته بكنية هي أشد الكنى المأ عليه «يابنَ مرجانة»؛ لأنها ذكّرت به بأصله غير الشرعي.

٤- إنَّ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ عليها السلام لم تخش منه على الرغم من شهرته بالبطش الشديد، وهذا يدل على شجاعته المنقطعة النظير، تلك الشجاعة التي ورثتها من أبيها أمير المؤمنين عليه السلام كما ورثت بلاغته.

٥- إنَّ ما ورد في مناظرة السيِّدة من وسائل إقناعية قد أثر في الخصم والسامعين، فأدَّى إلى ردِّة فعل قوية؛ تدخَّل على إثرها رئيس الحرس، وهو عمرو بن حُرَيْث حيث هدَّاه بقوله: «أيها الأمير، إنها امرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها».

٦- إنَّ هزيمة ابن زياد أمام السيِّدة زَيْنَبَ عليها السلام أدَّت إلى عودته إلى التَّشْفِي بها قائلاً: «قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك»، فأجابته السيِّدة بقولها: «لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت»، فقد اشتمل ردِّها على أخبار مؤكِّدة بألوان من التوكيد، مثل (لعمري) و(اللام المؤكِّدة) و(قد) في (لقد)، وجعلت نهاياته مسجوعة، وفقراته متوازية في (قتلت كهلي) و(أبرزت أهلي) و(قطعت فرعي) و(اجتثت أصلي)، مع امتزاج ذلك بالشرط (فإن يشفك هذا فقد اشتفيت) الذي احتوى على بعض ما ورد في نص ابن زياد من ألفاظ مثل (شفى)، فأوردت منه الجناس الاشتقائي في (يشفك) و(اشتفيت)، جاعلة الأوَّل في جملة الشرط، والآخر في جملة جوابه، وهذا من أفضل طرق الردِّ في المناظرات.

٧- عبَّر ابن زياد عن شدَّة بلاغتها بوصفها بـ(السَّجَّاعة) التي تعني: التأتق في المنطق وتنغيمه، بدليل أنَّه ربط ذلك ببلاغة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام المشهور بتمكُّنه من

كل فنون البلاغة، أي: إتمها ورثته ذلك البليغ الذي لا يُشَقُّ له غبار، «هذه سَجَاعَة، ولعمري لقد كان أبوها سَجَاعاً شاعراً»، مستعملاً صيغة المبالغة (فَعَّال) في كلمتي (سَجَاعَة) و(سَجَاعاً)، وهذه الصيغة تدلُّ على الكثرة والمبالغة في المعنى الذي صيغت منه عند وصفه لها ولأبيها عليهما السلام.

فلم ترَضْ بذلك الوصف؛ لأنَّ لها قضية أكبر، ورسالة أكثر تأثيراً، فردَّت عليه مستعملة أسلوبَي الإنشاء والخبر، فالإنشاء الطلبي تمثّل في النداء في (يابن زياد)، والاستفهام الذي أدّى معنى التعجّب في (ما للمرأة والسَّجَاعَة)، والخبر الإنكاري في: (إنَّ لي عن السَّجَاعَة لشغلاً)، إذ أكّدت خبرها بـ (إنَّ واللام المرحلقة) التي دخلت على خبرها (لشغلاً)، فكان ردّها مقنعاً لسامعيها، وانتصارها ناطقاً بتمكّنها من أداء مهمّتها بمختلف الوسائل، بقوة الشخصية، وبالبلاغة الإقناعية العالية المؤثّرة التي هي امتداد للبلاغة النبويّة والإمامية.

المبحث الثالث: وسائل الإقناع البيانية

أقصد بها الوسائل التي كان التصوير فيها أداة لإقناع السامعين، وليس مثلما هو معروف ممّا يأتي به المبدع لرسم صور تُظهر إبداعه بأبهى حلّة. ومما ينبغي معرفته أنّ فنّ الخطابة يستدعي قلّة الجانب التصويري، ولا سيّما إذا كانت الموضوعات التي يتحدّث عنها الخطيب تبين حقائق ملتبسة، أو توضّح مواقف مهتّزة منافقة؛ وذلك لأنّ التصوير يستدعي وفرة الخيال التي تخلق الفهم المتعدّد لحقيقة واحدة، والخطيب يريد الواقعية في الكلام، والموضوعية في تناول؛ لذا كان ماثور العقيلة قليل الوسائل التصويرية قياساً بما ورد من الوسائل التركيبية والسياقية التي لا يخلو منها سطر من ذلك الماثور النفيس؛ لأنّ هذه الوسائل أكثر تأثيراً في الإقناع، لما فيها من اختيار التراكيب المؤكّدة، أو انتقاء الأساليب الصوتية الملفّته للانتباه.

لكن هذا لا يعني عدم إفادة السيّدة من طاقات التصوير الإقناعية، غير أنّي وجدت

تصويرها بطرائقه المتنوعة جاء ضمن نصوص احتوت حججاً وأدلة امتزجت بألوان
إقناعية أخرى تركيبية وسياقية تعزز دلالاتها، وتجعلها أكثر قبولا لدى المتلقين.

ومن أظهر ما أفادت منه:

التشبيه

ورد التشبيه في مآثور العقيلة في خطبتها في الكوفة فقط، وكانت له آثاره في الإقناع
وتنبيه المتلقين أو المستمعين - وهم أهل الكوفة - إلى واقع مرّ كان سببه لهاثمهم وراء
الدنيا، وعدم التزامهم الديني، وتضييعهم من كان ينبغي لهم التمسك به بقوة، وهذا
لا يفعله إلا السفهاء.

ومن أنواعه:

التشبيه التمثيلي

وهو أكثر أنواع التشبيه رسماً للصور التي يريد المبدع إيصالها؛ وقد أوردت
السيدة عليها السلام منه أنموذجاً إقناعياً واحداً أرادت السيدة منه كشف زيف شرار أهل
الكوفة، وتلوّنهم وسفهمهم، فأفادت من طاقات التشبيه التمثيلي، لتجسد في أذهان
المتلقين صورة عرفها المسلمون، هي أشبه بحالة أهل الكوفة، حيث تقول: «أما بعد،
يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل... إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها
من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيانكم دخلاً بينكم»^(١)، الذين كتبوا للإمام الحسين عليه السلام
المواثيق الغليظة بإصرارهم على قدومه، ثم نقضوا عهودهم وقتلوه.

والملاحظ على النصّ ما يأتي:

١- إنّ التشبيه جاء ضمن مجموعة أساليب أدّت إلى إقناع أهل الكوفة بسوء ما
قاموا به والجرم الكبير الذي اقترفوه، بدليل أنّهم لم يردّوا على تبريع السيدة زينب عليها السلام
لهم بغير الدموع التي ذرفوها ندماً، ومما يدلّ على ذلك قول السيدة عليها السلام لهم في

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩-٣٠.

الخطبة ذاتها: «أتبعون أخي؟! أجل والله، فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً...»^(١).

٢- زوجت السيِّدة زينب عليها السلام في هذا النصِّ بين طاقات التركيب والسياق والتصوير، فقد بدأت بالشرط في (أمَّا بعد)، وأردفته بالنداء المتكرِّر في (يا أهل الكوفة)، و(يا أهل الغدر والختل والخذل).

٣- جاء تشبيه السيِّدة زينب عليها السلام حال أهل الكوفة مستفاداً من التشبيه القرآني الذي يحوي صورة تنطبق على حال المخاطبين، وهي صورة امرأة حمقاء ضُربَتْ مثلاً، كانت تغزل الشعر؛ فإذا غزلته فأصبح قوياً مشدوداً نقضته، ثمَّ عادت فغزلته^(٢)، فبعدما عاهدوا الإمام الحسين عليه السلام عهداً موثّقاً على النصره نقضوا العهد وقتلوه، وجعلوا أيّامهم خديعة وغشاً وغدرًا^(٣).

وقد أحسنت السيِّدة بهذا التناصُّ الذي يدلُّ على أنَّ أهل الكوفة عملوا بما نهى الله تعالى المؤمنين عن إتيانه، فنص الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ﴾، بينما حاورت السيِّدة عليها السلام أهل الكوفة بأسلوب الحصر (إنّما) حين قالت: «إنّما مثلكم كمثل التي نقضت...»، مؤكِّدة إتيانهم ما يغضب الله تعالى باتّباع نواهيه. فالتشبيه كان طريقاً لإثبات حالة قائمة حاول المزيّفون إنكارها من دون جدوى.

التشبيه الحسيّ المفرد

ورد تشبيهان حسيّان مفردان متتاليان في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام في الكوفة، جاء بعد التشبيه الذي تناولناه في النوع السابق، وهو قولها واصفة أهل الكوفة: «هل فيكم

(١) المصدر السابق: ص ٣٠.

(٢) أنظر: ابن أبي زَمِين، محمد بن عبد الله، تفسير القرآن العزيز: ج ٢، ص ٤١٦.

(٣) أنظر: الماوردي، علي بن محمد، تفسير الماوردي (النكت والعيون): ج ٣، ص ٢١١، حيث أورد لآية الكريمة ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ﴾ ستّة معانٍ.

إِلَّا الصلف، والعجب، والشنف، والكذب، وملق الإمام، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة»^(١).

والملاحظ في النص ما يأتي:

١- أشارت السيِّدة عليها السلام إلى سوء أهل الكوفة، بحيث حصرتهم في أوصاف تنطبق عليهم، فهم إمَّا صلف كثير الخيلاء، أي: عَجِبُ بنفسه، أو موغل في حقه، شديد الكذب، وذلك باستعمال أسلوب الحصر الذي يفيد توكيد المعنى المحصور، وتآصافهم التام بذلك المعنى.

٢- أردفت السيِّدة زينب عليها السلام هذا الحصر بكنائتين، هما (ملق الإمام) و(غمز الأعداء)، فالأولى كناية عن رضا الكوفيين بالذلل والهوان، والثانية عن احتقار الأعداء لهم، واستصغارهم شأنهم.

وقد جاءت الكنائتان في معرض تفصيل السيِّدة عليها السلام وصف أهل الكوفة، فهم أذلاء، يعرفون احتقار الأمويين لهم، وعلى الرغم من ذلك يتملِّقون كتملِّق الإمام لهم خوفاً، فلا يستحقِّقون أن يُكلِّموا كما يُكلِّم المحترمون، بل ينادونهم بالغمز والإشارة؛ لصغر حجمهم، وهم راضون بذلك.

٣- ورد تشبيهان حسيان متتاليان بعد الكنائتين، وهما (كمرعى على دمنة)، (أو كفضة على ملحودة)، والغرض منهما تقبيح صورة أهل الكوفة، فمهما عملوا فلن تتحسن تلك الصورة، وإن حاولوا إخفاء الحقيقة أو تناسيها، فمحاولتهم تحسينها محاولة غير مقنعة، وليست محببة، فهم كخضرة أصلها قدر، وفضة وُضعت على قبر، ولا يختلف اثنان في قبحهما النفسي.

كما ورد مثلان آخران متتابعان عند تصويرها كبر جريمة شرار أهل الكوفة، وسأوردهما ضمن سياقهما: «**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَ**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرِجُ الْجِبَالَ هَدًّا^(١)، لقد جئتم بها شوهاء صلعاء، عنقاء سوداء،

فقهاء خرقاء، كطِلاع الأرض، أو مِلء السماء^(٢).

والملاحظ في النص ما يأتي:

١- عملت السيِّدة زينب عليها السلام تناصاً مع القرآن الكريم في قولها: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرِجُ الْجِبَالَ هَدًّا﴾^(٣)، فقد

جاءت بالنص القرآني كما هو، وقد جاء بعد بيان الله تعالى عظم ادِّعاء أن للرحمن ولداً، فكأنها أرادت أن تجعل عظم الجريمة المقترفة بحق أهل البيت عليهم السلام مساوياً لعظم ذلك الادِّعاء.

٢- أوردت السيِّدة عليها السلام أوصافاً لتلك الجريمة بألفاظ متتالية من غير عطف، يدلُّ جرسها الشديد على معانيها الموحية بقبح الفعل، وشدة آثارها، وجاءت على وزن تفضيل واحد (فَعْلَاء)، وهي: (شوهاء، صلعاء، عنقاء، سوداء، فقهاء، خرقاء)^(٤)؛ لتوكيد تلك المعاني مجتمعة وبلوغها الدرجة القصوى في دلالتها.

٣- جاء التشبيهان بعد هذه الأوصاف متتالين في قولها: (كطِلاع الأرض، أو مِلء السماء)؛ ليدلَّا على أن حجم هذه الجريمة أكبر من الوصف أو التشبيه بحجم معيَّن، بل هي بحجم ما يخرج من الأرض ويملأ السماء، ويبدو لي أن علة تتالي التشبيه هي إيضاح الصورة الضبابية لأهل الكوفة، وترسيخها وتوكيدها على طريقة القرآن الكريم في رسم صورة المنافقين بتشبيهين متتالين^(٥).

(١) مريم: آية ٨٩-٩٠.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٣) مريم: آية ٨٩-٩٠.

(٤) شوهاء: قبيحة. أنظر: ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص: ج ١، ص ٢٣٦. «صَلْعَاء: أي بارزة ظاهرة، لا يخفى أمرها». «فَأَمَّا الْعَنْقَاءُ فَيُقَالُ هِيَ الدَّاهِيَةُ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ تَقْبِيحاً وَتَهْوِيلاً». ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٣٠٤، وج ٤، ص ١٦٣. فقهاء: عوجاء مخالفة، وخرقاء: متسعة الشق، أنظر: الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة: ص ٧٢٤، وص ٢٢٥.

(٥) كما في سورة البقرة: آية ١٧-٢٠.

الاستعارة

وهي من وسائل التصوير المهمة التي أشار النقاد إلى قيمتها الفنية قديماً وحديثاً^(١)؛ لأنّ تفاعل الدلالات وتداخلها يتحقق فيها أكثر من غيرها من الوسائل، لأنّها من أعمدة الكلام، وعليها المعوّل في التوسّع والتصرّف، وبها يتوصّل إلى بيان أثر اللفظ في الإبداع نظماً ونثراً^(٢)، وقد ورد استئثار السيّدة زينب عليها السلام لطاقت الاستعارة التصويرية الإقناعية في خطبتها في الكوفة والشام، وسأخصّ بالتناول خطبتها في الشام؛ لأنّها وظّفت الاستعارة فيها بشكل ملحوظ في مثل قولها: «وكيف تُرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء»^(٣)، فقد ورد في النصّ استعمال الاستعارة المكنية^(٤)، لإبراز صفة الحقد المتجذّرة في التركيب الوراثي ليزيد في قولها: (لفظ فوه أكباد الأزكياء) و(نبت لحمه بدماء السّعداء)، فمفم يزيد هو امتداد لفم جدّته (هند) آكلة الأكباد، التي أخرجت كبد سيّد الشهداء حمزة عليه السلام لتأكله ثأراً لقتلاها يوم بدر، لولا أنّ الله تعالى حوّل حوّل حجرراً في فمها فرمته، وبقي الدم في فمها، فكان من الطبيعي أن يكون لحم حفيدها (يزيد) مسقيماً من دماء الشهداء السعداء.

فمن خلال الاستعارتين اللّتين سُبقتا بالاستفهام بـ(أتى)، وهي تعني (كيف)، التي ارتبطت بالفعل المبني للمجهول (تُرتجى)، عزّزت عليها السلام دلالة التساؤل الممتد عبر العصور التي تقرأ أجيالها هذه الحادثة، ولو عبّرت عليها السلام بشكل تقريرى من دون تصوير، لما أفصحت عن المعنى كما تبيّن من خلال التصوير الإقناعي للاستعارة.

-
- (١) أنظر: القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبّي وخصومه: ص ٤٣٨. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين: ص ٢٦٨.
- (٢) أنظر: القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبّي وخصومه: ص ٤٣٨.
- (٣) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٢١٦.
- (٤) الاستعارة المكنية: هي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه. أنظر: عتيق، عبد العزيز، علم البيان: ص ١٧١.

كما ورد في الخطبة ذاتها: «فهذه الأيدي تنطف^(١) من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا»^(٢)، ففي النصّ استعارتان صوّرتا جريمة أعداء أهل البيت (تنطف من دمائنا) و(تتحلّب من لحومنا)، فأيديهم تسيل دماً من أهل البيت عليهم السلام، وتجتمع على الشرّ لتمزيق لحومهم الطاهرة، فقد رسمت الاستعارة صورة إقناعية تجسّد إيغال آل أمية في التنكيل بأهل البيت عليهم السلام.

وقولها أيضاً: «وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها أمهات الفراعل»^(٣)، وهي تتحدّث عن الأجساد الطاهرة لشهداء الطف، وكيف قطّعتها سيوف الأعداء، ورصّتها خيولهم، إذ شبّهت القتلة بالذئاب، فحذفت المشبّه وأبقت المشبّه به، وهو (العواسل)، وشبّهت من رصّ صدور الشهداء بخيله بأمهات الضباع، فحذفت المشبّه وأبقت المشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحية^(٤). فكان التصوير طريقاً لإقناع متلقي خطب السيدة بإجرام المعتدين، وبيان مبلغ تعدّيهم، وكشف زيفهم، وإيضاح الصورة الحقيقية لأهل البيت عليهم السلام.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في مآثور السيدة زينب عليها السلام الغني بأفكاره وحججه ولغته البليغة لا بدّ من إبراز نتائج خلصت إليها، من أهمّها ما يأتي:

١- لأهل البيت عليهم السلام - نساءً ورجالاً - مهات إلهية قاموا بها لإصلاح الدين، وبناء

(١) تنطف: تتلطف بالعيب، وتتحلّب، أي: يرشح ماؤها. أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٩، ص ٣٣٤، وج ٦، ص ٣٤٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ص ٢١٧. العواسل: الذئاب. أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٤٤٤.

(٤) «وهي التي يُصرّح فيها بذات اللفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبّه به حين كان الكلام تشبيهاً». حَبْنَكَة الميداني، عبد الرحمن بن حسن، البلاغة العربية: ج ٢، ص ٢٤٢.

نفوس الناس على أسس سليمة، فكان للسيدة زينب عليها السلام النصيب الأوفر من ذلك في واقعة الطف، سواء في القيادة الحكيمة، أم في المحافظة على الإمام زين العابدين عليه السلام وركب السبايا، أو مناظرة الخصوم الذين زيقوا الحقائق على الناس، وإفحامهم وهزيمتهم في قصورهم التي حاولوا فيها جاهدين النيل من أهل البيت عليهم السلام من غير جدوى.

٢- لقد تميّز خطاب السيدة زينب عليها السلام بفصاحة الألفاظ، وبلاغة العبارات، والدقة في استعمال كل أسلوب في موضعه بحسب ما يقتضي السياق على وفق مقتضى الحال، مع استعانة كبيرة بالقرآن الكريم، تُفصِّحُ عن كونها من أهل البيت عليهم السلام، وهم عدل القرآن الكريم؛ لذلك استعملت السيدة من هذه الأساليب البلاغية ما كان أكثر إقناعاً وتأثيراً، ولقد اعترف أعداؤها بتلك البلاغة، كعبيد الله بن زياد، كما اعترف المتلقون ممّن سمعوا خطبتها، كحُذَيم الأسدي الذي ربط بلاغتها ببلاغة أبيها سيّد البطولة والبلاغة.

٣- لقد أدركت السيدة زينب عليها السلام بفكرها الثاقب أهمية توضيح الحقائق للناس المضلّين، وبيان معالم ثورة أخيها المباركة، من خلال الردّ على الخصوم بالحجّة التي تخلّلها الوصف والحوار، والإفادة ممّا وهبها الله من نبوغ، تمكّنت من خلاله من تسخير طاقات اللغة العربية، والإفادة من البنى التركيبية في إفحام الخصم، وإيضاح معالم نهضة الحسين عليه السلام المباركة، ليس لأهل عصرها وحسب، وإنّما للأجيال القادمة التي أعطتها دروساً، ومن بينها عصرنا الحالي، فنحن أحوج ما نكون إلى مثال يُحتذى في رفض الظلم ومقارعته والثورة عليه، مهما علا صوته، واشتدّت سطوته.

٤- استعملت السيدة أبواب الإقناع البلاغية المتنوّعة، سياقية وتركيبية وتصويرية، وغالباً ما جعلتها متعاونة في رفق نصوصها بالإقناع الذي كانت ترمي إليه؛ لذلك كان من الصعب تناول هذه الوسائل منفردة، غير أنّي ورّعتها على المباحث بحسب التأثير الأكبر للجزئية التي تناولتها.

٥- لقد ظهرت الآيات القرآنية الكريمة في جميع مآثور السيّدة زينب عليها السلام، لتفصح عن مدى ارتباطها بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنّ الحجج القرآنية مما يجمع عليه المسلمون، مهما اختلفت مشارب أفكارهم، وقد استعملت التناصّ القرآني بأنواعه المختلفة التي تراوحت بين الاستعمال النصّي الكامل، أو الاستعمال الذي اعتراه توليف على أساس أنّ المتصرّف به غير القرآن، وأنّ الإفادة منه ممّا لا يستغني عنها أيّ بليغ، بوصف هذا الكتاب العظيم نصّاً عربياً في أعلى درجات البلاغة والإقناع.

٦- برزت عناية السيّدة بوسائل الإقناع التركيبية بشكل كبير؛ نظراً لأهمّية تأثير هذه الوسائل وما فيها من مرتكزات في أفهام المخاطبين وإقناعهم بما تورده من حجج، وبما يحمله من ألوان التوكيد التي تُقنع السامعين بحججها العقلية والنقلية، وتليها الوسائل البديعية، صوتية كانت أم سياقية، فقد استثمرتها السيّدة وسخرتها لإقناع السامعين بأحقّية أهل البيت عليهم السلام، وما لحقهم من ظلم المفسدين الظالمين.

٧- ورد مستوى التصوير بشكل أقلّ من سابقه؛ لأنّ الموضوعات التي تحدّثت فيها السيّدة تبين حقائق ملتبسة، وتوضّح مواقف مهتزة منافقة؛ والتصوير يستدعي وفرة الخيال التي تخلق الفهم المتعدّد لحقيقة واحدة، بينما هي تريد الواقعية في الكلام، والموضوعية في تناول، ومع ذلك فقد أفادت السيّدة زينب عليها السلام من هذا المستوى بما يرسم الصورة التي تقنع المتلقّي بأحقّية أهل البيت عليهم السلام وزيف أعدائهم.

٨- لم تبلغ في البلاغة العربية امرأة تضارع ما بلغته السيّدة زينب عليها السلام غير أمّها السيّدة الزهراء عليها السلام؛ ممّا يدلّ على تأثر البنت بأمّها وأبيها أمير المؤمنين عليهما السلام جميعاً، وقد كانت النهضة الحسينية تحتاج إلى امرأة من هذا النوع، تُلقَى على عاتقها مسؤولية إتمام الثورة الحسينية المباركة.

٩- لا بدّ للمرأة المؤمنة اليوم أن تتخذ من السيّدة زينب عليها السلام أسوة حسنة لها في

شجاعتهَا وعَفَّتْهَا وبلاغتْهَا وحكمتْهَا وتحملْهَا المسؤُولية وعدم التسليم للطغاة، ولا سِيَّما أَننا نَمَرُّ اليوم بظروف مشابهة تستلزم هذا الاتِّباع المبارك، لتتمكَّن من حماية بلدنا وأُسْرِنَا وأفكارنا من التضليل والتعتيم، ولا بدَّ لها أن تُسلِّح نفسها بالعلم النافع والدين القويم، وتلتزم بحجابهَا واتِّزانها، مهما كان حجم التحدِّيات كبيراً؛ لتكون أهلاً للقيادة، سواء في السياسة، أم في قيادة المؤسسات، وأن تنمِّي شجاعتهَا، ولا تحشى في الله لومة لائم.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليقات وملاحظات: السيّد محمد باقر الخراسان، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- ٢ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ٣ - أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ٤ - أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٥ - الإيضاح، شرح مقامات الحريري، أبو الفتح ناصر بن عبد السيّد المطرزي (ت ٦١٠هـ)، دراسة وتحقيق: فراس عبد الرحمن النجار، أطروحة دكتوراه، كُلية التربية، ٢٠٠٥م.

- ٦ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٧ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ) مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٨ - البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٩ - تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ١٠ - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم المعروف بابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- ١١ - تطوّر الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- ١٢ - التعريفات (معجم في المصطلحات)، الشريف الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالسيّد الشريف (ت ٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ١٣ - تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، مصر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ١٤ - تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيّد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٥ - حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار النشر، بغداد، ١٩٨٠م.

١٦ - رسالة منازل الحروف، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، د. ت.

١٧ - زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيّد محمد كاظم القزويني، حققه وعلّق عليه: السيّد مصطفى القزويني، دار المرتضى، بيروت، لبنان.

١٨ - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٩ - العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربّه المعروف بابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٠ - علم البيان، عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٢م.

٢١ - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٢٢ - في بلاغة الحجاج والإقناع، أيمن أبو مصطفى، رسالة لنيل درجة الماجستير، نشرت المقدمة على موقع ملتقى أهل التفسير:

<https://vb.tafsir.net/tafsir35355/#.XBdV5FVKJIU>

٢٣ - كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٤ - كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د. ت.

٢٥ - مشير الأحزان، نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نهار الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٢٦ - المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٧ - المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٩ - معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٠ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣١ - مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٢ - الملهوف على قتلى الطفوف، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق وتقديم: الشيخ فارس تبريزيان (الحسون)، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.

٣٣ - موسوعة عاشوراء، جواد محدثي، ترجمة: خليل زامل العصامي، دار الرسول الأكرم، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٤- نظرية الأدب، رينيه ويليك، أوستن وارن، ترجمة: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٥- نهاية الإرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٦- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، د. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥م، (د.ط.).

٣٧- الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت.

قبس من القرآن الكريم ونهج البلاغة في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد

د. زهور كاظم زعيميان*

المقدمة

خطبة السيّدة زينب عليها السلام وثيقة تاريخية مهمة تنقل لنا الأجواء التي عاشتها حفيدة رسول الله صلى الله عليه وآله في أشد الظروف وأحلكها بعد شهادة أخيها سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وأولادها وأبناء إختها، وبعد سبي النساء والأطفال وقطعهم مسافة تزيد على ألف كيلو متر مقيدّين بالسلاسل والحبال. وفي مثل هذه الظروف برزت لبوة بني هاشم لتخطب بصرخة مدوية هزّت أركان عروش الطغاة.

وقد اشتملت هذه الخطبة على ألفاظ ومصطلحات في غاية البلاغة والفصاحة، وفي أجواء عصبية ورغم كل الظروف ألقى السيّدة زينب عليها السلام خطبتها المدوية ولا يمكننا إلا أن نسمّيها (الخطبة الخالدة)، فالأجيال ما زالت ترددها على مرّ العصور: «وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدّد، وجمعك إلا بدّد...»، وتحفظ كلماتها: «فو الله، لا تمحو ذكّرنا».

فالواقع يحدّثنا بأنّ الذي يقع في مصيبة يحصل له تغيير في أسلوبه، وإنّي لأذكر بعد أن استشهد أخي في الحرب نسيت سورة الحمد أثناء تأدية الصلاة، فكيف هو حال السيّدة زينب عليها السلام وقد فقدت إختها وأولادها وأبناء إختها أمام ناظرها وبطريقة

بشعة، ورغم ذلك أتت بخطبة قلّ نظيرها من حيث الألفاظ والبلاغة. وأنا أحاول في هذا المقال المتواضع أن أضع جملة من ألفاظ الخطبة الزينية المقتبسة من القرآن ونهج البلاغة بين يدي القارئ الكريم، ومن الله نستمدّ العون.

فسلام الله على السيّدة زينب عليها السلام جبل الصبر، وعلى جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى أمّها فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة النساء، وعلى أخويها الحسن والحسين عليهما السلام.

أهمية البحث

الكثير من الناس يسأل عن السرّ في اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام للنساء والأطفال، ومن خلال هذه الخطبة يتبيّن لنا الدور الفعّال في نقل الوقائع والأحداث عن طريق العائلة، فضلاً عن حيلولة السيّدة زينب دون قتل الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عندما أمر اللعين بقتله. وقد سأل محمد بن الحنفية أخاه الحسين عليه السلام: «ما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ [فأجابه:] إن الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»^(١).

وجدير بالذكر أن نعلم بأنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت إعلامية ناجحة في عصرها، ناجحة بتحديد المنتصر والخاسر الحقيقي، وبعرضها للمعركة بأسلوبها المتين وبيانها الفصيح، وبقوّتها ورباطة جأشها، رغم المصائب التي ألمّت بها يوم الطف. ويتّضح لنا مما ورثته السيّدة زينب عليها السلام من بلاغة أبيها عليه السلام أنّها تستحقّ وبجدارة أن تكون من (الخالدات في الإسلام)، وأنّها توهّجت بلسانها في مجلس طاغية عصرها لتفضحه على رؤوس الشهداء.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٢٨.

أهداف البحث

في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام رسالة لنساء العالم ودعوة للحضور في المجالس الدينية، وبيان دور نساء أهل البيت عليهم السلام في القرن الأول من الهجرة، وأن المرأة ملزمة بأداء دورها في الحياة بكل جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وأنها مكلفة شأنها شأن النساء في زمان رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم).

وإذا ما راجعنا كتب التاريخ لوجدنا ما للنساء من دور مهم في مساندة الرجال، فقد ساندت السيِّدة خديجة عليها السلام زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وساندت السيِّدة الزهراء عليها السلام زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، ولها خطبة عصماء نقلتها كتب التاريخ، وكذلك حذت السيِّدة زينب حذو أمها وجدتها (صلوات الله عليهن) في مساندتها لأخيها الحسين عليه السلام.

كما وأدعو المسؤولين عن المناهج الدراسية إلى أن توضع خطبة السيِّدة زينب عليها السلام في كتب الأدب، ودراستها من عدة جوانب؛ لأهميتها واحتوائها على الكثير من الحقائق التاريخية والمفردات والألفاظ الجميلة، وكذلك ما فيها من جرأة وارتجال أمام الطاغية.

خطبة السيِّدة زينب عليها السلام

وقد ابتدأتها معرفة بنفسها وذلك بالسلام على جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك بعد أن وضع يزيد رأس أخيها الحسين في طست، وتناول عصا وأخذ يضرب بها شفتي الحسين عليه السلام وثناياه وهو يقول:

ليت أشياخي بيدٍ شهدوا	جزع الخزرج في وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتكم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحا	ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل^(١)

«وقيل: إن يزيد لما رأى رأس الحسين، قال: أتدرون من أين أتى ابن فاطمة؟ وما الحامل له على ما فعل؟ وما الذي أوقعه فيها وقع فيه؟ قالوا: لا. قال: يزعم أن أباه خير من أبي، وأمه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خير من أمي، وجدّه رسول الله خير من جدّي، وأنه خير منّي وأحق بهذا الأمر منّي»^(٢).

فقامت السيّدة زينب عليها السلام، وقالت: «الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ اسْتَوَأُوا السَّوَآتَى أَنْ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣)، أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تُساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرِكَ عنده؟! فشَمَخْتَ بأنفِكَ، ونظرت في عطفِكَ، جَذلانَ مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مُستوسِقة، والأمور مُتسِقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً! أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٤)! أمِن العدلِ، يابنَ الطُّلُقَاءِ، تخديركَ حرائركَ وإماءك، وسوقك بناتِ رسولِ الله سبايا! قد هُتِكتِ سُتورُهُنَّ، وأبديت وجوهُهُنَّ، تُخدُو بهنَّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنَّ أهلُ المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنَّ القريب والبعيد، والذنيّ والشريف، ليس معهنَّ من رجالهنَّ وليّ، ولا من مُحمّاتهنَّ حميّي، وكيف يُرتجى مراقبةٌ من لفظُ فوهُ أكباد الأزكياء،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٨، ص ١٨٧.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٣) الروم آية ١٠.

(٤) آل عمران آية ١٧٨.

وَنَبَتْ لَحْمَهُ بِدَمَاءِ الشَّهْدَاءِ؟! وَكَيْفَ يُسْتَبْطَىٰ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالسَّنَفِ
وَالسَّنَانِ، وَالإِخْنَ وَالأَضْغَانَ؟! ثُمَّ تَقُولُ غَيْرَ مَتَأْتُمْ وَلَا مُسْتَعْظِمَ:

وَأَهْلُوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تُشَلْ

مُتَّحِيًا عَلَى ثَنِيَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ - تَنَكُّتَهَا بِمِخْصَرَتِكَ، وَكَيْفَ
لَا تَقُولُ ذَلِكَ وَقَدْ نَكَاتَ الْقَرْحَةَ، وَاسْتَأْصَلْتَ الشَّافَةَ بِإِرَاقَتِكَ دَمَاءَ ذَرِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَنَجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَتَهْتَفُ بِأَشْيَاخِكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنَادِيهِمْ، فَلْتَرِدَنَّ
وَشِيكًا مَوْرِدَهُمْ، وَلْتَوَدِّدَنَّ أَنَّكَ سُئِلْتَ وَبُكِّمْتَ، وَلَمْ يَكُنْ قَلْتَ مَا قَلْتَ وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ.
اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا، وَانْتَقِمْ مِمَّنْ ظَلَمْنَا، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دَمَاءَنَا وَقَتَلَ حُمَاتَنَا،
فَوَ اللَّهُ، مَا فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا جَزَزْتَ إِلَّا لِحْمَكَ، وَلْتَرِدَنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِمَا تَحَمَّلْتَ
مِنْ سَفَكِ دَمَاءِ ذَرِيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عِزَّتِهِ وَحُكْمَتِهِ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ،
وَيَلْمُ شَعَثَهُمْ، وَيَأْخُذُ بِحَقِّهِمْ.. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١). حَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِمًا، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِيمًا، وَبِجَبْرِئِيلَ ظَهِيرًا، وَسَيَعْلَمُ مَنْ
بِوَأُكِّ وَمَكْنَكُ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ، بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، وَأَيْكُمُ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا.
وَلِئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مَخَاطِبَتِكَ، إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظُمُ تَقْرِيْعَكَ، وَأَسْتَكْبِرُ
تَوْبِيْخَكَ، لَكِنَّ الْعَيُونَ عَبْرِي، وَالصُّدُورُ حَرِّي، أَلَا فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ
اللَّهِ النَّجْبَاءِ بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الطَّلَقَاءِ! فَهَذِهِ الْأَيْدِي تَنْطِفُ مِنْ دِمَائِنَا، وَالْأَفْوَاهُ تَتَحَلَّبُ
مِنْ لَحُومِنَا، وَتَلِكُ الْجِثَّةُ الطَّوَاهِرُ الزَّوَاكِي تَنْتَابُهَا الْعَوَاسِلُ، وَتَهْفُوهَا أُمَّهَاتُ الْفِرَاعِلِ،
وَلِئِنْ اتَّخَذْنَا مَغْنَمًا، لَتَجِدْنَا وَشِيكًا مَغْرَمًا، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ، ﴿وَمَا رَبُّكَ
بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فَإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكِي وَعَلِيهِ الْمَعْوَلُ، فَكِدْ كَيْدَكَ، وَاسْعَ سَعِيكَ، وَنَاصِبْ
جَهْدَكَ، فَوَ اللَّهُ، لَا تَمَحُو ذِكْرَنَا، وَلَا تُئْمِتْ وَحِينَنَا، وَلَا تُدْرِكْ أَمَدَنَا، وَلَا تَرَحُّصْ عَنكَ

(١) آل عمران: آية ١٦٩.

عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

وكانت السيِّدة زينب عليها السلام تمتلك القوَّة والشجاعة والبلاغة؛ وذلك بإعلانها كفر يزيد من خلال ذكرها آية من سورة الروم، حيث جاء فيها: ﴿عَقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَرُوا السُّورَى﴾ وهي جهنم عليها السلام، والذين أسأوا وهم المشركون الذين كذبوا في الدنيا بآيات الله، ﴿وَكَانُوا بِهَاِِيسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: كانوا من حجج الله - وهم أنبيأؤه ورسله - يسخرون^(٢).

وسوف أنتخب ألفاظاً وردت في خطبتها عليها السلام وكأنتها منتقاة من القرآن الكريم ونهج البلاغة، وأحاول أن أبين الأماكن المقتبسة منها مع بيان لغوي لكل لفظة:

الألفاظ المقتبسة

• متسقة: في قولها: «والأُمور لديك متسقة»، أي: منتظمة ومجمعة^(٣)، وقد جاءت في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اسْتَقَّ﴾^(٤)، أي: إذا تم واجتمع واستوى^(٥)، بمعنى: أنك

(١) روى هذه الخطبة: الطبرسي في الاحتجاج: ص ٣٥، والسيِّد ابن طاووس في اللهوف: ص ١٦٣. وابن طيفور في بلاغات النساء: ص ٧٠-٧٣. وأبو سعيد الآبي في نثر الدر: ج ٤، ص ٢٦. وابن حمدون في التذكرة الحمدونية: ج ٦، ص ٢٦٢، رقم ٦٣١. والخوازمي في مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٤. ومحمد رضا كحالة في أعلام النساء: ج ٢، ص ٥٠٤. وابن نما في مثير الأحزان: ص ٨٠.
(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٢٠، ص ٧٩. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٤، ص ١١.
(٣) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ٣٧٨-٣٩٠.
(٤) الانشقاق: آية ١٨.

(٥) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٢٤، ص ٣٢١. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٩، ص ٢٣٩.

رأيت الأمور لديك منتظمة وعلى ما تحب وترضى، وعلى ما يرام بالنسبة إليك، فكل شيء يجري كما تريد^(١).

● نَسَاق: في قولها: «فأصبحنا نَسَاق كما نَسَاق الأَسارى» وهي تصف حالها وحال مَنْ معها بأنهم يُسَاقون كالأسرى القادمين من بلاد الكفر عند فتحها. حيث كانت السيدة زينب عليها السلام وجميع أفراد العائلة ومعهم الإمام زين العابدين عليه السلام مقيدتين بحبل واحد، والنَسَاق: هو الذي يُجَبَّر أو يُحْتَّ على المسير، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يُجَدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٢)^(٣). وقيل للمهر: سَوْقٌ؛ لأنَّ العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرًا^(٤).

● هوان: في قولها: «أَنْ بَنَا مِنْ اللَّهِ هَوَانًا، وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةٌ وَامْتِنَانًا»، فهل تعتقد بفعلتك هذه قد يصيبنا الهون، والهونُ: هو الخِزْي. ففي التنزيل العزيز: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَعَقَةً الْعَذَابِ أَلْهُونُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٥)، أي: ذي الخزي. والهونُ والهوانُ: نقيض العزِّ^(٦). وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعصى إلا فيها، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها»^(٧).

● أقطار: في قولها: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض»، وفي هذه العبارة الجريئة خاطبت الطاغوت باسمه (يزيد) احتقاراً واستصغاراً. والقطر كما جاء

(١) أنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهدي إلى اللحد: ص ٤١٤.

(٢) الأنفال: آية ٦.

(٣) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٤، ص ٣١٧.

(٤) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ١٦٦. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ٤٢٤.

(٥) فصلت: آية ١٧.

(٦) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٣، ص ٤٣٨.

(٧) البحراني، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٥، ص ٤٣٥.

في لسان العرب: «الناحية والجانب، والجمع أقطار»^(١). وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنوَاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾^(٢)، أي: جوانبها ونواحيها^(٣) وقيل البيوت^(٤). وقال تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾^(٥). أقطار السموات أي: أطرافها^(٦).

• آفاق: في قولها: «وآفاق السماء»، وآفاق لفظة قرآنية، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٧)، وآفاق السماوات: نجومها وشمسها وقمرها^(٨)، وقيل: الآفاق، أي: النواحي^(٩). وقال أمير المؤمنين في نهج البلاغة: «وإن الآفاق قد أعامت. وقد شبه الآفاق بالسماء، فاستعار لها لفظة الغيم لما غشاها من ظلمات الظلم والجهل»^(١٠). وقال أيضاً: «وخرق العجاج في آفاقها»^(١١). وقال كذلك: «عن ريف الآفاق»^(١٢).

• الطلقاء: في قولها: «أمن العدل يابن الطلقاء»، هنا تردّد على الطاغية يزيد بعد أن تشمّت بأل رسول الله ﷺ، وأنه قد خطط مسبقاً للانتقام منهم؛ ثاراً لجدّه أبي سفيان،

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ١٠٦.

(٢) الأحزاب: آية ١٤.

(٣) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٢٠، ص ٢٢٧.

(٤) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٤، ص ١٣٨.

(٥) الرحمن: آية ٣٣.

(٦) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٢٣، ص ٤٤.

(٧) فصلت: آية ٥٣.

(٨) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٢١، ص ٤٩٤.

(٩) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٥، ص ٣٣٤.

(١٠) البحري، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٣٨٥.

(١١) المصدر السابق: ص ٣٦٦.

(١٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٢٨٩، خطبة الأصقاع.

فتذكره بأنَّ جدّه كان من الطلقاء؛ وهو أكبر دليل على أنّ الله سبحانه وتعالى لم يغفر لهم، ولو كانت لفظة الطلقاء لا ضير فيها لما انتقصته ونعته بها.

قال ابن الأثير: «الطلاق: هم الذين خلّى عنهم يوم فتح مكّة وأطلقهم، فعيل بمعنى مفعول، أي: طليق بمعنى مطلوق، وهو الأسير الذي أُطلق عنه إيساره وخُلّي سبيله»^(١).

والطلاق هم الذين أعلنوا إسلامهم يوم فتح مكة وهم يبتنون الكفر، وهم الذين قال لهم رسول الله: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٢)، «ومن دخل دار أبي سفيان فهو

آمن»^(٣)، آمن وليس مؤمناً، قال تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٤). وهم ثلاث فئات، فئة نالت الإيمان، منهم عكرمة بن أبي جهل،

وفئة منهم أقل من الأولى في الفضل، وفئة ثالثة أقلهم منزلة، ومنهم معاوية وأبو سفيان، وصفوان بن أمية، وغيرهم من الذين لم يطمئن النبي ﷺ لقلوبهم^(٥)، فقد

جاء في تفسير يوم الفتح عن مجاهد والحسن: يوم فتح مكة^(٦)، فهم كفار بنص القرآن الكريم؛ لأنهم في بدر قتلوا، ويوم الفتح هربوا^(٧)، ولم يُعلنوا إيمانهم إلا خوفاً من

القتل، فقد أهدر رسول الله ﷺ دم الذين أصرّوا على إظهار الكفر، ونقل الزمخشري، عن مجاهد والحسن: أنّ يوم الفتح هو يوم فتح مكة^(٨).

(١) ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ١٣٦.

(٢) ابن الأثير، مجد الدين، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٢٥٢. ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج ٤، ص ٣٤٤.

(٣) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج ٥، ص ١٧١. السجستاني، سليمان، سنن أبي داود: ج ٢، ص ٣٩.

(٤) السجدة: آية ٢٩.

(٥) أنظر: المالكي، حسن فرحان، الصحبة والصحابة: ص ١٩١.

(٦) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٢٠، ص ١٩٩.

(٧) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٤، ص ١١١.

(٨) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف: ج ٥، ص ٤٠.

وفي حديث حنين: خرج ومعه الطلقاء؛ وهم الذين خَلَّى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترَقهم^(١). وأكد ابن منظور على أنهم دخلوا الإسلام خوفاً، فقال: «وهم الذين أُدخِلوا في الإسلام كرهاً»^(٢). ودحضت بقولها ما ذهب إليه المفسرون بأن الطلقاء الأحياء قد نفعهم الإيمان يوم الفتح، ولم ينفع المقتولين منهم^(٣).

ثم إن المفسرين أجمعوا على أن المقصود بالآية كانوا يستعجلون بقولهم: متى هذا الفتح؟ وأن ظاهر سؤالهم يقتضي الجواب بتعيين اليوم المسؤول عنه، وأن غرضهم من السؤال كان استعجالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء، فلا بد أن يكون الجواب: أنكم قد حصلتم على ذلك اليوم وآمنتكم فلم ينفع إيمانكم. وهو الظاهر من قوله تعالى: الذين آمنوا يوم الفتح آمنوا جبراً وليس إيماناً حقيقياً، فقولهم: متى هذا الفتح؟ أي: متى تُنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتاً تُدال علينا، ويُنتقم لك منّا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين.

ومن العجيب أن يقولوا: إن المقصود بهم المقتولون من يوم فتح مكة، وإذا كان القصد بالفتح فتح مكة. فالسؤال هو: إذا كانوا قُتلوا قبل إعلانهم الإيمان فكيف تقول الآية: ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾، ومن هذا الذي سينفعه إيمانه يوم القيامة؛ لكي يخصّ عدم النفع بيوم القيامة!؟

إذا؛ فاللقاء هم يزيد وأبوه معاوية، ففي مسند أحمد عن عبد الله بن بريدة، قال: «دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفرش، ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب، فشرب معاوية، ثم ناول أبي، ثم قال: ما شربته منذُ حرّمه رسول الله ﷺ»^(٤).

(١) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ٢٩٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: الزخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف: ج ٥، ص ٤٠. الشوكاني، محمد بن علي، فتح

القدير: ج ١، ص ١١٥٤.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج ٥، ص ٣٤٧.

والغريب أن يدعي المفسرون أن يوم الفتح هو يوم القيامة! وأن الفتح في سورة النصر هو فتح مكة مع أن سورة النصر نزلت بعد فتح مكة؛ لأنها مكية و(إذا) تفيد المستقبل، فكيف تكون بشارة لما حصل قبلها؟! والفتح كان في رمضان سنة ثمانية للهجرة^(١). وسماهم رسول الله ﷺ الطلقاء فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، مما هو مفصّل في التاريخ، فكيف يصف الله تعالى حالهم بأنهم يدخلون أفواجاً في سورة النصر والرسول يصفهم باللقاء؟!!

والدليل على نزول سورة النصر بعد الفتح ما جاء في المعجم الكبير للطبراني، ذكر حادثة نزول سورة النصر، وفيه أنه لما أنزلت قال النبي ﷺ: «يا جبريل، نفسي قد نعت. فقال جبريل عليه السلام: الآخرة خير لك من الأولى. وساق الحديث بتامه، ثم قال: ثم مرض رسول الله ﷺ من يومه، فكان مريضاً ثمانية عشر يوماً يعوده الناس، ثم قبض^(٢). أمّا سبب إنكارهم أن يكون أبو سفيان مع الطلقاء؛ فلأن ابن تيمية قال: «اللقاء: فإنهم آمنوا عام فتح النبي مكة قهراً، وأطلقهم ومنّ عليهم، وأعطاهم وتألّفهم»^(٣). ومَن أسلم يوم الفتح أبو قحافة، والد أبي بكر^(٤).

وذكر الطبري أنّ أشهرهم أبو سفيان بن حرب الأموي، أحد سادة قريش في الجاهلية، وابنه معاوية، وقد دخلا في الإسلام كرهاً. قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «معاوية طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل الله عز وجل ورسوله وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين»^(٥).

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٤، ص ٣١٧.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٢، برقم ٢٦٧٦.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى: ج ٤، ص ٢٧٨.

(٤) أنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٤٥١.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٨.

وقال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً مروان بن الحكم: «وقد سمعت جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء»^(١). وقالت عائشة مخاطبة معاوية بن أبي سفيان: «وأنت من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، وكان أبوك من الأحزاب»^(٢).

واستدل حسن فرحان المالكي على عدم استحقاقهم للخلافة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَدَّعِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣)^(٤). وجاء في حديث يحيى بن عبد الحميد بأن معاوية مات كافراً: «مات معاوية على غير ملة الإسلام»^(٥).

● عطفك: في قولها: «ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً»، أي: نظرت إلى نفسك ومظهرك معجباً بهما، ومغروراً، ومحبباً لذاتك^(٦)، وقد اختارت السيدة زينب هذه العبارة وأجادت الاختيار، فهي تقول له: أنت مسرور بتكبرك، وكأنتها اقتبست العبارة من قوله تعالى: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٧)، وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وُصف بأنه يثني عطفه، وما المراد من وصفه إياه بذلك، فقال بعضهم: مستكبراً في نفسه،

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٣٧.

(٣) الأنفال: آية ٧٢.

(٤) أنظر: المالكي، حسن بن فرحان، الصحبة والصحابة: ص ٣٣.

(٥) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ١٠، ص ٥٣٣. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي،

تاريخ بغداد: ج ١٤، ص ١٨١. النقوي، حامد، خلاصة عقبات الأنوار: ج ٧، ص ٣٠٥.

(٦) أنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهدي إلى اللحد: ص ٤١٣.

(٧) الحج: آية ٩.

لاوياً عنقه كفراً، أو أنه يعرض عن الحق^(١). قال الطبري: وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى، وذلك أن مَنْ كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عمّا هو مستكبر عنه لاوياً عنقه عنه^(٢).

والمقصود بقول السيّدة زينب عليها السلام وهي تحاطب يزيد الملعون: أنك نظرت إلى نفسك أو جانبك تكبراً وغروراً.

• شتآن: من قولها: «وكيف يستبطى في بُغضنا أهل البيت مَنْ نظر إلينا بالشتّف والشتّان، والإحن والأضغان؟!»، والشتّان: البغض، وهنا التفاتة رائعة من السيّدة زينب عليها السلام بأن تُذكر يزيد (عليه اللعنة) بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَّانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾^(٤)، يقال: شنت الرجل أشنؤه شناً وشنأه وشتاناً، كل ذلك إذا أبغضته^(٥)، فشتآن قوم أي: بغض قوم^(٦). فكان السيّدة زينب عليها السلام تعمّدت استعمال لفظة (شتآن) للتذكرة؛ فهذه الآية الكريمة نزلت للمسلمين وهي تدعوهم ألاّ تحملهم عداوة قريش - أن صدوهم عن المسجد الحرام في غزوة الحديبية - أن يعتدوا عليهم، ولا يكسبنكم بغض قوم أن تعتدوا الحق إلى الباطل، والعدل إلى الجور والجريمة^(٧). ففي الوقت الذي دعا الله سبحانه وتعالى المسلمين ألاّ يحقدوا

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ١٨، ص ٥٧٤. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٢، ص ١٦.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ١٨، ص ٥٧٤.

(٣) المائدة: آية ٢.

(٤) المائدة: آية ٨.

(٥) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ٦، ص ١٨.

(٦) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٩، ص ٤٨٧.

(٧) أنظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير: ج ١، ص ٣٥١.

على قريش، فإنك يا يزيد تخالف القرآن في كل خطوة، وتثبت أنك خارج عن دين الإسلام ببغضك لأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم).

• الأضغان: في قولها: «وكيف يستبطئ في بُغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشَّنْفِ

والشَّنَان، والإحْن والأضغان؟!»، وقد اقتبست كلمة (أضغان) من قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾^(١)، فكأنها تشير إليه

أن قلبه فيه مرض البغض، وأيُّ بغض! بغض أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليهم)، وهذه أضغانك سببها الطمع في الحياة الدنيا، التي هي لعب ولهو، كما جاء في

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ

أَمْوَالَكُمْ * إِنْ سَأَلْتُمُوهَا فِيْ حِفْظِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾^(٢)، فهذه الأموال التي

حصلتم عليها بالإلحاح سينتهي الحال بكم إلى الحفاء، بعد أن بخلتم فيها وجب عليكم، وهذه الدنيا سريعة الفناء^(٣)، وفي الآية تذكرة إلى أن كل متاع الدنيا في زوال،

وأن متاعها سيضمحل ويندرس ويمرّ، ثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه^(٤)، وهو ما سيبقى لك في هذه الدنيا من الخزي والعار.

• خصيم: في قولها ﷺ: «حَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِمًا، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِيمًا، وَبِجِبْرِئِيلَ ظَهِيرًا»،

وخصيم، أي: محاصم وذو خصومة^(٥) وكثير الخصام^(٦). وقد وردت هذه الكلمة في

(١) محمد: آية ٢٩.

(٢) محمد: آية ٣٦-٣٧.

(٣) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٩، ص ١٣٧-١٣٨.

(٤) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٢٢، ص ١٩١.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ج ٢٠، ص ٥٥٥. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ٥،

ص ٣٧٧.

(٦) أنظر: ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير: ج ١٥، ص ١٠٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْحَافِيْنَ خَصِيْمًا﴾^(١)، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ﴾^(٢). وقوله: ﴿أَوْلَقِرَ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ﴾^(٣)، فخصيمك الذي سيخاصمك هو محمد ﷺ، وقال أمير المؤمنين: «وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً»^(٤). وخصيماً، أي: مُقنعاً لمن خالفه بأنه قد جلب الهلاك على نفسه^(٥). وقال أيضاً: «أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتابين»^(٦). وروي عنه كذلك: «وا عجباه، أتكون الخلافة بالصّحابة ولا تكون بالصّحابة والقراة؟!»، قال الشريف الرضي وروي له شعر في هذا المعنى:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشiron غيبُ
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب^(٧)

وكان السيّد زينب عليها السلام تستعيد التاريخ باختيار الألفاظ، فهذه الأبيات قالها أبوها أمير المؤمنين عليه السلام عند بيعة الخليفة عثمان، فيقول: استحقاقه للخلافة إمّا أن يكون بالشورى، أو بأنه من أصحاب رسول الله ﷺ، أو بقراة من رسول الله، وهو لم يستحقّها بالشورى؛ لأنّ أكثر من يستحقّ الإشارة منهم لم يكونوا حاضرين، وإن كان بالصحة والقراة فهناك من له الصحة التامة والقراة معاً، وإن كان بالقربى فغيره أقرب إلى رسول الله ﷺ. وكل ذلك ينطبق على يزيد اللعين الذي جعل نفسه خليفة بلا استحقاق.

(١) النساء: آية ١٠٥.

(٢) النحل: آية ٤.

(٣) يس: آية ٧٧.

(٤) البحراني، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٥٤.

(٥) أنظر: المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق: ص ٢٠٦.

(٧) المصدر السابق: ج ١٨، ص ٤١٦.

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «مَنْ مشى في حاجة أخيه، ثم لم يناصره فيها، كان كَمَنْ خان الله ورسوله، وكان الله خصمه»^(١)، قال في معناه: (وكان الله خصمه)، أي: يخاصمه من قبل المؤمن في الآخرة، أو في الدنيا أيضاً، فينتقم له فيها^(٢).

• ظهير: من قولها: «حَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِمًا، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِيمًا، وَبِجِبْرِئِيلَ ظَهِيرًا»، وأي ظهير جعلته يظاهر يزيد! قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٣). ظهيراً، أي: معيناً^(٤)، أي: لوبرزت الجن وأعانهم الإنس^(٥). وقال أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(٦)، وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾^(٧)، أي: مظاهراً لأعداء الله تعالى، أي: إن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله. وقيل: معناه كأن الذي يفعل هذا الفعل - وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر - على ربه هيناً مهيناً، من قولهم: ظهرت به، إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه^(٨).

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: «لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرضه الذي مات فيه، حضرته وقد ضمَّ الحسين إلى صدره، يسيل من عرقه عليه، وهو يجود بنفسه ويقول: ما لي وليزيد! لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد. ثم غشي عليه طويلاً وأفاق، وجعل يُقبَّل الحسين وعيناه تدرّفان، ويقول: أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله»^(٩).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٦٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإسراء: آية ٨٨.

(٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ٢٢١.

(٥) أنظر: الطبرسي، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ١٩، ص ٥٤٨.

(٦) القصص: آية ١٧.

(٧) الفرقان: آية ٥٥.

(٨) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف: ج ٣، ص ٥٥٣.

(٩) الشامي، يوسف بن حاتم، الدرّ النظيم: ص ٥٤٠.

• مغرم: في قولها: «ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدننا وشيكاً مغرمًا»، أخذته من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾^(١). فمغرمًا وغرامة وخسرانًا. والغرامة: ما ينفقه الرجل وليس يلزمه؛ لأنه لا يُنفق إلا تقيّة من المسلمين ورياءً وليس لوجه الله ﷻ وابتغاء المثوبة عنده^(٢). وقال أمير المؤمنين: «إنّ المرء المسلم ما لم يغش دناءةً تظهر، فيخشع لها إذا ذُكرت، ويُغرى بها لثام الناس، كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزة من قداحه تُوجب له المغنم، ويُرفع بها عنه المغرم»^(٣). والمغرم: الغرم، وهو نزول نائبة بالمال من غير خيانة^(٤).

• فند: من قولها: «وهل رأيك إلا فند»، والفند: الكذب والسفاهة وتضعيف الرأي، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾^(٥)، معناه: لولا أن تسفهوني، عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: لولا أن تضعفوني في الرأي، عن ابن إسحاق. وقيل: لولا أن تكذبوني^(٦).

• جمعك: في قولها: (وجمعك إلا بدد)، وهنا التفاته من السيّدة زينب عليها السلام لقوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا آغَىٰ عَنْكُمُ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٧). وجاء في معناها: أنه لا ينفع ما كنتم تجمعون من الأموال والعدد في الدنيا^(٨)، واستكباركم عن الإيثار^(٩). فما جمعته يا يزيد زائل ولا ينفعك استكبارك.

• حَطْرِك: في قولها: «وأنّ ذلك لعظم حطرك عنده»، أي: لعلّو منزلتك. قال

(١) التوبة: آية ٩٨.

(٢) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف: ج ١٤، ص ٤٣١.

(٣) البحراني، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٣.

(٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٥، ص ٨٤.

(٥) يوسف: آية ٩٤.

(٦) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٥، ص ٣٥١.

(٧) الأعراف: آية ٤٨.

(٨) أنظر: الطبرسي، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ١٢، ص ٤٤٢.

(٩) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ٧، ص ١٩٣.

يعسوب الدين وأمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له تتضمن ذم إبليس (لعنه الله) على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أول من أظهر العصبية: «فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية، فإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان»^(١). وما على يزيد أن يعتبر بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة.

• مناقل: من قولها: «تحدو بهن الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل»، والمناقل: جمع منقل، وهو الطريق إلى الجبل^(٢).

وقد ذكر أبوها أمير المؤمنين عليه السلام هذه الكلمة في وصفه السماء، وأن الله سبحانه وتعالى جعل آية الشمس مبصرة لنهارها، وجعل القمر آية محووة من ليها، ثم قال: «وأجرهما في مناقل مجراهما»^(٣).

• المناهل: والمناهل جمع منهل وهو الماء الذي ينزل عنده، والمقصود: المنازل التي في طريق المسافرين، للتزود بالماء أو الاستراحة^(٤). قال أبوها عليه السلام: «ومناهل لا يغيضها الواردون»^(٥)، وقال عليه السلام: «ومناهل روي بها وُرّادها»^(٦)، وفي وصيته لابنه الحسن عليه السلام قال: «وإياك أن تُوجف بك مطايا الطمع فتُوردك مناهل المهلكة»^(٧)، فهو يوصي ابنه الحسن عليه السلام بعدم الطمع؛ وقد استعار لفظ المناهل لموارد الهلاك في الآخرة، فالمناهل أماكن شرب الماء، واستعارها كونها موارد شراب أهل النار المهلك^(٨).

(١) البحراني، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٢٤٣.

(٢) أنظر: القزويني، محمد كاظم، زين الكبرى عليه السلام من المهد إلى اللحد: ص ٤٢١.

(٣) البحراني، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٣٤٥.

(٤) أنظر: القزويني، محمد كاظم، زين الكبرى عليه السلام من المهد إلى اللحد: ص ٤٢١.

(٥) البحراني، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٤٤٥.

(٦) المصدر السابق: ص ٤٤٤.

(٧) المصدر السابق: ج ٥، ص ٤٢.

(٨) المصدر السابق: ص ٤٧.

• تتحلّب: من قولها: «والأفواه تتحلّب من لحومنا»، وحلّب فلان الشاة أو الناقة، أي: استخرج ما في ضرعها من اللبن، ولعلّ المراد: كما أنّ ولد الناقة يتحلّب ويمتصّ بفمه الحليب من محالب أمّه، كذلك كان الأعداء يمتصّون بأفواههم من لحوم ودماء آل رسول الله ﷺ بدافع الحقد والبغضاء، وهذه أيضاً استعارة بلاغيّة، وكناية عن شدّة حقدهم وعدائهم. ويُمكن أن تكون هذه الكلمة إشارةً إلى ما فعلته (هند) جدّة يزيد - في غزوة أحد - من شقّها بطن سيّدنا حمزة بن عبد المطلب، وإخراجها كبده، ثمّ وضعه في فمها ومحاولتها أن تمضغه وتأكل منه، حقداً منها عليه^(١). قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يحذّر العرب من الفتن: «وتحلّب عبيط الدماء»^(٢).

• فراعل: من قولها: «وتهفوها أمّهاتُ الفراعِل». جاء في لسان العرب: «هفا في المشي هفواً وهفواناً: أسرع وخفّ فيه... هفا الشيء يهفو إذا ذهب. وهفا الطائر إذا طار، والريح إذا هبّت. والهفوة: السقطة والزلّة»^(٣).

ومن نافلة الحديث أن نقول: إنّ في الخطبة من الألفاظ ما يكفي لوضع مجلد في شرح معانيها، وكلّها ألفاظ جزلة تدل على فصاحة وبلاغة السيّدة زينب عليها السلام، ومنها ألفاظ لم تُذكر في القرآن الكريم، لكنّها فصيحة وجميلة، منها قولها: «وتلك الجُثث الطّواهر الزواكي تتنابها العواسل، وتهفوها أمّهاتُ الفراعِل»، وفيه إخبار من السيّدة زينب عليها السلام عن مصيبة بقاء الأجساد الطاهرة على وجه الأرض عدّة أيام من غير دفن، تصهرها الشمس بأشعتها المباشرة، رغم كونهم أولياء الله تعالى، تنتابها العواسل، والعواسل جمع عاسِل، وهو الذئب^(٤).

ويُعبر عن هذا النوع من التشبيه في علم البلاغة والأدب بالاستعارة، وقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام هذا النوع من الاستعارة في خطبته التي ألقاها قبل خروجه من

(١) أنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص ٤٥٨.

(٢) البحراني، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٢٢١.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٥، ص ٣٦٢.

(٤) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٣١٣.

مكة نحو العراق بقوله: «وخير لي مصرع أنا لاقيه، وكأني بأوصالي تُقَطَّعها عُسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء»^(١)، والفراعل: جمع فُرْعُل، ولد الضبيع. وهنا استعارة بلاغية تُشير فيها إلى أولئك الأفراد العشرة الذين ركبوا خيولهم وسحقوا جسد الإمام الحسين عليه السلام بحوافر الخيل في يوم عاشوراء.

الخاتمة

من عرف مقام محمد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام واعتقد بولايتهم، فقد فاز فوزاً عظيماً. قال صلى الله عليه وآله: «ولايتي وولاية أهل بيتي براءة وأمان من النار»^(٢). وأهل البيت عليهم السلام من أهم منابع العلم والبلاغة والثقافة الإسلامية، ومتابعة حياتهم وأقوالهم تعبير عن ولايتهم، فحياتهم لم تكن حياة عابرة تُطوى بطي الزمن، ولا تنقضي بانقضاء تعداد الأيام، بل هم عطاء علمي وثقافي وروحي. وقد أبهرت السيدة زينب عليها السلام أصيلة الحسب والنسب بنت أشرف نساء العالمين وأطهرهن، ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله سيد البلاغة القائل في خطبة له: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم»^(٣). والقائل: «إنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل»^(٤). وقد تبين لنا من خلال هذا البحث أنّ بلاغة السيدة زينب عليها السلام أتت إرثاً من أبيها، وأنّ ألفاظها جاءت مقتبسة من القرآن، فقد حفظته وفهمت معناه، حتّى صارت ألفاظه وكلماته سجيّة في أسلوبها، فكان متيناً جزلاً، فخطبتها منتقاة من صميم القرآن وجوهر البلاغة. فسلام الله عليها، وعلى جدّها وأبيها وأمها وأخويها، وعلى الذرية الطاهرة من أهل بيتها أجمعين.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٧.

(٢) الطبري، محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى: ص ١٧٦.

(٣) البحراني، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٣٢.

المصادر والمراجع

- ١ - الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس)، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان منشورات الشريف الرضي.
- ٢ - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤ م.
- ٣ - البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، طبعة المعارف، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.
- ٤ - البرهان في تفسير القرآن، العلامة السيد هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.
- ٥ - بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن يزيد بن الطبري نحو (٥٢٥هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٦ - بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني (ت ٢٨٠هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، طبعة دار الفضيلة، القاهرة.
- ٧ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- ٨ - التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون.
- ٩ - التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ١٠ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار المعارف، مصر.
- ١١ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٩٣ م.

- ١٢ - الدرّ النظيم، الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي (ت ٦٧٦هـ)، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٣ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء السيد محمود بن عبد الله الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد الأمد، وعبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- ١٤ - زينب الكبرى عليها السلام من المهدي إلى اللحدي، السيد محمد كاظم القزويني (ت ١٤١٥هـ)، تحقيق: السيد مصطفى القزويني، طبعة دار الغدير.
- ١٥ - شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٩٧٩هـ)، عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل، مركز انتشارات أست، قم-إيران، ١٣٦٢ش.
- ١٦ - الصحبة والصحابة، حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
- ١٧ - الطبقات الكبرى، ابن سعد البغدادي، دار صادر.
- ١٨ - فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى.
- ١٩ - الفتوح، أحمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- ٢٠ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- ٢١ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- ٢٢ - لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، ٢٠٠٣م.
- ٢٣ - اللهوف في قتلى الطفوف، رضی الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٤٤هـ)، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسون، دار الأسرة للطباعة.

- ٢٤ - مثير الأحران، جعفر بن محمد بن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)، ١٣٦٩ش / ١٩٥٠م.
- ٢٥ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن المحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار المرتضى، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٢٦ - مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت ٢٤١هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ٢٧ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ٢٨ - مقتل الحسين عليه السلام، الموفق محمد بن أحمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، مؤسسة أنوار الهدى، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٢٩ - نثر الدر في المحاضرات، الوزير الأديب منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية.

المرأة .. الحضور والتفاعل في ديوان الشاعر حيدر الحلبي

دراسة أسلوبية في تحليل الخطاب الشعري

أ. م. د. أزهار علي ياسين*

المقدمة

تميّز الشاعر الحلبي بأنه شاعر نافذ البصيرة، عميق الفكرة، حاذق في استعمال اللغة، وعلى دراية بتشكلات الصورة، ومنافذها الشعرية، مما ينم عن نضوج الوعي الأدبي والخزين الثقافي لديه.

إنّ ارتياد العالم الشعري للشاعر الحلبي - تقصيًّا واستكشافاً وتحليلاً - مهمةٌ صعبة المنال؛ لأنّ سرّ الإبداع الشعري الأسلوب والتصويري متجلّ في كلّ مناحي شعره، فتجده في قمة البراعة والحذاقة في تطويع الألفاظ، وتشذيب التراكيب والجمل، وصلقل العبارات، ورسم الصور بالكلمات، ووصلها بالمعاني والدلالات، في تناسق فنيّ تتفجّر عبره الطاقات الجمالية.

ولدواعٍ بحثية وأكاديمية، وكثافة المادة الشعرية وغزارتها في ديوان الشاعر، قد اقتصرت الدراسة على حضور المرأة الحسينية أو المرأة الزينية في رثاء أهل البيت (عليه السلام)؛ لذلك اعتمدت هيكلية الدراسة على تحليل ثلاث تقنيات شعرية برزت في شعر الشاعر، هي:

* جامعة البصرة/ كلية الآداب/ العراق.

١- التقنية الأسلوبية.

٢- التقنية البنائية.

٣- التقنية السردية الوصفية.

وبعد، يبقى هذا البحث محاولة جادة ويسيرة لاستنباط الرؤية الشعرية والتجربة الأدبية عند الشاعر الحلي، الذي تموج شعره بنواحي الإبداع.

المبحث الأول: الأنساق الأسلوبية الوظيفية في البناء اللغوي (الفردة اللغوية)

درج الشاعر السيّد الحليّ في بنائه الشعري على استنطاق الكلمات، واصطبغها بطاقات حيوية، وسمة الحركية، بوضعها في سياقات تفجّر المعاني والدلالات من خلالها، ليصبح النسيج البنائي رافداً حيوياً في صنعته الشعرية.

وهذا يدلّ على امتلاك الشاعر ناصية اللغة وأدواتها، وكيفية استعمالها، وآلية توظيفها في حيّزها الدلالي؛ تعبيراً عن رؤيته الشعرية المستقلّة، ومنحاه الفكري الخاصّ به، حتّى يجد القارئ أنّ لغته موسومة بالتطويع الدلالي عندما تمّ زجّها - وظيفياً - في سياقاتها الملائمة والمتوافقة معها، بما لها من فاعلية وانسجام مع الدلالات. إنّ لغة الإبداع الشعري تُحتمّ على المبدع كسر الطوق القاعدي والاستعمالي المألوف للكلمات والأبنية والتراكيب، وهو ما يُعرف بالخرق اللغوي، أو العدول والانزياح الدلالي، في ضوء تمرّد الشاعر على اللغة المقتنّة، وتوظيف ذلك توظيفاً أسلوبياً وفنياً، وذلك بخلق علاقات بنائية جديدة تنسجم مع المغاير الجديد، وتبتعد عن العادي المألوف، ولكن دون مغالاة وكسر الحواجز بعشوائية، وقديماً حرص النقاد العرب على أن تكون الألفاظ الشعرية «تامة مستقيمة، كما بُنيت... وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلّفة منها، وهي الأقوال، على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره»^(١)، والحال نفسها مع المعاني،

(١) أبو الفرج، قدامة بن جعفر، نقد الشعر: ص ١٦٥.

إذ وجب أن تأتي «مواجهة للغرض، لم تمتنع عن ذلك وتعدل عنه من أجل إقامة الوزن، والطلب لصحته»^(١).

لقد استطاع الشاعر السيّد الحلّي إدراك هذه الأصول، فحافظ عليها، بيد أن لغته الشعرية امتازت بسمتي الإبداع والإمتاع؛ لأنّه استطاع خرق اللغة العادية والقاعدية في توظيف الألفاظ والتراكيب والدلالات، فجاء نسيجه الشعري خليطاً منسجماً، تبرز فيه تقنيات إبداعية كثيرة.

اتّسمت ألفاظ الشاعر السيّد الحلّي بالبساطة والانسيابية في الفهم والتلقّي، فابتعد عن الألفاظ الوحشية والمعقدة، أو تلك التي تعسر على فهم القارئ/ المتلقّي، إلّا بالرجوع إلى مظانّها في أمّهات الكتب، وفي هذا الصدد يقول أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): «الكلام - أيّدك الله - يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخيّر لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه...»^(٢)، فجاءت لغة الشاعر موسومة بالتميّز والرقي في الصنعة والصياغة، نابعة من قصديته في استعمال اللفظة بما يتهيأ لها من الشمولية والإحاطة بالمعنى.

يقول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ): «أحسن الكلام ما عرف الخاصّة فضله، وفهم العامّة معناه»^(٣)، ويدلّ هذا على تمكّن الشاعر من توظيف الظاهرة اللغوية فنياً؛ لكي تؤدّي إلى خلق سماتٍ أسلوبية غير متوقّعة من لدن أغلب القراء؛ «لأنّ عدم التوقّع يقوّي الانتباه عند القارئ، وعندما يفاجئ هنا بإدراك هذه السمات يكون المسنّن - عندئذٍ - قد حقّق هدفه بإيصال المقصدية والتأثير الأسلوبي في آنٍ واحد»^(٤).

(١) المصدر السابق: ص ١٦٦.

(٢) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين: ص ٦١.

(٣) ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر: ج ١، ص ١٥٧.

(٤) ريفاتير، أبحاث في الأسلوبية المعاصرة: ص ٦.

وقد تبلورت الفردة اللغوية عند الشاعر الحلي بسيرورة مبادئ عدّة، أهمّها:

مبدأ الاختيار والانتقاء

إذا أخذنا بالحسبان ما رآه (فندريس) من أنّ «كلّ كلمة - أيّاً كانت - تُوقظ دائماً في الذهن صورةً ما»^(١)، فإنّ عامل الاختيار والانتقاء يُظهر التفاضل بين كلمةٍ وأخرى، وذلك بما تطبعه صورتها في المخيلة والذهن، ويبتني ذلك على كونها - أي: اللفظة - غاية في الإحاطة بالمعنى (العمق الدلالي)، مشوبة بالتأثير والانفعال، فيتجاوز الشاعر المبدع دائماً الألفاظ التي يتمّ التعبير بها، لغرض الاتصال اللغوي، وأداء وظيفة التفاهم، ونقل الأفكار؛ بغية الحصول على المعاني المركزية الإدراكية^(٢).

ويشبهه العلوي (ت ٧٤٩هـ) قائلاً: «اختيار الكلم المفردة... كاختيار مفردات اللآلئ وانتقائها في جوهرها وصورتها»^(٣)، ويتمّ ذلك بـ:

- حسن النظم، أي: أن تأتلف الألفاظ مع ما يشاكلها أو يباثلها في السياق.
 - التناسب، ومعناه: «أن تنتسب كلمة ما دلاليّاً بحيث تُذكر مع كلمات أُخرى»^(٤)؛ لتتطابق مع مقصد المتكلم و غرض الكلام.
 - الحسّ الجمالي: أن يكون وقع الكلمات حسناً، غير سمج عند السامع، فاللفظة «إذا حصلت مع ما يشاكلها وقعت في أحسن موقع، وجاءت في أعجب صورة»^(٥).
- إنّ مبدأ الاختيار والتفاضل بين الألفاظ دائماً ما يُثير اهتمام المبدع؛ لأنّ حيثيات الاختيار «تنفي عفوية الحدث الأدبي، اعتماداً على أنّ كلّ صوغ لساني فنّي هو ضرب من

(١) فندريس، اللغة: ص ٢٣٧.

(٢) أنظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة: ص ٣٦.

(٣) العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز: ج ١، ص ١٢٠. أنظر أيضاً: ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر: ج ١، ص ٢٤٥.

(٤) زوين، علي، مباحث في اللغة وعلم اللغة: ص ٦٧.

(٥) العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز: ج ١، ص ١٢٠.

الاختيار الواعي، يستقصي به الباحث الوسائل التعبيرية الملائمة لغرضه، مما تمدّه به اللغة عموماً^(١).

مبدأ الإيحائية

ويُقصد بها «استغلال ما للألفاظ من قوّة تعبيرية، بحيث يؤدّي بها - فضلاً عن معانيها الفعلية - كلّ ما تحمله في أحشائها من صور مدّخرة ومشاعر كامنة لفّت نفسها لفأّ حول ذلك المعنى الفعلي»^(٢)، فلا يتكئ المبدع على مهمّة «التعبير عن فكرة، وإنّما يكمل إليها أيضاً مهمّة الكشف عن نوعيتها الملحمية، أو الغنائية، أو الدرامية، أو الخطابية، أو ما سواها»^(٣).

فالإيحاء - إذاً - هو «ذلك النوع من المعنى الذي يتعلّق بكلمات ذات مقدرة خاصّة على الإيحاء، نظراً لشفافيتها»^(٤)، اعتماداً على تأثيراتها الصوتية والصرفية والدلالية^(٥). وفائدة الإيحاء: «الإحاطة بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها»^(٦)، فبعض الكلمات تحمل ظلالاً من المعاني التي تُكسبها قيمتها التعبيرية، لتتحوّل اللغة من وظيفتها الإخبارية النفعية إلى التعبير عن الحقائق الموضوعية والمعاني التجريدية، وتوصيلها إلى التعبير بألفاظ «قد تُشحن في كثير من الأحيان بمضمونات عاطفية»^(٧) ذات صفات انفعالية تأثيرية.

(١) المسدي، عبد السلام، قراءات مع الشابي والمتنبي وابن خلدون: ص ٣١.

(٢) تشارلتن، فنون الأدب: ص ٧٦.

(٣) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص: ص ١٦٩.

(٤) أحمد مختار عمر، علم الدلالة: ص ٣٩.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٩-٤٠.

(٦) ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر: ج ١، ص ٣٢.

(٧) أولمان، ستيف، دور الكلمة في اللغة: ص ٥٦.

مبدأ الاتساق السياقي

لا شكّ في أنّ معرفة مقصدية المبدع/ الشاعر، تستدعي الوقوف على الوحدات الكلامية، وإمعان النظر في سياق الألفاظ الواردة فيها، وفهم الظروف المحيطة بالمتكلم. فاللفظة - آية لفظة - لا قيمة معنوية ودلالية لها خارج سياقاتها واستعمالها، فالأثر الأساسي للسياق هو تحديد قيمة الكلمة ودلالاتها في النظم^(١).

فالسباق - إذاً - هو «المحيط اللساني الذي أنتجت فيه العبارة»^(٢)؛ لأنّه يعطي قيمة مرجعية لفهم النصوص باستجلاء المعاني واستنباط الدلالات والكشف عن الظرف أو الموقف الكلامي أو الخطابي.

إنّ السياق بوصفه منجزاً كلامياً وثقافياً هو آلية تحليلية للكلام «على المستويات اللغوية المختلفة، الصوتية (الفونولوجية)، والصوفية (المورفولوجية)، والنحوية (التركيبية)، والمعجمية والدلالية»^(٣)، فضلاً عن «المميزات ذات العلاقة المباشرة بظرف النطق»^(٤).

و حين نقرأ شعر السيّد الحليّ تترأى لنا لغة هذا الشاعر، وهي مستوحاة من معين فصيح، ومنهل بليغ، حيث تكتسي ألفاظه وتراكيبه بحسن الصياغة، وجودة الصناعة، فقد حملت بين طياتها المعاني الإيحائية، فانطوت على الكثير من ظلال المعاني، لتبدو حسنة متسقة مع سياقاتها، ولقد اعتنى شاعرنا كثيراً بتسجيل الوقائع الحقيقية التي جرت في واقعة الطف، وتصويرها تصويراً فنياً دقيقاً، خاصّةً شعره الذي نطق بدور المرأة الزينية، وفاعليتها في تصوير الأحداث ورسم وقائعها، وفيما يأتي يستعرض البحث ذلك.

(١) أنظر: مصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين: ص ٥٣.

(٢) محمد عبد العزيز، نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء: ص ٧٠.

(٣) مصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين: ص ٥٣.

(٤) لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق: ص ٢٢٨.

لفظة الخدر ومقارباتها

وقع اختيار الشاعر السيّد الحلّي على لفظة (الخدر)، فوظّفها أسلوبياً في سياقات خطائية ومناسبات قولية متعدّدة، تصويراً لأحداث حدثت في أرض الواقع، خاصّةً حدث السبي الذي يُعدّ حدثاً رئيساً في شعره الرثائي الخاص بالمرأة، فجاءت اللفظة بتشكيلات بنائية متنوعة، منها المفرد ومنها الجمع، وبصياغات مختلفة، منها صيغة: فعل، ومفعول، ومفعول، وغيرها.

والخدر لغةً: معناه الستر، وتحدّر: تسترّ، ومخدور مستور، والخدر: هو المكان الذي تحتجب فيه المرأة عن الآخر الغريب، والأصل فيه مكان مستتر في البيت، أو خشبة تُنصب فوق قتب البعير. ويُطلق هذا اللفظ على المكان الذي تتواجد فيه المرأة فحسب، ومعنى ستر المرأة: صون أهلها لها عن الامتهان والخروج لقضاء حوائجها^(١).

وقد استعمل الشاعر الحلّي لفظة الخدر بمعنيين، هما:

١- المعنى المعجمي (الحسّي)، فقال:

وفي السبي ممّا يصطفي الخدر نسوة يعزّ على فتيانها أن تُسيرا
حمت خدرها يقضى وودّت بنومها تردّ عليها جفنها لا على الكرى^(٢)

ونراه في البيتين يستعمل لفظة (الخدر) بمعناها الحسّي / المادّي؛ لتصوير واقعة السبي، سبي المخدّرات الزينيات، وقد قرن الشاعر هذه اللفظة بما يضادّها في المعنى والدلالة، مثل: (السبي، تُسيرا)، ليفهم القارئ/ المتلقّي رسالة مضمونها أنّ هذا الخدر تعرّض للانكسار والجلاء بسبب واقعة السبي والأسر.

(١) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ٩١.

(٢) أنظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ص ٣٥٨. الفيومي، أحمد بن محمد،

المصباح المنير: ص ١٨٢.

وجاءت هذه الكلمة مفردة وجمعاً في قوله:

فَلتَغْدُ أَخْبِيَةَ الخُدورِ تطيح أعمدها الرفيعه
ولتبدُ حاسرةً عن الو جه الشريفة كالوضيعة
فأرى كريمةً من يواري الخدر آمنة منيعه
وكرائم التنزيل بين أمية برزت مروعه^(١)

في الموضوع الأوّل اقترنت لفظة (الخدور) بلفظة (أخبية) وهي جمع خباء، وهو ما يُعمل من وبر أو صوف أو شعر^(٢).

الشاعر في هذه اللوحة الشعرية يعطي أبعاداً أخرى للفظه الخدر، فهو يقارن بين مستويين:

مستوى المرأة الشريفة الأصل التي يُهتك خدرها وينكشف، فتبدوا كالوضيعة الأصل، لكن هناك من يحمي هذا الخدر؛ لتكون المرأة كريمة، آمنة، منيعة. ومستوى (كرام التنزيل) النساء الزينيات اللاتي لم يجدن الحامي، فبرزن بين الأعداء من بني أمية، وهنّ مروّعات مسلوبات.

٢- المعنى الرمزي (الإيحائي)، فهو القائل:

هتكَ الطغاة على بنات محمدٍ حُجِبَ النبوة خدرها وخباءها^(٣)

فالخدر هنا يرمز به إلى الصون والتدلل، والعلو في المنزلة، والشرف في المقام، بيد أنّ الطغاة هتكوا هذه المعاني، وقد اقترنت لفظة الخدر بلفظة الخباء، وكأنّ الشاعر قد رادف بينهما تأكيداً للمعنى.

وهذا الاقتران قد أكسب اللفظتين - ومن ثمّ البيت الشعري - إيحاءً صوتياً؛ لأنّهما

(١) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ١٠٣.

(٢) أنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ص ١٨٠.

(٣) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ٦٢.

جاءتا على نسق بنائي متقارب، وجرس موسيقي متشابه؛ ممّا ولّد إيقاعاً محبباً عضده تكرار صوت الخاء المهموس مرّتين، وتكرار اللاحقة (ها)، فالهاء مهموسة أيضاً، وهذا الهمس والمدّ بالألف كأنّها يُشعرنا بأنّ هذه الحدود وذاك الخباء كانا في هدوء وسكينة ممتدّة، حتّى جاءت موجة عارمة موسومة بالهتك.

وهذه الإيحاءات جاءت إيعازاً من توظيف الشاعر لهذه اللفظة ونظائرها توظيفاً إيحائياً رمزياً؛ لتتلاءم مع سياقها الواردة فيه، ويعضد ذلك أنّ «الكلمة في الشعر لها قيمتها الإيحائية، ودورها في البناء من حيث تناسقها في الجرس والهيئة والدلالة، ومن حيث أبعادها الشعورية والنفسية، ومن حيث قابليتها للتلون حسب موقعها في السياق»^(١).

وفي بعض المواضع نرى الشاعر الحليّ قد مزج بين المعنيين الحسيّ والإيحائي في لفظة واحدة:

أبرزنَ من حرم النبيّ وإنّه حرم الإله بواضح التبيين
من كلّ محصنةٍ هناك برغمها أضحت بلا خدر ولا تحصين^(٢)

يمثّل (حرم النبي) حرماً مقدّساً، فهو (حرم الإله)، وهو يمثّل في الوقت نفسه الحصن الحصين لهؤلاء النسوة؛ لذا يمثّل الخدر لهنّ الستر والساتر، والحصانة المعنوية والمادية، «إنّ القصيدة عندما تضع المفردة في سياقها الشعري، إنّما تضلّلها بطيف إيحائي يجعلها أكثر امتلاءً»^(٣).

ولكن عندما تؤدّي اللفظة الواحدة وظيفتين ازدواجيتين، فإنّ هذا مؤشّر على فطنة الشاعر، وحُسن اختياره للألفاظ، وإصابته المعنى في توظيفها، كما هي الحال عند شاعرنا الحليّ، الذي شكّل معجمه الشعري الخاص ذائقة شعرية فريدة، استمدّها

(١) الكبيسي، عمران، لغة الشعر العراقي المعاصر: ص ٣٥.

(٢) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ١٣٠.

(٣) السعد، عامر، الدلالة الوظيفية في بنية اللغة الشعرية: ص ١٢١.

من الدلالات السياقية التي تحملها الألفاظ، حتى تشكّل للسيد الحلي أسلوباً خاصاً به، إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ الأسلوب هو «مجموع الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي»^(١).

صيغ المبالغة

أكثرَ الشاعر من إيراد صيغ المبالغة في شعره الخاصّ بالمرأة الزينية؛ «لما لها من وقع وإيحاء يتّصل بالنطق والسماع، فهي تدلّ على القوّة والكثرة والمبالغة»^(٢).

وتضمّ صيغ المبالغة قوّةً تعبيرية - أسلوبية، متأتية من:

١- دورها الإيضاحي في رسم المعنى بالتكثير والتعددية.

٢- دورها الإيقاعي؛ لما لها من حُسن الوقع عند السامع، وهاتان سمتان تتفاضلان

في البناء الشعري؛ لأنّ الشعر «يقوم على صياغة لغوية ضمن قوالب إيقاعية محدّدة»^(٣).

ويؤتى بصيغ المبالغة - عادة - إمّا لتأدية معنى جديد غير مطروق في لغة العرب،

وإمّا للدلالة على المبالغة^(٤). أورد الشاعر السيّد الحليّ صيغة المبالغة (فعول) في قوله:

أمّ الخطوب بمثله فلقد عقلت عن اللقاح^(٥)

الخطوب على صيغة (فعول)، واحده خَطْب، ومعناه: الصعب النازل الشديد

الوطء على النفس^(٦). فالشاعر أراد أن يصف هذه الشدائد والمصائب التي تمرّ بها

العقيلة زينب بالمبالغة والشدّة والتكرار، فهو ليس خطاباً واحداً، بل هي خطوب

اجتمعت وتكاثرت، خطبٌ بعد خطب.

(١) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب: ص ٩١.

(٢) عبد الواحد زيارة، سحر النص: ص ١٠٢.

(٣) فخر الدين، جودت، شكل القصيدة العربية في النقد العربي: ص ٢٨.

(٤) أنظر: السامرائي، فاضل، معاني الأبنية في العربية: ص ١٠٦-١٠٧.

(٥) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٧٩.

(٦) أنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ص ١٩٠.

والملاحظ أنّ الشاعر قد جاء بلفظة (أمّ) سابقة على لفظة (خطوب)، وهي لفظة تأتي بمعنى الأصل والمرجع، فالعرب تسمّي كلّ شيء يُضَمُّ إليه ما سواه ممّا يليه أمّاً^(١)، كما في قولهم: أمّ المؤمنين، ونحوها.

فقول الشاعر: (أمّ الخطوب) دلالة على أنّ هذه المرأة أصبحت أصلاً ومجمعاً للمصائب والشدائد والويلات؛ ليوحي للقارئ أنّ مصائبها وشدائدها ما بعدها مصيبة وشدّة، فهي مركز لكلّ مصيبة وشدّة. ويقول أيضاً:

بنات أحمد قد غدت تُهدى لمذموم الرواح^(٢)

فصيغة مذموم هي مفعول التي أفادت المبالغة في الذم، خاصة أنّ الشاعر يُشير إلى شخص (يزيد) (لعنة الله عليه)، حيث تُساق بنات محمد هدايا إليه، فهو مذموم بشدّة، وعلى أكثر من مستوى. ويقول أيضاً:

وتُبْتزُّ فاطمة بينكم نحيلتها من أبي الطاهر
وأنتم حضورٌ ولم تغضبوا فيا بؤس للملأ الحاضر^(٣)

استعان الشاعر بلفظة (حضور) على وزن (فعل) التي تدلّ على المبالغة لسببين: الأوّل: أنّه أراد الحضور الفعلي أو الحدّثي، المحكوم بزمان ومكان محدّدين. والثاني: أراد الحضور القلبي، فهو يخاطب الذين نقضوا عهدهم مع الله والرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَبْشِرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ

(١) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص ٣١.

(٢) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٨٧.

لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿١﴾.

فابتدأوا أول ما ابتدأوا بسلب حق الصديقة فاطمة عليها السلام من أبيها الطاهر صلى الله عليه وآله؛
ليوحي باستنكاره من هذا الحضور السلبي.

قد اختزل الشاعر في بيتين واقعة كاملة حدثت للزهراء عليها السلام، بل سجّل أحداث
هذه الواقعة بتفصيلاتها في هذين البيتين؛ باستعماله ألفاظاً دلّت وأوحت بما أراد
توصيله إلى القارئ، فقد استعمل الشاعر الفعل (تبتز) مقروناً بنائب الفاعل الصريح
(فاطمة)، والابتزاز هو السلب من مال وغيره بشكل غير مشروع، بالاحتيال والقهر.
ثم ينوّه الشاعر أن هذا الابتزاز قد وقع بينكم - أي: القوم الحاضرين - بمرأى
ومسمع منكم؛ لينوّه بهذا الظرف المكاني (بين) إلى الحضور/ الغائب؛ لأنّه حضور
سلبي لم يمنع الظلم الذي وقع على فاطمة عليها السلام، بل صمت وسكت؛ ليكون عوناً للظالم.
ثم جاء بلفظة (نحيلتها)، والهاء إحالة مرجعية تعود إلى مذكور متقدّم (فاطمة)،
والنحيلة: هي هدية، أو منحة، أو هبة، أو عطية، ثم قرن هذه الهدية بالتركيب (أبي
الطاهر)؛ لإضفاء صفة القدسية عليها.

ثم يستنكر الشاعر هذا (الملاً الحاضر)؛ لأنّه لم يغضب، ولم يثار للحق، إذ يستمدّد
القارئ من قول الشاعر هذا، الملاً الذي كان شاهداً للواقعة، معاشاً لها، لكنّه ملاً
خاسر لبؤسه؛ لأنّ حضوره قد ساوى غيابه.

ويقول كذلك مفترضاً حوارية بين الخصم اللدود وزينب عليها السلام:

أطريدة المختار لا تتبجحي فيما جرت بوقوعه الأقدار^(٢)

ولفظة (طريد) على وزن (فعليل)، وهو في المبالغة يدلّ على معاودة الأمر وتكراره

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) الحلي، حيدر، ديوان السيد حيدر الحلي: ص ٩٥.

مرّة بعد أخرى، حتّى يصبح كالسجّية والطبيعة في صاحبه، كعليم فهو لكثرة تبخّره في العلم أصبح كالحلقة فيه^(١)، وهكذا يعبر الشاعر على لسان الخصم بأنّ ابنة المختار قد أصبحت وكأنّ هذه الصفة سجّية ثابتة فيها، بعد ما جرت الأقدار عليها بما جرت.

المبحث الثاني: الابتداع الأسلوبي - التركيبي

لا بدّ في أيّ وحدة كلامية من ارتباط الكلمات بعلاقات نحوية بنائية؛ ليتسنى للمبدع التعبير عن مقصده، وللمتلقيّ من فهم مغزى هذه القصيدة، اعتماداً على القرائن النحوية التي تؤدّي غرضها في الإفصاح عن المعنى المطلوب، يقول الجرجاني: «والألفاظ لا تفيد حتّى تؤلّف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب»^(٢)، وهكذا يقرّر الجرجاني أنّ نظم الكلام يعتمد على أساسين:

١- الأساس التركيبي: فالتركيب «هو الهدف النهائي من النص؛ كونه الدال الحقيقي عليه، فنحن لا نستطيع فهم النص فهماً واقعياً من عناصر صوته منفردة، إلّا بتراكم هذه العناصر بعضها مع بعض»^(٣).

٢- الأساس الترتيبي: «وفيه يتحد النمط بواسطة العنصر الذي يتصدّره، شريطة أن يكون عنصراً إسنادياً»^(٤).

إنّ الشاعر عندما يقرّر أن يُولي اهتمامه بالتركيبي، فإنّه لا يستكفي - عندئذٍ - برصف الكلمات رصفاً في بنائه الشعري لتحقيق المعنى القاعدي فحسب، بل لا بدّ أن يتزامن ذلك مع تحقيق علاقات متساوقة بين صحّة التأليف، وحسن السبك، وجودة المعنى.

(١) أنظر: السامرائي، فاضل، معاني الأبنية في العربية: ص ١١٩.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر، أسرار البلاغة: ص ٢.

(٣) الدجيلي، حسن عبد الهادي، تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف.. دراسة تحليلية في التركيب والدلالة: ص ١٥.

(٤) السعد، عامر، الدلالة الوظيفية في بنية اللغة الشعرية: ص ٤٥.

يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): «وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفرغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً»^(١). وقد عُرف الشاعر السيّد الحليّ بعنايته بلغته الشعرية، فكان يقوم بتشذيب التراكيب وتنقيحها، وتعديل مواضع الألفاظ فيها؛ بغية توليد الآثار الجمالية التأثيرية والانفعالية، فضلاً عن الآثار الدلالية، فجاء شعره «فصيح المفردات، قويّ التراكيب، بديع الصنعة... يصطاد اللفظ الرقيق ويقرنه بمعنى أرقّ منه، دون أن تجد نبوة أو حشوة»^(٢)، وبهذا تجلّى الابتداع الأسلوبي في شعره، حيث يخلق مزايا ذات شحنات أسلوبية في التراكيب، وذات وقع مفاجئ غير متوقّع. لذا؛ يُعدّ الابتداع من الوسائل الفاعلة التي تجسّد الرؤية الشعرية العميقة عند الشاعر، كما تُبرز الجانب الإبداعي في شخصيته الشعرية.

التحوّل الأسلوبي التركيبي

إذا كانت الأسلوبية تتأسّس على استثمار «المادة اللسانية في النصّ فنياً، وتقوم بعملية رصد تشكيلات هذه المادة عبر تمظهراتها المتعدّدة، ومن ثمّ تحلّلها على وفق الكيفيات والغايات المتبعة في نظمها وتركيبها، بمعنى أنّها تقوم بعملية استرداد مقاصد مُنتج النصّ»^(٣)، فإنّ على هذا المنتج الإفصاح عن توجّهاته القصدية - خاصّة الإرسالية - بشكل لا يتنافى مع القواعد التركيبية الصحيحة في قوانين اللغة، وإلاّ فإنّ الكلام يكون قد «أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهديان»^(٤)، وهذا يعني أنّ المنتج عليه أن «يفرغ المعنى الذي يرومه في تركيب معيّن على نظام معيّن، فإذا اختلّ هذا النظام تزلزل عرش البيان، ووقعت المفارقة بينه وبين مُنشئه»^(٥).

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج ١، ص ٦٧.

(٢) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ١٥-١٦.

(٣) سلمان، طلال خليفة، مستويات السرد الوصفي القرآني.. دراسة أسلوبية: ص ١٨١.

(٤) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة: ص ٢٠.

(٥) السعد، عامر، الدلالة الوظيفية في بنية اللغة الشعرية: ص ٣٥.

ويمكن الإحاطة بهذه التحوّلات الأسلوبية في التراكيب الشعرية في شعر السيّد
الحليّ الخاصّ بالمرأة الزينية، على النحو الآتي:

التركيب الفعلي

وبنية التحوّل في معلقاته، أي حصول التغيرات والعدول في متعلقات بعض
الأفعال، كما في الفعل هتك، والهتك في اللغة: شقّ الستر عمّا وراءه، يقال: هُتك
عرش فلان، أي: هُدّ وشُقّ^(١).

وقد نوع الشاعر الحليّ بصياغاته المختلفة في تعلق هذا الفعل بحروف المعاني ما
بين (في) و(اللام) و(على)، كما في قوله:

هَذَا وَكَمْ مِنْ حُرْمَةٍ هُتَكَ لَهْنَ بِلَا جُنَاحٍ^(٢)

يتساءل الشاعر مستنكراً عن انتهاك حرمة النساء الزينيات، دون أن يكون قد
صدر منهنّ جنحة أو سبب أو مبرّر لذلك، وقد تعلقّ الفعل (هتك) باللام التي
تفيد الاختصاص، وهو الأصل في معانيها^(٣)، فخصّ حدث الهتك بهؤلاء النسوة؛
لخصوصية الحدث نفسه، فأبى هتكٍ لأبى امرأةٍ أخرى لا يمكن أن يتفاوت مع هتك
بنات الرسالة المحمدية.

ثمّ نرى الشاعر يعلّق الفعل نفسه بـ(من) في قوله:

وَكَمْ هَتَكُوا مِنْكُمْ خِبَاءً لِحُرَّةٍ عَنَاداً وَدَقُّوا مِنْكُمْ عُنُقَ أَصِيدٍ^(٤)

(١) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص ١٠٢٤.

(٢) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٧٨.

(٣) أنظر: المرادي، عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ١٤٣. السامرائي، فاضل،
معاني النحو: ص ٦١.

(٤) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٨٢.

وأيضاً في قوله:

لَمَنْ أُعِدَّتْ عُنَاقُ الْخَيْلِ إِنْ قَعَدَتْ عَنْ مَوْقِفٍ هُتِكَ مِنْهَا بِهِ الْحَرْمُ^(١)

فتعلّق فعل الهتك بـ(من) التي جعلها المرادي لابتداء الغاية، وهو من معانيها الأصلية^(٢)، بمعنى أنّ هذا الهتك ابتدأت غايته منكم في واقعة الطف، وقد تكون للتعليل^(٣)، أي: بسببكم، وقد تدلّ على ابتداء الغاية وانتهائها معاً توكيداً للحدث، أي: إنّ حدث الهتك ابتداءً منكم وانتهى إليكم، فغاية وقوع الحدث وانتهائه محصورة بكم^(٤)، ويجوز أنّ الشاعر قد جمع هذه المعاني في تعلّق الفعل؛ إيجاءً بشموليته وسعة دلالة الحدث فيه، فالهتك قد ابتداءً منكم وانتهى إليكم، وأيّ هتك هو دون ذلك! وقد حصل بسببكم، أي: بسبب ثورتكم على الظلم والجور، كما نرى مصدر الفعل قد تعلّق بـ(على) في قوله:

هَتَكَ الطُّغَاةُ عَلَى بَنَاتِ مُحَمَّدٍ حُجِبَ النَّبُوءَةُ خَدْرَهَا وَخَبَاءُهَا^(٥)

فجاء بصيغة المصدر للدلالة على الثبوت، وعدّاه بـ(على) التي تُفيد الاستعلاء^(٦)؛ لأنّ لفظها يدلّ على العلو، والاستعلاء فيها يكون حقيقياً ومجازياً، وغالباً ما تُستعمل في الأمر الذي فيه كلفة ومشقة، كما يُصرّح ابن جنّي: «وإنّما اطردت (على) ... من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء، فلمّا كانت هذه الأحوال كُلفاً ومشاقّ تخفض الإنسان وتضعه، وتعلوه وتفرعه... كان ذلك من مواضع (على)، ألا تراهم يقولون: هذا لك وهذا عليك، فتستعمل اللام فيما تؤثره، و(على) فيما تكرهه»^(٧).

(١) المصدر السابق: ص ١٢٢.

(٢) أنظر: المرادي، عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ١٤٣.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٣١٥.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٣١٨. السامرائي، فاضل، معاني النحو: ص ٧٤.

(٥) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٦٢.

(٦) أنظر: المرادي، عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ٤٤٤.

(٧) ابن جنّي، عثمان، الخصائص: ج ٢، ص ٦٠.

وبهذه التعدية بـ(على) يجبرنا الشاعر أن هتك الأعداء لبنات محمد ﷺ قد أخذ مداه في الاستعلاء عليهنّ؛ ممّا سبّب لهنّ المشقّة والكلفة، مع أنّهنّ يمثلن (حُجب النبوة)، فأراد الشاعر الإيحاء بانتقال هذا الهتك من مداه الحسبي المادّي إلى المعنوي، خاصّةً أنّه صادر من الطغاة الذين جاوزوا الحدّ في العصيان^(١).

كما غير الشاعر في متعلّق الفعل (دخل) في قوله:

كيف بنات الوحي أعداؤكم تدخل بالخيّل عليها الخبا^(٢)

حيث تعلّق بـ(على)، والأصل فيه تعلّقه بـ(في)، كما في قولهم: (دخلت في الدار)، أو يتعدّى بنفسه (دخلت الدار)، وعلى الرغم من أنّ الشاعر ساير العرف اللغوي والعرف النحوي (القاعدي)، إلّا أنّه جاء به متعلّقاً بـ(على)؛ ليسم هذا الدخول بصفة الاستعلاء، فهو لم يكن دخولاً مألوفاً أو محبّباً، بل دخولاً مكلفاً وشاقاً على بنات الوحي، مستعلياً شديد الوطء عليهنّ، فجاء الفعل متلائماً في سياق الرثاء، ومتساوفاً دلاليّاً مع تصوير حادثة هتك خباء الزينبيات.

كذلك نجد الشاعر في قوله:

فبنات أحمد قد غدّت تُهدى لمذموم الرواح^(٣)

قد عدّى الفعل (تهدى) باللام، مع أنّ السياق النحوي أن يُعدّى بـ(إلى)، فأجرى تحويلاً تركيبياً أسلوبياً على الفعل، فلم يقل: تُهدى إلى مذموم؛ إيحاءً وإشعاراً بأنّ هذا الإهداء له خصوصية توجيهية، واللام تفيد التملّك والاختصاص، أو شبه التملّك

(١) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص ٥٩٥.

(٢) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٧٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٨.

في المعنويات^(١)، فهي هدية خُصِّصت لمذموم فقط، وقد تفيد التعليل^(٢)، فإهداء بنات أحمد صلى الله عليه وسلم سببه أن المهدي إليه غاية في الذمّ نسباً وخصالاً. أو أنّها للمآل والعاقبة^(٣)، بمعنى أن مآل بنات أحمد صلى الله عليه وسلم وعاقبتهنّ أن يهدين لمذموم.

واستخدم الشاعر بعض الأفعال الحسّية استخداماً مجازياً؛ لتحقيق غرض شمولية المعنى وإحاطته بدلالاته من محاور أوسع، كما في الفعل (سرى) الذي يتعدّى - عادةً - إلى مفعول به حسّي، فالأصل فيه دلالته على المضي والذهاب حسّياً، ويختصّ غالباً بزمان الليل^(٤)، فحوّل الشاعر استعمال الفعل إلى المجاز عبر تعديته بـ(في)، فقال:

وسروا في كرائم الوحي أسرى وعداك ابن أمّها التفرّيع^(٥)

فـ(في) تدلّ على الظرفية المكانية والزمانية، وقد تأتي دالة على الظرفية المجازية، نحو (سأمضي في حاجتك)، و(سأنظر في أمرك)، وهذا من باب الاتّساع في الدلالة، وقد تأتي بمعنى (مع) للمصاحبة^(٦)، مع ما بين الظرفية الوعائية والمصاحبة من فرق دلالي، فالظرفية تعني أنّ الساري أصبح من جملتهم، أما المصاحبة فبمعنى أنّه مصاحب لهم، لكنّه ليس منهم.

ويبدو أنّ شاعرنا أراد الظرفية الوعائية والمصاحبة معاً في هذا الفعل، ما دام استعماله له استعمالاً مجازياً، حيث يرسم مشهد المسير، وكأنّ الأعداء يحيطون بهؤلاء

(١) أنظر: المرادي، عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ١٤٤. السامرائي، فاضل، معاني النحو: ص ٦١.

(٢) أنظر: المصدران السابقان: ص ١٤٥، و ص ٦٢ على التوالي.

(٣) أنظر: المرادي، عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ١٤٥.

(٤) أنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ص ٤٢٨.

(٥) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ٩٩.

(٦) أنظر: المرادي، عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ٢٦٦. السامرائي، فاضل، معاني النحو: ص ٥٥-٥٦.

النسوة كالوعاء، ليشدّوا عليهنّ أمر المسير، ولا بدّ أتهم في الوقت ذاته مصاحبون
لهنّ، غير منفكّين عنهنّ؛ ليبدو السير في الأسر في شدّته ومشقّته عليهنّ، لما يجمله من
معاني المهانة لكرائم الوحي.

بناء الأفعال للمجهول

بالإمكان الإحاطة بفاعلية التحوّل والانزياح في التراكيب الفعلية عند الشاعر
السيد الحليّ باستقراء نماذج من شعره الرثائي الخاص بالمرأة الزينية، المتعلقة ببناء
بعض الأفعال للمجهول، وتغيب فاعلها المباشر، ومنها قوله:

وغودرت في شعاب الطف نسوتهم	يجهشَن وجداً متى طفلٌ لها نشجا
سُلبت وما سُلبت محاً	مدُّ عزّها الغرُّ البديعه
تطوف بها الأعداء في كلّ بلدةٍ	فمن بلدٍ أضحّت لآخر تُقذِفُ
إذارات الأطفال شعناً وجوهها	وألوانها من دهشة الرزء تُخطفُ
ونواعٍ برزت من خدرها	تُلزِمُ الأيدي أكباداً وجالا
فإنّ التي لم تبرح الخدر أبُرزت	عشية لا كهف فتأوي إلى كهفٍ
تُسبى حرائرها بالطف حاسرة	ولم تكن بغبار الموت تلتئمُ
أبرزنَ من حرم النبيّ وإنّه	حرم الإله بواضح التبيينِ
سُلبت وقد حجب النواظر نورُها	عن حرّ وجهه بالعفاف مصونِ
وغودر منها ذلك الضلع لوعة	على الجمرة من هذي الرزية حانيا ^(١)

إنّ تغيب الشاعر لفاعل بعض الأفعال بينائها للمجهول إنّما يعكس الرؤية
الشعرية والفكرية عند الشاعر الحليّ؛ ولذلك أسباب منها:

١- وجود قرينة لغوية دالّة على الفاعل في بعض النصوص، ولو على سبيل

(١) الحليّ، حيدر، ديوان السيد حيدر الحليّ: ص ٧٥، وص ١٠٣، وص ١٠٧، وص ١١٧، وص ١٠٩،
وص ١٢١، وص ١٣٠، وص ١٣١، على التوالي.

- الإشارات والتلميحات؛ لذا يُغَيَّب الفاعل الحقيقي والمباشر في هذه الأفعال.
- ٢- التأكيد على السَّمْت الحدّثي للأفعال، وإبرازها بشكلٍ جليٍّ أمام القارئ؛ لما لها من أهمّية ودور رئيس في رسم الأحداث ودعمها دلاليًّا، وللتنويه على أنّها أحداث جَلَل، ذات أبعاد فكرية وثقافية، سواء في الواقع أم في فكر الشاعر.
- ٣- تحقيق الاستيعاب الدلالي في المضمون بشمولية الحدث الواحد لأكثر من فاعل.
- ٤- الاختصار والإيجاز، بما أنّ سمة الشعر الإيجاز وتكثيف العبارات، عدّ ذلك من مظاهره الشعرية.
- ٥- الرؤية الإسقاطية، أي: إسقاط فاعل هذه الأفعال لغويًّا وثقافيًّا؛ إذ يتعالى الشاعر عن ذكره؛ احتقاراً له، وتسقيطاً لمكانته، فهو مغَيَّب فكريًّا وثقافيًّا، كما هو مغَيَّب لسانيًّا، خاصّةً الأفعال المتعلقة بالخصم.
- ٦- تحقيق التحوّل الأسلوبي الانزياحي في التراكيب الفعلية؛ لإحداث المفاجأة والدهشة عند المتلقّي، فتقوده إلى الشعور بالمفارقة الشعرية بين نصّ ذكر فيه الفاعل، وآخر حُذِف منه الفاعل، بناءً على أنّ «أساس تعريف الأسلوب هو مقياس المفاجأة تبعاً لردود الفعل، ومعدن المفاجأة ومولدها هو اصطدام القارئ بتتابع جملة الموافقات بجملة المفارقات في نصّ الخطاب» (١).
- ٧- التراكيب التي انطوت على حذف الفاعل اتّسمت بالجمالية وشعرية الانزياح الدلالي، ممّا يتطلّب تنشيط عملية التلقّي بالبحث عن المحذوف المغَيَّب والمجهول؛ ممّا يُهيئ ذهن المتلقّي لتأمّل النصوص وتأويلها وفهمها بعمقٍ وبعديّ دلاليّ آخر.

(١) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب: ص ٨١.

التركيب الاسمية

الاستفهام والسلوك الوظيفي

لغة: «الفهم: معرفتك الشيء بالقلب... وفهمت الشيء: عقلته وعرفته... وتفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء... وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً»^(١).

واصطلاحاً: طلب الفهم^(٢)، أو «طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل»^(٣)، فهو من الأساليب اللغوية التي تقوم على أساس طلب الفهم من السائل إلى المسؤول، «والفهم هو صورة ذهنية تتعلق أحياناً بفرد/ شخص، أو شيء، أو غيرهما، ويتعلق أحياناً بنسبة»^(٤).

وظيفة الاستفهام هي الاستعلام عن الأشياء الخافية أو المجهولة، واستظهار خفايا الأمور بوساطة أدواته المتعددة^(٥).

ونجد أسلوب الاستفهام وارداً بكثرة في شعر الرثاء الخاص بنساء أهل البيت عليهم السلام عند الشاعر السيّد الحلّي، بيد أنّ هذه المواضع جميعها لم يرد فيها الاستفهام بمعناه الحقيقي وغرضه الأصلي، وهو طلب الفهم عبر الاستعلام عن الإجابة، بل استعمل الشاعر هذا التركيب استعمالاً غير مباشر (انزياحياً)؛ إذ حوّل وظيفته الحقيقية إلى وظائف أخرى مجازية يُفصح عنها السياق في النصوص الشعرية، فاتّخذ وسيلة لتوصيل مغزى رسالته الخاصّة بمضامين دلالية ورؤى فكرية إلى المتلقّي، ممّا ولّد

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ٤٥٩.

(٢) أنظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ج ١، ص ١٣.

(٣) الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص ٨٥.

(٤) المخزومي، مهدي، في النحو العربي (نقد وتوجيه): ص ٢٦٤.

(٥) أنظر: أبو رغيف، نوفل، المستويات الجمالية في نهج البلاغة.. دراسة في شعرية النثر: ص ٢١٢.

ذلك اصطباغ هذا الشعر بسمته الشعرية، فهو يقول:

ما ذنب فاطمة وحاشا فاطمًا حتى أخذتِ بذنبها أبناءها^(١)

و(ما) يُستفهم بها عن غير العاقل، وعن حقيقة الشيء وصفته^(٢)، في البدء يطالعنا الاستفهام بما الاستفهامية متصدرًا الشطر الأول، ليخيل إلى القارئ في الوهلة الأولى أنّ تركيب (ما ذنب فاطمة) الغرض منه كشف المبهم من أمر الذنب، والاستخبار عن سبب هذا الذنب، لكن يتفاجأ القارئ بجملة (حاشا فاطمًا)، التي أدّت غرض تنزيه المعنيّ بالخطاب (فاطمة الزهراء عليها السلام) عن الذنب وما شاكله، فتلغي هذه الجملة الوظيفة الاستفهامية الحقيقية (الأصلية) التي تضطلع بها (ما)، فتحيل بدورها هذه الجملة (حاشا فاطمة) الذنب من حقيقته الوجودية - بوصفه ذنباً حقيقياً - إلى ذنب افتراضي لا وجود له على أرض الواقع؛ ففاطمة عليها السلام براء من هذا الذنب، فأدّت جملة (حاشا فاطمًا) التنزيه عن الذنب، ووجيء بـ(حتى) لتدلّ على انتهاء الغاية^(٣)، حيث «تفيد تقضيّ الفعل قبلها شيئاً فشيئاً إلى الغاية، وهذا معنى الحتّ»^(٤)، فهذا الذنب الافتراضي قد بلغ حدّه ومنتهاه إلى الأبناء، فالشاعر قد رسم صورة حركية لهذا الذنب الافتراضي، فهو قد سار ومضى فانتقل شيئاً فشيئاً إلى أن وصلت غايته إلى الأبناء. وبهذا يكون الاستفهام قد تحوّل من إفادته الاستفهام والاستخبار حقيقةً إلى الاستفهام المجازي، فهو استفهام استنكاري أدّى دلالتين:

الأولى: استنكار وتكذيب وقوع ذنب من فاطمة عليها السلام.

والثانية: استنكار استحقاق أبنائها العقوبة، على الرغم من عدم وجود ذنب لها ولهم على حدّ سواء.

(١) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٦٢، وأنظر: ص ٨٨-١٢٢.

(٢) أنظر: الغلابيني، مصطفى، جامع الدروس العربية: ج ١، ص ١٤٠.

(٣) أنظر: المرادي، عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ٤٩٨.

(٤) السامرائي، فاضل، معاني النحو: ج ٣، ص ٣١.

وفي موضع آخر يقول:

كيف بنات الوحي أعداؤكم
تدخل بالخييل عليها الخبا^(١)

تدلّ (كيف) على الاستفهام عن الحال، فهي اسم يُستفهم به عن حالة الشيء، نحو: كيف أنت؟^(٢)، لكنّ الشاعر نقلها من معناها الأصلي إلى حيز الاستعمال المجازي؛ لتدلّ مع التركيب في هذا السياق على:

١- استنكار دخول الأعداء خباء بنات الوحي.

٢- التعجّب من جرأة الأعداء على اقتحام خباء بنات الوحي.

٣- الاستغراب من انتهاك حرمة بنات الوحي وكرامتهنّ.

٤- التوبيخ، بمعنى: ما كان ينبغي أن يكون هذا كلّه.

لقد عملت الوظيفة المجازية للاستفهام بـ(كيف) على استقطاب ذهن المتلقّي، واسترفاد مخيلته؛ ليشجب هذا الفعل المشين، كما نجد تحولات أسلوبية أخرى، فالأصل في التركيب: كيف تدخل أعداؤكم الخباء على بنات الوحي، لكنّ الشاعر أثر التقديم والتأخير؛ لتصعيد وتيرة المفاجأة والعدول الأسلوب والتحوّل التركيبي، لتعزيز سمة الانزياح، لتحقيق أكبر قدر من الزخم في الشعرية؛ ممّا يجعل النص أكثر انفتاحاً في حيز الدلالات والمعاني، فضلاً عن السمات الجمالية الإيقاعية التي ألقت بظلالها على النص؛ ليكون أكثر تأثيراً في المتلقّي.

إنّ التحوّلات الأسلوبية التركيبية في الوظيفة الاستفهامية لا بدّ أنّها تغدّي الشعرية في النصوص؛ لأنّها تغيّر من الوتيرة اللغوية، وتحدث تأثيراً في المتلقّي، لتكون هذه التحوّلات «عامل استفزاز يحرك في المتقبّل نوازع وردود فعل ما كان لها أن تُستنفر بمجرد مضمون الرسالة الدلالية»^(٣).

(١) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٨٢.

(٢) أنظر: الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية: ج ١، ص ١٤٣.

(٣) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب: ص ٨٢.

التعجب وتوجيهاته الوظيفية والدلالية

التعجب من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، وله في العربية مستويان:

- ١- مستوى قياسي (قاعدتي)، حيث تحكمه الصنعة النحوية، وتُسمى صيغته بالصيغ القياسية، وتنحصر في صيغتين: ما أفعله، وأفعل به.
- ٢- مستوى سماعي (استعمالي)، وهو غير خاضع لضابط القاعدة والقياس، وإنما يُعتمد فيه على ما سُمع من العرب، نحو قولهم: سبحان الله، والله درّه. وقد استثمر الشاعر السيّد الحلّي التعجب بمستوييه القياسي والسماعي، فمن القياس قوله:

ما كان أوجعها لمهجة أحمد وأمضّ في كبد البتولة داءها^(١)

في هذا النصّ نجد الشاعر متعجباً من مصيبة السبي، وما جرى فيها من ويلات على بنات الرسالة، مستخدماً الصيغة القياسية (ما كان أوجعها)، وهذا التعجب مصحوب بالشكوى النفسية، حيث يعبر عن شدة وقع المصيبة على قلب أحمد صلى الله عليه وآله وكبد الزهراء عليها السلام، إجماعاً بعظم هذه المصيبة، كما يجد قارئ النصّ أنّ أسلوب التعجب يشوبه التحنن والترفق في الخطاب، وفي الوقت نفسه يُثير هذا الأسلوب حفيظة المتلقّي ضمناً نحو مسبب هذه المصيبة.

واستعمل الشاعر الصيغ السماعية أيضاً، فاختار منها لفظ التعجب الذي يدلّ على التصريح بالتعجب بأسلوب مباشر، نحو قوله:

عجباً لحلم الله وهي بعينه برزت تطيل عويلها وبكاءها^(٢)

(١) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٢.

وقوله:

عجباً لها تغدو سبايا وهي من حيّ لقاح^(١)
كما استعمل لفظ الجلالة لغرض التعجب، وذلك في قوله:

الله خطبٌ منه كلٌّ حشى مُكلمة النواحي^(٢)

وقوله:

حُملت على الأكوار بعد خدورها الله ماذا تحمل الأكوار^(٣)

إن اختيار الشاعر لفظة (عجباً) بصيغتها المصدرية الدالة على الثبات والاستقرار إنما هو لإثارة الشعور بالتعجب بشكلٍ صريح ومباشر، وقد اقترنت اللفظة في النص الأوّل بقوله: (بحلم الله)، وفي النص الثاني بصاحبة السبي التي أشار إلى شخصها بالضمير (الماء)، وهذا أعطى حافزاً دلاليّاً بمنح القدرة على توجيه الصياغات التعجبية نحو مراد الشاعر وما يريد إيصاله إلى المتلقّي، إذ يُفصح الشاعر في النص الأوّل عن المتعجب منه في الشطر الثاني، وهو بروز العقيلة زينب عليها السلام، وقد طال عويلها وبكاؤها، وتضمّن الفعل (طال) إشارة تلميحية من الشاعر إلى أنّ هذا البكاء والعويل موصوف بالتمدّد، فكأنّه يشير إلى أنّ مبدأه من فقدائها الجذ، ثمّ الأمّ، ثمّ الأب، ثمّ الأخ الأكبر، ومصيبة كربلاء التي بلغت الذروة في البكاء والعويل.

وقد ضمّن الشاعر نصّه أكثر من اقتباس قرآني، فقوله: (بعينه) - أي: بعين الله -

فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

(١) المصدر السابق: ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٤.

(٤) طه: آية ٣٩.

وَوَحِينًا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾، ويؤتى بالاقْتباس القرآني

لغرض توظيفه دلاليًا، وتفاعله مع النص الشعري، حيث تمتزج الأفكار والمضامين كما امتزجت الألفاظ والتراكيب، لتعزيز مركزية قصيدة الشاعر في الإشارة إلى أنها مقتبسة أصلاً من منهل قدسي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ مما يعكس ذلك ثقافة الشاعر، خاصةً أنه أعاد صياغة الجمل القرآنية حسب ما رآه ملائماً مع الفكرة والمضمون، فبدت الألفاظ والتراكيب متمكنة من معانيها ودلالاتها، متساوقة مع سياقاتها، حتى اندمج التركيبان: (بحلم الله) و(بعينه) مع الصيغة التعجبية (عجب)؛ لتحقيق مزيد من القدسية والحزني للمتعبب منه.

أما التعجب بلفظ الجلالة، فيؤتى به لإضفاء جوٍّ قدسيٍّ على المتعبب منه، ولإثارة اهتمام المتلقي به، لارتباطه بجهة عليا (الله تعالى).

وشكل التركيب (الله) - الدال على التعجب - حضوراً مركزياً في النص؛ لأنه يحمل بين طياته الشكوى لله من هذا الخطب، وفي ذلك إشارة إلى عظمته.

وجاء التعجب بلفظ الجلالة أيضاً في النص الآخر؛ لإضفاء صفة القدسية والأهمية على المتعبب منه، وقد اقترن التعجب بالاستفهام بـ(ماذا) الدال على الاستنكار المشوب بالتعجب، وهذا يشكل حضوراً تأكيدياً للتعجب، يُفضي إلى انطباعه أكثر في ذهن المتلقي.

وقد اتخذ أسلوب التعجب مسارات وظيفية ودلالية في النصوص الشعرية للشاعر حيدر الحلي، منها:

١- إن لصيغ التعجب القياسية والسماعية معاً وقعاً تنبيهاً يثير انتباه القارئ نحو النص، ويشده إلى ما بعد صيغة التعجب، شوقاً لمعرفة ما تعجب منه الشاعر.

٢- استرفاد القيم الفكرية والدلالية فيما تطرحه نصوص التعجب، فإن هذا الأسلوب يمنح النصوص طابع العمق في المضامين التي يطرحها الشاعر، وإلا فلماذا يتعجب الشاعر لولا ذلك؟

٣- تصعيد وتيرة الإثارة الفنية، فللتعجب قوة تعبيرية ذات صياغة تأثيرية عند الشاعر الحلبي.

٤- تأسيس القناعة عند المتلقي بأن المتعجب منه على قدر من الأهمية عند الشاعر؛ مما يخلق ذلك ردود فعل من المتلقين لتأييد وجهة نظره.

التكرار: المنبه الوظيفي الأسلوبي

التكرار: مصدر الفعل كرر على وزن (تفعال) بفتح التاء، ومعناه التردد والإعادة، وأشار إليه أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) بقوله: «وسنن العرب التكرير والإعادة؛ إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»^(١)، ويُعدّ من محاسن اللغة إذا تعلقت المكررات بعضها ببعض، وقد درجت العرب في مخاطباتها على الإتيان بالمكررات، ف«إذا أهتمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه... لأنّ الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يقيم ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع»^(٢).

إنّ التراكمات الصوتية الناتجة عن التكرار لها قوة أدائية وتعبيرية، فهو يقوم على تواتر وإعادة للكلمات والتراكيب والبُنى والأساليب والنصوص، ويسعى وظيفياً إلى الإيحاء والتوكيد على أمر معيّن، فحضوره إذاً «حضوراً بلاغي... والمنهج الملائم لدراسة هذه الظاهرة الصوتية هو المنهج الأسلوبي»^(٣).

(١) ابن فارس، أحمد، الصحاحي في فقه اللغة: ص ٧٧.

(٢) الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ص ٨ - ٩.

(٣) سلمان، طلال خليفة، مستويات السرد الوصفي القرآني: ص ١١٦.

وقد أكدت الدراسات النقدية والألسنية الحديثة على أهمية التكرار في بناء النصوص وتماسكها، فضلاً عما يمنحه من شعرية صوتية للنصوص «لما يمتلكه من تنغيم مزدوج، داخلي وخارجي، ولما يفصح عنه من تركيز دال على أهمية المكرر، وفاعليته الإيجابية»^(١).

وقد عدّ التكرار ظاهرة بلاغية وأسلوبية تدعم قصدية النصوص، وتطرح قيماً فكرية وتعبيرية وأداتية، فضلاً عن ارتباطها بالبناء الهندسي لهذه النصوص؛ لأنّه يحقق:

١- توازنات صوتية تأثيرية، فهو يُبنى على حزم صوتية متراكمة، تثير انتباه المتلقي، لفائدة الإبلاغ والتذكير.

٢- تناسقات إيقاعية، «ويمثّل التكرار أحد المنهات الأسلوبية في النص، والتي تمنحه القابلية على إنتاج الإيقاع الصوتي الذي يجذب المتلقي»^(٢)، والإيقاع «هو تردّد ارتسامات سمعية متجانسة، بعد فترات ذات مدى متشابه»^(٣).

٣- تناسبات دلالية، فهو يمنح النصوص ميزة معنوية تتأتى من قابليته على توكيد المعاني بمعاودة الألفاظ الدالة عليها، «فتأكيد الكلام وعلوقه في نفس المتلقي هو الغاية الأساسية من التكرار»^(٤).

وقد سعى الشاعر السيّد حيدر الحلّي إلى توظيف أسلوب التكرار في نصوصه الشعرية، متخذاً إيّاه مرتكزاً دلالياً غايته التوكيد على المعنى المكرر، وطبع نصوصه بانطباعات جمالية - تنغيمية. ويبدأ التكرار بالتشكّل في شعر شاعرنا الخاصّ بالمرأة الزينية وفقاً للتشكيلات الآتية:

(١) أبو رغيغ، نوفل، المستويات الجمالية في نهج البلاغة.. دراسة في شعرية النثر: ص ٦٤.

(٢) سلمان، طلال خليفة، مستويات السرد الوصفي القرآني: ص ١١٦.

(٣) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية: ص ١٩٧.

(٤) الحمداني، فارس ياسين محمد، البنى الفنيّة في شعر مجد الدين النشابي: ص ١٥٥.

١- تكرار صوتي.

٢- تكرار مقطعي.

٣- تكرار لفظي.

٤- تكرار جملي.

٥- تكرار نصي.

أولاً: التكرار الصوتي

إنّ تكرار صوت معيّن في منظومة بنائية خاصّة (منظومة الشعر) يمنحها عنصراً إبداعياً؛ لما للصوت من «مزية جمالية، فضلاً عن تقريبه للمعنى، ولو بالإيجاء به أحياناً»^(١)، مستمدّة من خصائصه الصوتية الذاتية المتعلقة بصفاته ومخارجه، ممّا يخلق وقعاً صوتياً ذا تأثير عاطفي في النفوس، ويُطلق على ذلك «رمزية الأصوات»، ويُقصد بها امتلاك بعض الأصوات خصائص صوتية لها قوّة تعبيرية عن بعض المعاني^(٢). ويُلاحظ التكرار الصوتي في قول الشاعر:

بنفسي النساء الفاطميات أصبحت من الأسر يستترفن من ليس يرأف^(٣)

حيث تكرر صوت السين خمس مرات، ممّا أضفى على الخطاب سمة إيقاعية محبّبة في الأسماع، وإذا ما عرفنا أنّ السين صوت لثوي رخو احتكاكي مهموس^(٤)، يتميّز بأنّه صوت يتّسم بسمة الهدوء والسكينة، ويُضيف إلى جو النصّ إيقاعاً خافتاً عند توزيعه، وهذا ينسجم مع فكرة النصّ ورؤية الشاعر النفسية، حيث إنّهُ يصف حال الفاطميات في الأسر، بأنّهنّ أصبحن يطلبن الرأفة والرحمة ممّن ليس في قلبه رأفة

(١) جمعة، عدنان عبد الكريم، اللغة في الدرس البلاغي: ص ٥٧.

(٢) أنظر: زوين، علي، مباحث في اللغة وعلم اللغة: ص ٨١.

(٣) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ١٠٨.

(٤) أنظر: كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات): ص ١٢٠.

ولا رحمة، ففاقد الشيء لا يعطيه، وعند الاستعطاف يكون حال الإنسان - بحسب جبلته - هادئاً صاغراً لإثارة شفقة المستعطف، فجاء صوت السين المكرر الذي يوحى بدوره بالهدوء والسكينة معبراً عن حالته.

ثانياً: التكرار المقطعي

المقطع الصوتي «هو كل جزءٍ منطوق من أجزاء الكلمة، ويكون نتيجة إخراج دفعة هوائية من الرئتين، يستريح عند نطقها النفس، سواء أكان ذلك الجزء المقطوع ينتهي بإغلاق تام لجهاز النطق أم بإغلاق جزئي»^(١). وقد تكررت بعض المقاطع في شعر الشاعر الحلبي، كما في قوله:

تنادي بصوت زلزل الأرض في الوري شجى ضعفه حتى لخيف انقلابها^(٢)

وزلّ: اضطرب، وتزلزلت الأرض: اضطربت، والزلال كالقلق؛ لأنه غير مستقرّ في مكانه^(٣)، فكذلك حال العقيلة زينب عليها السلام، كما تصوّرها مخيلة الشاعر، تنادي صائحة بصوت يحدث اضطراباً وقلقاً يعكس شدة اضطرابها وقلقها من هول ما تمرّ به، فتنادي وتصحح صوائحها زلزالاً في الناس، متحرّكاً لا قرار له، وليس العبرة هنا بارتفاع الصوت، بل إنه صادر من قلب مجروح ونفسٍ مكلومة. وفي موضع آخر يقول:

الله أكبر يا جبال تدكدكي فوق البطاح
فبنات أحمد قد غدت تهدي لمذموم الرواح^(٤)

(١) محمد، مناف مهدي، علم الأصوات اللغوية: ص ١١٩.
(٢) الحلبي، حيدر، ديوان السيد حيدر الحلبي: ص ٧٠.
(٣) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص ٤٣١.
(٤) الحلبي، حيدر، ديوان السيد حيدر الحلبي: ص ٧٠.

الدك: الازدحام، وتذاك القوم: ازدحموا، واندك السنام: افترش على الظهر^(١).
هذه صورة افتراضية ينسج الشاعر خيوطها من واقعية ملحمة الطف، ويظهر صوت
الشاعر تارة في تعجبه بقوله: «الله أكبر» من سوق بنات أحمد هدايا لمذموم، وتارة
في ندائه غير الحقيقي (المجازي) للجبال بأن تسوي في الأرض من هول الموقف
وعظمته.

ويختصر هذا النداء صورة الأمر (الشاعر)، والمأمور الافتراضي (الجبال)؛ ليعبر
عن كوامن الصراع في نفس الشاعر، فهوان الأمر عنده تحوّل الجبال إلى دقائق من
الرمال والحصى تفترش الأرض، فلا تصبح جبلاً، بل تنعدم، وهذا أهون عنده من
أن يرى بنات أحمد أسارى.

ثالثاً: تكرار لفظة

إنّ التكرار اللفظي هو حافز صوتي باعث على الإيقاع والتنغيم، ممّا يحقّق ترويحاً
في النفس، فهو يشكّل «مناخاً له القدرة على استفزاز الذائقة الجمالية»^(٢)، فضلاً عن أنّ
هذا التشكيل الصوتي المكرّر في الألفاظ يحفّز القيم الدلالية في النص في ضوء إيعازه
بالوظيفة التوكيدية، وكثيراً ما تكرّرت الألفاظ في شعر الشاعر الحلبي الذي تميّز بـ:
أ- تكرار لفظي مطابق.

ب- تكرار لفظي متغاير نسبياً في ترتيب الأصوات.

ج- تكرار لفظي متغاير في الدلالة.

(١) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص ٣٢٤. الزمخشري، محمود بن عمر، أسرار
البلاغة: ص ٢٢٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ٤٢٦.
(٢) أبو رغيّف، نوفل، المستويات الجمالية في نهج البلاغة.. دراسة في شعرية النشر: ص ٦٤.

فمن الأوّل قوله:

وأُبيح من خطر لها لله من خطر مباح^(١)

فقد كرّر لفظة (خطر) توكيداً لمعناها.

ومن الثاني قوله:

حواسر بين القوم لم تلقَ حاجباً لها الله حسرى أين منها حجابها^(٢)

ورد في البيت الشعري تكرار لفظتين بينهما تناسب اشتقاقي ولّد تكرار الأصوات فيهما، مع الاحتفاظ بالمعنى العام لكليهما، فالحاجب: هو الساتر يسترها عن قوم الأعداء، والحاجب: مَنْ يستر المرأة عن الأعراب، وهم حميتها وأهلها.

ومن الثالث قوله:

فيوم غدوا بغياً على دار فاطم أتت جندهم بالغازية تزحفُ
وقتل ابنها من يوم رُضّت ضلوعها ومن هتكها هتك الفواطم يُعرف^(٣)

حيث كرّر الشاعر لفظة (يوم)، لكنّه استعملها استعمالاً زمانياً متغيراً، فيوم في البيت الأوّل إشارة إلى زمان حادثة الإغارة على دار فاطمة الزهراء عليها السلام ظمناً؛ لغرض أخذ البيعة لأبي بكر من الإمام علي عليه السلام، أمّا اليوم في الشطر الثاني إشارة إلى ظهيرة عاشوراء، وقت استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فالتغاير حاصل في دلالة اليومين من حيث:

١- اختلاف الزمانين.

٢- اختلاف الأحداث فيها.

٣- اختلاف المعنيين بالخطاب.

(١) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٠.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠٧.

غير أن الشاعر آثر الإشارة إلى اليومين لإبلاغ القارئ أن اليوم الثاني ما هو إلا امتداد زمني وحدثي لليوم الأوّل، وأن اليوم الأوّل هو بداية وقع الظلم والجور على آل محمد ﷺ حتى بلغ أشده في اليوم الثاني.

إنّ تنوع تقنيات التكرار اللفظي التي وظّفها الشاعر تُحقّق جانباً من الإمتاع للمتلقي، وشدّ انتباهه إلى النصوص بتركيز أكبر، «باعتباره [أي: الإمتاع] سعيّاً حثيثاً نحو جعل الكلام قناة تعبره الموصفات التعاطفية، فينطفئ عندئذ الجدول المنطقي العقلاني في الخطاب، وتحلّ محلّه نفثات الارتياح الوجداني»^(١).

رابعاً: تكرار شطر البيت

كالذي نقرأه في قول الشاعر:

وتلك بأجرع الطفوف نساؤكم عليها الفلا اسودّت وضاقت رحابها
وتلك بأجرع الطفوف نساؤكم يهدّ الجبال الراسيات انتحائبها^(٢)

تكمّن قوّة التكرار بتواتره وزيادة مساحته في النص الواحد؛ إذ يعكس الصورة الجمالية التي خلفها التوازن الصوتي والإيقاعي، مع ما يتمحور من غرض التأكيد وتقرير المعنى في النفس؛ لذا يُعدّ تقنية إقناعية فاعلة، وقد كرّر الشاعر هذا التركيب في شطري البيتين؛ لتحقيق القوّة الدلالية بالتأكيد وزيادة التنبيه على المكرّر.

ففي هذا التركيب المكرّر يرسل الشاعر أصداًء صوته، موجهاً إيّاها نحو رجالات هذه النسوة؛ لينقل عبرها صورة حيّة ناطقة لما جرى في يوم الطف، ويعبر أيضاً عن تهويل وتعظيم ذلك اليوم بأحداثه الدامية، حيث إنّ انتحابهنّ يهدّ الجبال القوية الراسية في جوف الأرض، تلك الجبال التي يُستبعد هدمها.

(١) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب: ص ٨٢.

(٢) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ٦٩.

ويقول أيضاً:

أفتيان فھر أين عن فتياتكم
أفتيان فھر أين عن فتياتكم
حميتكم والأسد لم يُجم غائبها
حفيظتكم في الحرب إن صرناؤها^(١)

سبق هذا التكرار ليحمل غرضين:

- دلالي: يتمثل في استنفار الشاعر وتحشيد الهمة ضدّ العدو الجائر، ثائراً لما حصل للنساء (بنات الرسالة)، كما تعلقو صرخة الشاعر استنكاراً لغياب الحماة عنهنّ ساعة الحرب، ومن ثمّ إيقاظ وعي المتلقّي واستنفاره ضدّ هذه الأحداث.
- جمالي: يتمثّل بإنتاج الإيقاعات الصوتية، عبر التوازن الصوتي المنتظم.

المبحث الثالث: صورة المرأة الزينية عند الشاعر الحلّي

تناول الشاعر الحلّي موضوع المرأة كثيراً في شعره، فلا تكاد مواضعها تخلو من ديوانه، وقد تركّزت رؤيته الشعرية للمرأة الزينية في مراثيه التي ارتكزت معالمها على تصوير واقعة السبي، لاختصاصها بشخصية المرأة في واقعة الطف، وعلى الرغم من أنّ المساحة الشعرية - السردية والتصويرية - احتلت حيزاً أقلّ مقارنةً بشخصية الرجل، لكنّ ذلك لا يعطيها طابعاً هامشياً، يقول (بروب): «إنّ كلّ شخص، وإن كان ثانوياً، هو بطل لمقطعه الخاص به»^(٢)؛ لأنّ الشاعر الحلّي قد جسّد هذه الشخصية بزخم ثقافي معرفي، وكثافة تصويرية فنيّة، قلّ نظيرها، بوصفها:

١- رمزاً دينياً: انطلاقاً من المعتقد الديني المقدّس للشاعر، عبر تصويره العلاقة الإيجابية التكاملية بين المرأة/ الإنسان وبين الله تعالى، حيث اتخذت هذه الشخصية معياراً سلوكياً ثابتاً، توسّم فيه التوحّد في السلوك والمنهج والرؤية في العلاقة مع الله، وقد تمّ إضفاء البعد الديني المقدّس على المرأة باستعانة الشاعر بالتراكيب: حرم الله،

(١) المصدر السابق: ص ٧٠.

(٢) بارت، رولان، التحليل النبوي للقصة القصيرة: ص ٤٣.

كرائم التنزيل، بنات الوحي، كرائم الوحي... ونحوها من الألفاظ ذات العلاقة.

٢- شخصية رسالية: فقد صوّرها الشاعر شخصيةً جسّدت كمالات الرسالة المحمدية، ذات أبعاد تكاملية لرسالة السماء، فقد فتح الشاعر عوالم لشخصية المرأة المحمدية، وعبر عن كوامن إحساساتها، فصوّرها في صراع دائم مع كلّ منحرف يتنافى وأهداف الرسالة، ويُلاحظ ذلك بسياقات مختلفة، فاستعمل الشاعر ألفاظاً مختلفة نحو: حرم النبي، بنات أحمد، بُنيات الرسول.

٣- أنموذجاً واقعياً: انعكس مداه في شعر الشاعر الحليّ، الذي سجّل الحقيقة المساوية لواقع الشخصية الخارجية من غير تحوير ولا مغالاة، وبهذا يُحتسب لشعر الشاعر أن يكون مرجعاً تاريخياً موثقاً به.

٤- بُعداً أخلاقياً مثالياً: بامتلاك شخصية المرأة الزينية القيم الأخلاقية المثلى، فقد رسم الشاعر للمرأة صورة ارتقاء النوع نحو العُلَى المطابقة لوقعها الخارجي، في ضوء طرحه مقاربات المقاييس الأخلاقية المثالية، ورسم عوالم إيجابية لقيمها الأخلاقية.

٥- بُعداً جمالياً فنياً: فقد طبع الشاعر الشخصية بطابع جمالي فني مؤثّر، تارةً بالأساليب الفنية، وأخرى بالإيجاءات التصويرية.

وقد اعتمد الشاعر في طرح هذه التوصيفات على العناصر الذاتية أو المكوّنات الداخلية في تحليل شخصية المرأة قبل واقعة الطف وبعدها، ممّا بيّن قيمة هذه المرأة وأهمّيتها على جميع الأصعدة في هذه الواقعة، ثمّ العناصر المُستمدّة من البيئة الخارجية (المكوّنات الخارجية)، التي استمدّها الشاعر بناءً على حضور المرأة التفاعلي، ودورها المؤثر في قلب موازين الهزيمة والخسارة في معركة الطف إلى الانتصار والغلبة، بوصفها فواعل ذات (طبيعة ترمّدية) على مغالطات العصر وانحرافاته، هذه الرؤية الشعرية عند السيّد الحليّ في تحليله لشخصية المرأة في واقعة الطف تعمّق قناعات المتلقّين، وتوسّع من أفق الاستجابة عندهم مع معطيات هذه الشخصية.

تحليل وظائف شخصية المرأة الزينية

تعدّ الوظيفة المكوّن الأساسي في التكوين الشعري الإبداعي للشخصية، والقصد من الوظيفة - على رأي بروب - «الحدث الذي تقوم به شخصية ما من حيث دلالاته في التطوّر العام للحكاية»^(١).

لقد درج الشعراء قديماً وحديثاً - في الغالب المقروء والمسموع من الشعر - على اتّخاذ شخصية البطل سمة الذكورية والفحولة، ولم يصدف أن اتّخذ شاعرٌ ما شخصية المرأة بطلاً أنموذجاً إلا ما ندر، بيد أن الشاعر الحليّ غير هذه الرؤية، فراح ينسج شعره من شخصيات نسوية، خالفاً عليها صفات البطولة والتفرد، عبر استنطاق أدوارها الواقعية في شعره، حتّى برزت هذه الشخصيات بوصفها «الفاعل الرئيس، تمييزاً عن مجموعة الفاعلين التي تربط بينهم وحدة التصرف الوظيفي»^(٢)، والبطل - كما يراه جينيت - هو «الشخصية التي يضعها السارد تحت المجهر»^(٣)، لتسليط الضوء عليها، فيبرز حضورها وتفاعلها في النصوص الإبداعية.

ركّز الشاعر الحليّ في مراثيه لأهل البيت عليهم السلام على شخصيات نسوية مثالية تكاملية، وكلّ شخصية مرتبطة بالأخرى وظيفياً وائساقياً، حتّى شكّلت منجزاً جماعياً في اللحظة الزمنية للحدث، واللحظة الإبداعية في صناعة الحدث شعرياً، فاستحالت شخصية المرأة الفاطمية والزينية شخصية بطولية محورية، رابطاً هذه الشخصية بشخصيات ذكورية أخرى، منها شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وشخصية الإمام الحسين عليه السلام، والإمام السجاد عليه السلام، والإمام الحجة عليه السلام، كما في مراثيه الخاصّة بهم، معتمداً بذلك على إبراز العلاقة السببية التي عكست وحدة الموضوع التي ارتبطت

(١) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد والتطبيق: ص ٩١.

(٢) مجموعة من المؤلفين، نظرية المنهج الشكلي.. نصوص الشكلايين الروس: ص ٤٢.

(٣) المرزوقي، سمير وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً: ص ٣١.

بوحدة الهدف والمبدأ، فواقعة الطف هي السبب المباشر لواقعة السبي التي شغلت حيزاً نابضاً في شعر الشاعر الخاص بالمرأة، مراعيًا في الوقت نفسه التتابع الزمني بين الواقعتين، تمخض من ذلك اندماج الواقعتين مع شخصياتهما اندماجاً إبداعياً شعرياً، كما كانا مندمجين في الواقع الخارجي، ليمحو الشاعر صورة البطل الواحد، لتحل محلها صورة البطل المتعدد.

لذلك جاء شعره الخاص بالمرأة الزينية في ضمن المبنى الحكائي السردى والوصفي في مرثي أهل البيت عليهم السلام، خاصة المراثي الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام رائد الثورة الحسينية وبطلها.

المهيمن الخطابى الشعري وصفات البطولة الزينية

كل قصيدة شعرية، بل كل بيت شعري هو بمثابة الصوت الصادح للشاعر، يعبر فيه عن مقولاته ورؤاه، والشاعر الحلي شاعر مبدع وفنان في الوقت نفسه، ففي ضوء شعره استطاع إرسال رسالة بليغة المحتوى، أنيقة المستوى، إلى المتلقي عند سرد وتوصيف ظليمة أهل البيت عليهم السلام، خاصة ما لحق بنساء البيت المحمدي من جور وظلم وعذاب وتعد على الحرمة، مستظهاً المهيمن الخطابى من صفات البطولة عند المرأة الحسينية، بأسلوب فني وبلاغي، غاية في حسن الأداء، ورقة الوصف.

فقد وصف هذه المرأة بشرف النسب، والعزة والكرامة، والإباء والكبرياء، والصبر على المحن والشدائد، والعفاف والطهر، وجلالة القدر، وحسن التصرف، وعدم الجزع والإفراط في الحزن والحكمة. ولنقرأ معاً قوله في ذلك:

وجشمها المسرى بيضاء قفرة
ولم تدر قبل الطف ما البيد والسرى
ولم تر حتى عينها ظل شخصها
إلى أن بدت في الغاضرية حسراً^(١)

(١) الحلي، حيدر، ديوان السيد حيدر الحلي: ص ٩١.

المهيمن الخطابى في البيتين ضمير المؤنث العاقل (هي)، الذي تعود مرجعته إلى شخص العقيلة زينب عليها السلام، ولأنها شخصية رئيسة في الأحداث، فقد اعتنى السرد بالتأكيد عليها؛ لأنّها شخصية نامية، يستولي حضورها على الأحداث، ولا يكاد يغيب تفاعلها فيها.

والشاعر يسرد ما حدث لهذه الشخصية بعيد يوم عاشوراء، عبر إحداث مقارنة بين حالها قبل هذا اليوم وبعده، ويختار لفظة (جشم) بمعنى: أتعب، بزيادة ما فيه من إرهاق، فالمسير قد أتعبها، وهي في الصحراء المقفرة، تلك الشخصية التي لم تعرف قبلاً الصحراء والمسير فيها؛ لأنّها من ربّات بيوت الفواضل.

وفعل الدراية هنا ليس على معناه، بل يريد الشاعر أنّها لم تختبر الصعاب، بل كانت على عكس ذلك؛ إذ حُجبت عن الأنظار. ومبالغةً في هذا التحجّب يقول الشاعر: حتّى عينها لم تكن ترى ظلّ شخصها، وهذا القول كناية عن حجابها، واستقرارها في بيتها، حتّى ظهرت في الغاضرية حاسرة الحجاب، مكشوفة النقاب، أمام الأعراب كراهية لا طوعاً.

وبدءاً من قول الشاعر: «ولم تدرِ...». حتّى قوله: «إلى أن بدت»، اعتمد فيه الشاعر على تقنية الاسترجاع لبيان حالة الشخصية قبل يوم عاشوراء، والمراد بالاسترجاع: «أنّ الحدث السابق في المتن الحكائي يكون لاحقاً في المبنى الحكائي»^(١).

أمّا التصريح بذكر المكان (الغاضرية)، فهو علامة بارزة على ربط الحدث بأرضية الواقع، وعن عفافها عليها السلام وقوة عزمها وصبرها على الرغم من المحن، يقول:

ووراها العفاف يدعو ومنه بدم القلب دمعته مشفوع
يا ترى فوقه بقيّة وجدٍ ملء أحشائها جوىً وصدوع

(١) الفرطوسي، عبد الهادي أحمد، المبنى الحكائي في القصيدة الجاهلية: ص ٢٦٩.

فترَفَّق بها فما هي إلا ناصرٌ دامعٌ وقلبٌ مروءٌ
لا تسمها جذب البرى أو تدري ربّة الخدر ما البرى والنسوع^(١)

وقد ابتدأت المقطوعة بضمير الغيبة (هي)، الذي يحيل إلى العقيلة زينب عليها السلام، ثم تحدث تحولات في الأداء الخطابي من السرد الإخباري والوصفي إلى الطلب في الفعلين، الأمر في: (ترَفَّق)، والنهي في: (لا تسمها)، فالتخيّل الشعري عند الشاعر يفترض وجود مخاطب أمامه، يأمره وينهاه، وهذا أسلوب غير عادي لإيصال رسالة الشاعر إلى المتلقّي، لتأدية الغرض المطلوب، فمن جهة يسرد الشاعر ويصف حال المعنّية بالخطاب (السيدة زينب عليها السلام)، ومن جهة أخرى يُظهر الجوانب المظلمة والسيئة التي استولت على عدوّها.

وعن عزّها ورفعها مقامها عليها السلام يقول الشاعر:

سُلبت وما سُلبت محاً مد عزّها الغرّ البديعه^(٢)

فجاء بالفعل الماضي المبني للمجهول (سُلبت) مكرّراً مرّتين، لكنّه تكرارٌ ظاهريّ في البنية الشكلية؛ أما في البنية العميقة فهما متغايران، فأريد بالسلب الأوّل سلب الأشياء العينية، بينما أريد بالسلب الثاني المنفي، نفي سلب عزّها ومكاتها ورفعتها. وعن جلاله قدرها عليها السلام يقول شاعرنا:

توارت بخدرٍ من جلاله قدرها بهيمة أنوار الإله يُسجف^(٣)

(١) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٩٩. والبرى: حلقات تُوضع في أنف البعير. والنسوع: حبال تُوضع لشدّ الرحال. أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ٧١، و ٨، ص ٢٥٣، على الترتيب.

(٢) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ١٠٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠٨.

وعن صبرها عَلَيْهَا يقول:
فنادت عليه حين ألفتها عارياً
على جسمه تسفي صبا الريح ما تسفي
حملت الرزايا قبل يومك كلّها
فما أنقضت ظهري ولا أوهنت كتفي
ولا وبت من دهري جميع صروفه
فلم يلو صبري قبل فقدك في صرف
نكلتك حين استعضل الخطب واحداً
أرى كلّ عضو منك يُغني عن الألف^(١)

نجد الشاعر قد أحدث تبدلات خطائية في الأبيات، بالانتقال من الأخبار هيمنة ضمائر الغيبة (هي) و(هو) إلى هيمنة ضمير الخطاب (الكاف)، حيث برز صوت العقيلة في الظهور، وهي تخاطب أباها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتشتكي لوعة وحنناً لفقده، فالشاعر قد تكلم على لسان حالها، مختزلاً صبرها وطول حزنها في لفظة (الرزايا). ويسرد الشاعر الأحداث التي مرّت بها النسوة من آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واصفاً حالهنّ الحزين، مؤكداً على نسبهنّ اللصيق بالنبوي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله:

وبالطف من عليا نزار عقائلاً
أُسارى ومن أجفانها الدمع هاملاً
بلا كافل تطوي المهامة في السرى
وأنى لها بعد ابن أحمد كافل^(٢)

ثم يغيّر الشاعر المسار الخطابى غير المباشر من السرد بضمير الغائب (هنّ) إلى ضمير الخطاب المباشر (أنت) في قوله:

فلم تغدُ أخبية الخدور
تطيح أعمدها الرفيعه
أمية هبّي من كرى الشرك وانظري
فهل أسرت للأنبياء عقائل^(٣)

أي: يا أمية، والنداء هنا ليس على حقيقته الذي هو طلب إقبال المدعو على الداعي، أو التصويت بالمنادى وحمله على الالتفات ليُقبل، بل المراد به استنكار فعل

(١) المصدر السابق: ص ١١٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٢.

(٣) المصدر السابق.

بني أُمّية، والتنبيه والتعجّب من سوء أفعالهم^(١).

ثم يعود إلى السرد والإخبار متعجباً ومستنكراً في قوله:

فما للنساء المحصنات وللشُرى تجوب بها البيداء عيسٌ هوازُلُ
وما لبُنَيَات الرسول وللظما بقفرٍ به للحرّ تغليّ مراجلُ^(٢)

وهذا التحوّل في الأسلوب ومغايرة الضمائر ومرجعياتها وإحالاتها إنّما يمنح الشعر قيمةً أدائيةً وأسلوبية، وقيمةً دلالية، فعندما تخففي صورة أو صوت لتظهر صورة أخرى وصوت آخر إنّما يدلّ ذلك على تنوّع التواصل الخطابي، الذي يرسم ملامح جمالية على النصوص، فضلاً عن زيادة تنبيه التلقّي، وشدّ ذهن المتلقّي إليها. ويظهر الإبداع الأدبي والأثر الفني واضحاً على شعر الشاعر السيّد الحلّي الخاصّ بالمرأة الحسينية، فقد عبّر بهذا الشعر بمشاهد حيّة، نابضة بالحركة، مؤثّرة في النفس والوجدان، عن الأحداث وما صاحبها من مشاعر ألمّت بها هذه الشخصية، بأسلوب مؤثّر يعكس أصداً نفسية ومعنوية وفكرية، وقد أدّى هذا الشعر - على الأقلّ - وظيفتين:

- ١- وظيفة معنوية دلالية: يستمدّها القارئ من المكوّن الشعري عند الشاعر، عبر طرح مقولات وأفكار تُعين على فهم الشخصية بانعكاساتها في الواقع الخارجي، ومدياتها الحقيقية؛ لتطابق رؤية الشاعر الحقيقة الخارجية، فتكون التماساً لإقناع المتلقّي بضرورات منطقية، عبر التدبّر في الدلالة والدلالة المضمرّة.
- ٢- وظيفة جمالية تأثيرية: تمنح المعنى فاعليته الإبداعية، وتوفّر حافزاً للإمتاع، فُتح في ضوء استلهاام الإبداع الشعري عند الشاعر، وهذا كلّه يعكس توحد المضمون/ الإنسان مع نفسه في المضمون الفكري والأداء الشعري.

(١) أنظر: أحمد مطلوب، وكامل حسن، البلاغة والتطبيق: ص ١٤٠-١٤٢. المخزومي، مهدي، في

النحو العربي.. نقد وتوجيه: ص ٣٠١.

(٢) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ١١٢.

نزعة الصورة الشخصية

التشخيص لغة: من شخص الذي يدلّ على ارتفاع في شيء، ومنه أشخصَ الرامي: إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه، وشخص به: إذا ورد عليه أمرٌ أفلقه، فكأنّه نباه مكانه فارتفع، ولا يُسمّى (شخصاً) إلاّ جسم مؤلف، له شخص، أي: ارتفاع^(١). واصطلاحاً: التشخيص «لون من ألوان التعبير الأدبي، ومن أقوى آليات رصد الصورة وتشكيلها»^(٢).

وجعل الجرجاني ظاهرة التشخيص من المعاني اللطيفة في الاستعارة المفيدة، فقال: «ومن الفضيلة الجامعة فيها [أي: الاستعارة] أنّها تُبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدّة، تزيد قدره نبلاً... فإنّك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبيّنة، والمعاني الخفية بادية جلية... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنّها قد جسّمت حتّى رأتها العيون»^(٣).

ويقوم التشخيص على «إضفاء الصفات الحيّة على الجمادات»^(٤)، حيث يتعامل الشاعر برؤية خاصّة للأشياء الحيّة، بعيداً عن كينونتها الطبيعية، تنمّ عن قدرات تعبيرية صورية فريدة قلّما تتمّع بها الشعراء، إذ هو منح الأشياء بُعداً حسيّاً رمزياً، ينمّ عن عمق فكري ثقافي، وبُعد نفسي في أنسنة الأشياء والجمادات، عبر بعث الحياة فيها، يقول (جوته): «إنّ الفنّ التشخيصي هو الفنّ الوحيد الصادق الذي ينبثق من الشعور الداخلي الفردي الأصيل المستقل»^(٥).

وتُعزى هذه الظاهرة إلى الأثر الديني والأسطوري، استناداً إلى تشخيص المنتج

(١) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص ٥٣١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان

العرب: ص ٥٣٧. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ٩، ص ٢٩٥.

(٢) كزنك صالح رشيد، جماليات التشخيص في التعبير القرآني: ص ٧.

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر، أسرار البلاغة: ص ٣٠-٣١. وأنظر: مراد وهبة، المعجم الفلسفي:

ص ٣٨٣.

(٤) السامرائي، خالد ناجي، ذو الرمة.. شمولية الرؤية وبراعة التصوير: ص ٧١.

(٥) أرسطو طاليس، فنّ الشعر: ص ٢٨.

من تظاهرات فلسفية مستقاة من الطبيعة^(١)، ويجوز أن يكون مردّها إلى قوة الوجدان الإنساني الذي يربط الكائنات والظواهر والمعنويات بصفاته^(٢)، فالتشخيص لا يقتصر على أنسنة الجمادات والمعاني بخلع الصفات الحيّة عليها، «بل هو إخفاء ما تنطوي عليه الذات من مشاعر وأحاسيس ورؤى على هذه الجمادات، في إطار تبادل الأدوار أو توحد الذات مع الأشياء والروح، فالصورة التشخيصية تقوم على امتزاج التأمل الداخلي العاطفي لعالم الحسّ الخارجي، فهي تعبيرٌ عن التحام الذات بالموضوع، وتداخل المسافة بينهما»^(٣).

ومن النماذج الشعرية المشخّصة عند الشاعر السيّد الحلّي ما ورد من شعره عن المرأة في واقعة الطف:

حَالٌ لِرؤَيْتِهَا وَإِنْ شِمْتَ العدى فِيهَا فقد نحت الجوى أحشاءها^(٤)

في هذا البيت استعمل الشاعر اللغة الشعرية الانزياحية المتمرّدة على قوانين اللغة النفعية، عندما أسند مجازاً لأحد المعاني - وهو الجوى/ الحزن - فعل النحت (نحت)، والنحت لا يكون إلا بتوافر طرفين:

الأوّل: الإنسان بامتلاكه أدوات للنحت (اليد والفأس).

والثاني: جماد (جبل وما شابهه).

لكن الشاعر أسند فعل النحت في طرفه الأوّل إلى أحياء معنوية، والثاني إلى أحياء مادية (الأحشاء/ الأعضاء)، فربط بين الطرفين المتناقضين عبر تبديل طبيعة المعنوي إلى طبيعة مادية مجسّمة، فحوّل الحزن من طاقة معنوية صامتة إلى طاقة متحرّكة متحفّزة للعمل.

(١) أنظر: السامرائي، خالد ناجي، ذو الرمة.. شمولية الرؤية وبراعة التصوير: ص ٧٨.

(٢) أنظر: كزك صالح رشيد، جماليات التشخيص في التعبير القرآني: ص ١٥-١٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٧.

(٤) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ٦٢.

وهكذا سجّل الشاعر إضاءات شعرية في نصّه عبر تقنية التشخيص بتفعيل التخيّل الشعري؛ «ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدرجات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك، فتعيد تشكيل المدرجات، وتبني منها عالماً متميزاً في جدّته وتركيبه، وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة»^(١).

ويقول أيضاً:

تُطارحهم بالعتبِ شجواً وإنّما دماً فَجّر الصخر الأصمّ عتابها^(٢)

ومرة أخرى يرسم الشاعر صورة حركية من نسج خياله الخصب، أطرافها متنافرة، بعضها غريب عن بعض، وهي الدم (وهو غير عاقل) والصخر، (وهو جماد غير ناطق)، والعقاب (وهو من المعاني النفسية).

فأسند فعل التفجير، وهو فعل حركي/ صوتي، إلى فاعله العتاب، ليقع على المفعول به الجماد الصخر الأصمّ، لي طرح ناتجاً غير مألوف، وهو الدم بدلاً من الماء، فقد حوّل الشاعر العقاب الذي هو عبارة عن تراكمات نفسية مبعثها الحزن والأسى داخل النفس الإنسانية، فتصاعد لتُطرح خارجاً بهيئةً لسانية/ خطابية موجهة إلى مخاطب، إلى كائن حي قادر على فعل التفجير بأعلى طاقاته، ليصل صده إلى الصخر الأصمّ/ الصلب، فيخرج دماً.

هذه الصورة الخيالية المغايرة للواقع تُحدث هزة لدى المتلقّي، فضلاً عن ارتباك وتخلخل عملية التلقّي، ما لم يكن المتلقّي نفسه مدركاً لأبعاد الصورة الخيالية الاستعارية، وهذه المفاجأة والدهشة من السمات الأسلوبية في النصوص الإبداعية؛ لأنّ «قيمة كلّ خاصية أسلوبية تتناسب مع حدّة المفاجأة التي تُحدثها تناسباً طردياً،

(١) جابر عصفور، الصورة الفنّية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ص ١٣.

(٢) الحلّي، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحلّي: ص ٧٠.

بحيث كلما كانت غير منتظرة كان وقعها على نفس المتقبل أعمق^(١). كما يرى ذلك (ريفايتر).

وفي السياق نفسه يقول:

مشى الدهر يوم الطفّ أعمى فلم يدع عماداً لها إلا وفيه تعثراً^(٢)

شخص الشاعر الدهر، وهو لفظ يدلّ على الزمان المتحرّك، فجعله كائناً حياً، ماشياً، قادراً على الحركة والتنقل، بإسباغ صفات الأنسنة عليه، ولهذا الدهر في مشيه حدود زمنية، وهي يوم الطفّ، وطبيعة هذا المشي أعمى فاقد للبصر، يمشي كما يمشي الإنسان الذي فقد بصره بشكل متعثّر، وكلّما صادف عماداً تعثّر به فأسقطه. وحقيقة العماد هنا ليست هي العماد المألوف، بل هو لفظ استعاري يوحي به الشاعر إلى السند والعمد الأخوي.

لقد بنى الشاعر تقنياته التشخيصية على أنواع من الاستعارات التي تُعدّ من «وسائل تحوّل بنية المعنى، وتكسيها طابعاً مادياً، وترتقي بمستويات الأشياء»^(٣)، الجامدة وغير الحية إلى مصافّ الإنسان، وهذا كلّهُ مؤدّاه إلى إحداث انعطافة في مسارات التعبير والدلالات، ومن ثمّ يتأثّر بمسار التواصل بين المبدع ومتلقّيه بهدف:

- إثارة فاعلية النصوص بإضفاء عنصري المفاجأة والدهشة عليها.
- إحداث توتر وهزّة تُغذّي عملية التلقّي مع النص.
- الاستحواذ على انتباه المتلقّي، وشده إلى الأفكار والمعاني.
- اعتماد تقنية لتوسيع المعاني وتعميق الدلالات، قصداً للمبالغة.
- اعتماد التشخيص بصفته انفعالاً نفسياً، يتخذ صوراً استعارية تعزّز من أسلوبية النصّ وشعريته.

(١) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب: ص ٨٦.

(٢) الحليّ، حيدر، ديوان السيّد حيدر الحليّ: ص ٩١.

(٣) كزنك صالح رشيد، جماليات التشخيص في التعبير القرآني: ص ٣١.

الخاتمة

عندما عقدتُ العزم - بعد التوكُّل على الله العلي الأعلى - لأضع خطاي في تبشير دراسة شعر الشاعر السيّد حيدر الحليّ وتحليله أسلوبياً ووظائفيّاً، وجدّني متعجّباً من نبهرة من جودة شعره، وإتقان صناعته الفنيّة؛ إذ تميّز بشمولية الرؤية الشعرية، وبراعة التصوير الفنيّ؛ بامتلاكه - عن جدارة - عناصر البناء وأدوات التصوير.

فكانت ولادة هذا البحث في محاولة للتعمّق والغوص - ما أمكن ذلك وقتاً وجهداً - في بحور شاعريته؛ بغية استنباط ملامح التجربة الشعرية التي فاحت منها رائحة الابتداع والإمتاع، فجاء هذا البحث محققاً ثلاث رغائب:

الرغبة الأولى: الاطلاع عن قرب وكثب على أحد رواد الشعر العراقي الحديث، الذي سطع نجمه ولم يأفل في سماء الشعر والنثر على حدّ سواء، فهو يُعدّ بحقّ المبدع المثالي في تألّقه الشعري الخاصّ بأهل البيت عليهم السلام في مدائحهم ومراثيمهم.

الرغبة الثانية: مبادرة لاستشراف شعر الشاعر الذي سُحن بالدفء العاطفي والدفق الجمالي؛ لأنّه مستلّ من توحدّه إنساناً عالماً جليلاً، وشاعراً مبدعاً، مع القضية الحسينية، التي شكّلت جوهر القضية في إنسانيته وفي شعره، فمن عقب الشهادة والكبرياء وانتصار الدم على السيف استلهم الشاعر مضامين شعره، فتألّق وأبدع وألهم المبدعين من بعده.

الرغبة الثالثة: الأمل بإلهام الباحثين والدارسين الجدد بفتح آفاق الدراسات الأدبية واللغوية والنقدية؛ لتبحر بشراعها في بحر شاعرية هذا الشاعر، فهذا البحث لا يشكّل سوى نقطة بداية وانطلاق في محاولة استنباط الملامح الأسلوبية والبنائية والصورية للشاعر الحليّ، الذي تميّز شعره بخلق فنيّ نادر. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - أبحاث في الأسلوبية المعاصرة، ميكائيل ريفاتير، ترجمة: د. حميد الحمداني، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- ٢ - الأثر القرآني في نهج البلاغة.. دراسة في الشكل والمضمون، د. عباس علي حسين الفحام، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.
- ٣ - أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- ٤ - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: هـ. ريتز، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م.
- ٥ - الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة.
- ٦ - الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
- ٧ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٧ م.
- ٨ - البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، دار الفقه للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- ٩ - بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢ م.
- ١٠ - البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- ١١ - البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن النصير، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩٠ م.

- ١٢ - البنى الفنية في شعر مجد الدين النشابى، د. فارس ياسين محمد الحمداني، دار غيداء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- ١٣ - البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ١٩٤٨م.
- ١٤ - تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ١٥ - التحليل النبوي للقصة القصيرة، رولان بارت، ترجمة: د. نزار صبري، مراجعة: د. مالك المطليبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- ١٦ - التعريفات، الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ١٧ - التفكير البلاغي عند العرب، حمادي حمود، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.
- ١٨ - تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف.. دراسة تحليلية في التركيب والدلالة، د. حسن عبد الهادي الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ١٩ - التكرار بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- ٢٠ - جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ٢١ - جماليات التشخيص في التعبير القرآني، كزنگ صالح رشيد، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ٢٢ - الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، تحقيق: طه محسن، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٦م.
- ٢٣ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان، أحمد الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٦٠م.

- ٢٤ - الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- ٢٥ - الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
- ٢٦ - دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، ١٩٦١م.
- ٢٧ - دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني، د. عامر السعد، شركة الغدير للطباعة والنشر المحدودة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- ٢٨ - الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش مصطفى، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- ٢٩ - الدلالة الوظيفية في بنية اللغة الشعرية.. رؤية لسانية في تحليل الخطاب الشعري، د. عامر السعد، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ٣٠ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٣١ - دور الكلمة في اللغة، ستيف أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- ٣٢ - ديوان السيّد حيدر الحلّي، تحقيق: علي الخاقاني، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.
- ٣٣ - ذو الرمة.. شمولية الرؤية وبراعة التصوير، د. خالد ناجي السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- ٣٤ - سايكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧١م.
- ٣٥ - سحر النص.. قراءة في بنية الإيقاع القرآني، د. عبد الواحد زيارة، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.



- ٣٦ - شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى نهاية القرن الثامن الهجري، د. جودت فخر الدين، منشورات دار الأدب، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٣٧ - الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣م.
- ٣٨ - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥هـ)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م.
- ٣٩ - علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي محمد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٤٠ - علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م.
- ٤١ - علم اللغة العام (الأصوات) د. كمال بشر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.
- ٤٢ - الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- ٤٣ - فن الشعر، أرسطو طاليس، ترجمة وتحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.
- ٤٤ - فنون الأدب، تشارلتن، ترجمة: زكي نجيب محمود، سلسلة الفكر الحديث، العدد الثاني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ٤٥ - في النحو العربي.. نقد وتوجيه، د. عبد المهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٦م.
- ٤٦ - القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.
- ٤٧ - قراءات في النظم القرآني، د. عبد الواحد زيارة المنصوري، الفيحاء للطباعة والنشر، البصرة - العراق، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.

٤٨ - قراءات مع الشابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون، د. عبد السلام المسدي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨١ م.

٤٩ - قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا، د. محمود البستاني، مؤسسة السبطين العالمية، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.

٥٠ - كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٢ م.

٥١ - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.

٥٢ - لغة الشعر العراقي المعاصر، عمران الكبيسي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٢ م.

٥٣ - اللغة في الدرس البلاغي، د. عدنان عبد الكريم جمعة، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

٥٤ - اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

٥٥ - اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي (د. ت).

٥٦ - مباحث في اللغة وعلم اللغة، د. علي زوين، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٣ م.

٥٧ - المبنى الحكائي في القصيدة الجاهلية.. قراءة في الشعر الجاهلي في ضوء المناهج السردية الحديثة، عبد الهادي أحمد الفرطوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.

٥٨ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٣٩ م.

٥٩ - المثل في نهج البلاغة.. دراسة تحليلية فنيّة، عبد الهادي عبد الرحمن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م.



- ٦٠ - المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس (الصاحب بن عباد) (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.
- ٦١ - مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي وجميل شاكر، مشروع النشر المشترك، ١٩٨٦م.
- ٦٢ - المستويات الجمالية في نهج البلاغة.. دراسة في شعر النثر، نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٦٣ - مستويات السرد الوصفي القرآني.. دراسة أسلوية، د. طلال خليفة سلمان، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- ٦٤ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ١٩٩٧م.
- ٦٥ - معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- ٦٦ - معاني النحو، د. فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٩٠م.
- ٦٧ - المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية)، مراد وهبة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ٦٨ - المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٢م.
- ٦٩ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.
- ٧٠ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٤م.

٧١- المفردات في غريب القرآن، الراغب الإصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، ضبطه وراجعته: محمد خليل عيناني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

٧٢- نظرية الأدب، أوستين دارين ورينيه ويليك، ترجمة: محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، ١٩٧٢م.

٧٣- نظرية البنائية في النقد والتطبيق، د. صلاح فضل، بغداد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

٧٤- نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، تحرير: د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، ود. عرفات فيصل المناع، سلسلة الآن، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٧٥- نظرية المنهج الشكلي.. نصوص الشكلايين الروس، مجموعة من المؤلفين، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ومؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٧٦- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام

أ.د. إبتسام السيّد عبد الكريم المدني*

المقدمة

الحمد لله الذي عرّفنا نفسه، وجعل لنا القرآن كتاباً ومرجعاً وملاذاً، وصلى الله على محمد الذي اصطفى لتبليغ المعجزة الكبرى القرآن الكريم، والصلاة كذلك على أهل بيته حملة القرآن وفقهائه، وعلى أصحابه الذين مدّوا أجنحة العقيدة الصادقة تحت راية الإسلام الواحد الموحد، كاشفين صدورهم دروعاً، وهادفين بصدق إلى إحدى الحسينين.

وبعد... فحديث الثقلين أشهر من أن يُنظر في سنده أو يُتومّ رواته. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وإني مخلفٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ولن تزلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، هما الخليفتان فيكم، وإمّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١). وما السيّدة زينب عليها السلام إلا ركن في عترة الرسول صلى الله عليه وآله^(٢)، وهي سلاله العروبة والبلاغة والحكمة والموعظة الحسنة، فالنظر في أقوالها لا بدّ أن يأخذ أبعاداً تتجاوز المقام الذي قيلت فيه، وتتجاوز حدود إفهام المتحدّث إليه المباشر؛ لأنّ أهل البيت عليهم السلام

* جامعة الكوفة/ كلية التربية المختلطة/ العراق.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ١١١.

(٢) العترة في اللغة: الأقرباء، وعترة الرجل: أقرباؤه، وأنّ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله هم ولد السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام. أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٥٣٨.

يوضّحون دستور الإسلام في كلّ فرصة تُتاح لهم، ولما كانت غالبية الفرص حين تُتاح لهم محفوفة بالمخاطر، كان كلامهم قليلاً في مفرداته، عميقاً في دلالاته، بعيداً في شأوه، يرومون به تقويم سلوك الحاضر والمستقبل؛ ولذلك كان من واجب مَنْ يسعى إلى فهم كلامهم ألاّ يكتفي بظاهر القول أو بظاهر المراد الآني، وإنّما يجب عليه أن يبحث في أبعاد كلامهم عليه السلام. وقد لمستُ من تلك الأبعاد شيئاً أطلقتُ عليه صفة (الامتداد القرآني) في كلام السيّدة زينب عليها السلام، وما الامتداد القرآني إلاّ ما ينقذ من الاقتباسات القرآنية التي تأتي بها السيّدة زينب، إذ وجدتُ أنّ اقتباساتها لا تكون اقتباسات سطحية، وإنّما هي تشير من خلالها إلى مكان ذلك الاقتباس من القرآن الكريم، وإلى السياق الذي اقتبس منه. ولم تكن هذه الدراسة تجربتي الأولى في هذه الرؤية والمنهج، فقد كانت لي دراسة سابقة حول الاقتباسات التي قام بها الإمام الكاظم عليه السلام.

الدراسة السابقة

لقد مكّنتني ربّي من ولوج البحر الكاظميّ المقدّس، وأنا أدرس كلام الإمام عليه السلام عند رده على أسئلة هارون، فلمستُ في كلامه عليه السلام امتدادات قرآنية، تنطلق من المفردات والمركّبات التي استعملها في الحوار، لتشير إلى أماكنها في القرآن الكريم، وكأنّها تدلّنا من طرفٍ خفيٍّ على مراد الإمام عليه السلام على السياق القرآني الذي وردت فيه تلك المفردة أو ذلك المركّب لتُثري مقصود المتكلّم.

وما أن انطلقتُ من كلام الإمام عليه السلام إلى القرآن الكريم، متبّعَةً تلك الامتدادات، حتّى عرفتُ أنّ مقاصد كثيرة أشار إليها الإمام؛ ليعرض حقائق المجتمع، وحقائق الدين، وحقيقة الطرف الذي هو فيه.

وسرعان ما تلمّستُ أعماق الرسالة التي يحملها الإمام، وحجم المسؤولية التي يعيها، ومن هذه الملاحظة هداني ربّي إلى منهج تناولت فيه المفردات والمركّبات

القرآنية المقتبسة في كلام الإمام، ثم متابعتها في القرآن الكريم أينما وجدت، ثم النظر إلى دلالة الآية التي تحمل تلك المفردة أو ذلك المركب، وبعد ذلك نظرت إلى دلالة الآية في سياق السورة، وقد فتح الله سبحانه وتعالى عليّ بهذا المنهج، فلمست من خلاله أبعاداً في كلام الإمام عليه السلام غير الإفهام الآني والمختصّ بالإجابة التي سأل عنها هارون، بل أخذتنا تلك الآيات إلى مفاهيم دستورية يرسمها الإمام عليه السلام للأمة، فتابعت تلك المفردات والمركبات في القرآن الكريم من حيث دلالتها في سياق الآيات التي وردت فيها، وتابعت تلك الآيات ضمن سياق السورة أيضاً، فتكشفت لي أبعاد أحسبها غربت عن ذهن هارون نفسه، إذ لم ألس لها أثراً في حوار، كما غربت عن أذهان أغلب الدارسين؛ إذ لم أطلع على من درس موضوع الاقتباس بهذا المنهج.

فرضية مشروع البحث

وفي هذه الدراسة حاولت أن افترض الشيء ذاته عند السيّدة زينب عليها السلام، أي: أفترض أنّ لاقتباساتها القرآنية امتدادات داخل القرآن الكريم، كما هو الحال في أسلوب الإمام الكاظم عليه السلام، ولا عجب في ذلك؛ فهي عليها السلام ثمرة في تلك الدوحة الهاشمية، وحقاً كانت ثمرة من تلك الدوحة، فقد أدّت خطابها ببلاغة تفوق ما نظرت له المدارس البلاغية، ولا عجب إذا استقيننا من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكلام أهل بيته عليهم السلام النظريات اللغوية والبلاغية، فهم معدن العروبة وفصاحتها. هذا، وقد ضمّنت السيّدة زينب عليها السلام في كلامها مركبات قرآنية، وجمعت فيه بسبب ذلك بين فئتين بلاغيين: فنّ الاقتباس، وفنّ التعريض؛ وذلك لتُظهر حقيقة القوم الذين حولها بصورة جلية، وتُعرض بمضامين عميقة الغور بوساطة المواضع القرآنية التي اختارت منها عليها السلام ذلك الاقتباس، وكذلك ليُفهم من السياق القرآني مقاصد إضافية لا يسمح لها وقت السيّدة زينب عليها السلام حينئذٍ بأدائها جملة واحدة.

أدعو من الله أن يوفّقنا لبيان صدق تلك الفرضية، وللوصول إلى المقاصد التي

كانت ترمي إليها السيِّدة زينب عليها السلام في عموم اقتباساتها.
وبناءً على التوضيح المتقدم؛ فإن بحثنا - في المقام - يتكوّن من ثلاث فقرات، هي:
الأولى: تبحث الأبعاد الكلامية في بلاغة أهل البيت عليهم السلام.
الثانية: تبحث في أوّل اقتباسٍ ورد في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام بالكوفة.
الثالثة: تبحث في اختبار صحّة الفرضية.

الفقرة الأولى: الأبعاد الكلامية في بلاغة أهل البيت عليهم السلام

١. فنون البلاغة العربية

في البلاغة العربية فنون قولية استنبطت أحكامها وقعد لها من خلال متابعة كلام البلغاء السابقين، أولئك الذين صنعت البلاغة بفطرتهم، وراحت تنساب على ألسنتهم، ولما تقدّمت الحياة وتطوّرت بدأت الدراسات البلاغية كأنّها تضع القواعد على حسب الفطرة العربية، وتصوغها في قوانين وصفية تارة ومعيارية تارة أخرى، وما علم البلاغة في أقسامه الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع وما تفرّع من تلك الأقسام إلاّ شواهد على ذلك، حتّى صارت البلاغة فنوناً متشعبة الفروع وبعيدة الأغوار، ومن فنون البلاغة فنّ الاقتباس.

والاقتباس في الاصطلاح: «تضمنين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنّه منه»^(١)، كقول الحريري: «فلم يكن إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب، حتّى أنشد فأغرب»^(٢). وأما التعريض فهو: «الإتيان بكلامٍ مشارٍ إلى جانبٍ هو المطلوب، وإبهام أنّ الغرض جانب آخر... ومنه المعارض في الكلام، وهي التورية بالشيء عن الشيء...»^(٣).

(١) المدني، علي صدر الدين بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع: ج ٢، ص ٢١٧.

(٢) الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص ٣١٢، نقلاً عن الحريري.

(٣) المدني، علي صدر الدين بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع: ج ٦، ص ٦٠.

٢. فنون البلاغة في كلام أهل البيت عليهم السلام

لقد دجت السيِّدة زينب عليها السلام في كلامها لونين من فنون البلاغة: «الاقْتباس والتعريض»، فاقْتبست من القرآن الكريم مفردات وتراكيب وأطلقت كلامها؛ لتشير إلى أكثر من مستوى دلالي، فالاقْتباس يُشير إلى معنى قريب يوضِّح المراد الظاهر الصريح، و(التعريض) يُراد به معنى بعيد يُعرِّف من موطن الاقْتباس في سياقه القرآني، وبذلك يحمل هذا الفن الكلامي بُعدين: بُعد قريب يُفهم آناً، وهو صحيح وصادق ينطبق على الواقع. وبُعد بعيد يُفهم من خلال دراسة النصِّ القرآني الذي اقْتبَسَ منه.

استعملت السيِّدة زينب عليها السلام فناً بلاغياً له معانٍ عميقة في إصابة القصد، ولا يكسبه المتلقِّي إلا أن يُعمَلَ ذهنه، أو يكون من ذوي الحصافة والعلم في مجال القرآن الكريم أو النصِّ المقتبس منه، فأهل بيت الرسول عليهم السلام عدلُ القرآن ورفقاؤه حتَّى يردوا على محمد صلى الله عليه وآله الحوض، والسيِّدة زينب عليها السلام سليلة القرآن الناطق، وكانت سرّاً من أسرار الفصاحة والحكمة والموعظة الحسنة، فلا عجب أن نجد كلامها فيه امتدادات قرآنية وحُزم نورانية، تُشير إلى مواطنها في السياق القرآني، وبملكها البلاغية ضمنت كلامها قبسات قرآنية، تكشف أمام من يعود إليها في القرآن الكريم الحقيقة الجليلة، التي تظلُّ صارخة بحقيقة ما جرى يوم الطفِّ.

الفقرة الثانية: اقتباسات السيِّدة زينب عليها السلام في خطبة الكوفة

وردت مجموعة من الاقتباسات القرآنية في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام، افترضنا أن لها امتدادات قرآنية تصبُّ في صلب القضية التي تتداولها، وتسلِّط الأضواء على عمق الموضوع، وقد يكون في النصِّ استشرافات لمستقبل، أو رؤية لأحوال أخروية. هذا، وقد تمَّ اختيار الاقْتباس الأوَّل بنحو غير قصديٍّ توخياً للوصول إلى سلامة الفرضية التي نحن بصدددها.

قالت السيِّدة زينب عليها السلام في خطبة الكوفة: «يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنَّها مثلكم كمثل التي نقضت غزها من بعد قوَّة أنكاثا، تتخذون أيانكم دخلاً بينكم...»^(١).

وقد أخذ الاقتباس الموجود في هذا المقطع من سورة النحل آية (٩٢)، والسورة بعضها مكِّي وبعضها الآخر مدني^(٢)، وعدد آياتها (١٢٨) آية، فاتحُها قوله تعالى:

﴿أَفَىٰ أَمْرٌ أَنَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣).

تكوَّنت سورة النحل كما هو شأن طوال السور من مقدِّمة شاملة مشيرة إلى المقصد الأساس من السورة، ومبتدئة بفاتحة مشنِّفة للأذان بمضمونها وإيقاعها، ثم تليها الإثباتات، وهي التي تُفصِّل ما ورد في المقدِّمة، ثم الخاتمة التي تُلخِّص المقصد بإشارة إلى ما في السورة من مطالب^(٤).

وفي مقام استعراض الامتدادات القرآنية للاقتباس الذي وظَّفته السيِّدة زينب عليها السلام في خطبتها، فإنَّ أوَّل باب نستشرف منه الامتداد القرآني، هو أمَّها عليها السلام اقتبست من سورة مقصودها الأساس اقتراب الساعة، ونهي الكافرين عن استعجالها، فقد جاء في التفسير: إنَّ الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بقوله: ﴿أَفَىٰ أَمْرٌ أَنَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٥)، مفرِّعاً آيات الاحتجاج على ما فيه من التنزيه والتسبيح، ومن ذلك يُعلِّم أنَّ عمدة الغرض في صدر السورة هو الإنباء بإشراف الأمر الإلهي ودنوّه وقرب نزوله، وفيه إيعاد للكافرين والمشركين، فقد كانوا يستعجلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم - استهزاءً به - لما كانوا يسمعون كلام الله سبحانه يذكر كثيراً ما

(١) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص ٢٨٤.

(٢) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٥٣٥.

(٣) النحل: آية ١.

(٤) أنظر: المدني، ابتسام، بنية النصِّ القرآني.. دراسة موازنة بين البنى العقائدية واللغوية والفنيّة:

ص ٤٤ وما بعدها.

يَعُدُّ بنزول أمره تعالى والإنذار به، وهذا ما يُعطيه التدبُّر في صدر السورة، وأمَّا ذيلها المكوّن من ثمان وثمانين آية فيوجد فيما بينه اتصال وارتباط، ولَمَّا كان يشتمل على آيات لا تنطبق مضامينها إلا على الحوادث الواقعة بُعيد الهجرة؛ فقد أصبح هناك تقارب في النزول بينه وبين صدر السورة، فالصدر يؤدّن بظهور الدين الحقّ على الكفر، وعلى هذا فالمراد بالأمر في الآية المذكورة أعلاه ما وعد الله النبيّ ﷺ والذين آمنوا وما توعدّ المشركين والكافرين مرّةً بعد مرّةً، بأنّه سينصر المؤمنين ويخزي الكافرين ويعذبهم ويظهر دينه بأمر من عنده، وعلى هذا أيضاً يكون قوله: ﴿سَبِّحْهُ، وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، من قبيل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، إشارة إلى أنّهم ينبغي أن يُعرَض عن مخاطبتهم ومشافتهم لانحطاط أفهامهم^(١).

أمَّا الخاتمة فهي وعدٌ بأنّ الله سبحانه مع المتّقين ومع المحسنين، ومَنْ كان الله معه فلا يضرُّه شيء في الأرض ولا في السماء. وبما أنّ الخاتمة في السور تكون فيها إشارة لأجمالي السورة^(٢)؛ لذلك فسوف نعلم أنّه ابتداءً لم يكن الاختيار الزينبي للاقتباس من سورة النحل قضية عفووية، إنّما اختارته من سورة فحواها الوعيد باقتراب أمر الله؛ لينصف الحقّ ويمحق الباطل، وأنّه سبحانه وتعالى مع المتّقين والمحسنين؛ ومَنْ أكثر تقوى من أهل البيت ﷺ؟! ومَنْ أكثر منهم إحساناً؟! وهم يجودون بأنفسهم ويجعلونها قرابين لله سبحانه وتعالى؛ ومن هنا ظهر الاطمئنان الزينبي في أعسر موقف في حياتها (يوم الطفّ)، ولا يكون ذلك ما لم تكن واثقة بأنّ الله معها.

تنقسم السورة التي نحن في صدد الحديث عنها إلى نصوص، يتناول كلّ نصّ موضوعاً كثيف المعاني، مترامي الغايات، عميق المقاصد، يفتح أبواب العلوم للمتدبّرين. والاقْتباس الذي أوردته السيّدّة زينب ﷺ في خطبتها كان من نصّ

(١) أنظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٢٠١-٢٠٤.

(٢) أنظر: المدني، ابتسام، بنية النصّ القرآني.. دراسة موازنة بين البنى العقائدية واللغوية والفنيّة:

يتمثل بالآيات (٨٢-٩٧) من سورة النحل، إذ قالت: «إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثًا، تَتَخَذُونَ آيَاتِكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ»، وهذا مُقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيَاتِكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ...﴾^(١).

تبدأ الآية الكريمة بالنهاي من أن يكون المسلمون كالتي نقضت غزلها، وقد ورد في تفسيرها أن الله سبحانه وتعالى يخاطب المسلمين، فيوصيهم ألا يكونوا كالمرأة التي غزلت وفتلت الغزل وصار قويا متينا يمكن أن يُتفَع به، وإذا بها تنقضه، أي: تُدَوِّر آلة الغزل بعكس الفتلكته^(٢).

والنكث في اللغة: «نَقَضَ مَا تَعَقَّدَهُ وَتُصَلِّحُهُ مِنْ بَيْعَةٍ وَغَيْرِهَا»^(٣)، والأصل فيه نكث الحبل حين تنقض برمه، ومن هنا قيل: نكثُ العهد، ليُقصد به نَقْضه بعد إحكامه، والمثل القرآني ضربه الله تعالى لِيُشَبَّه به حال ناقض العهد بمن نكثت غزلها^(٤). والسيدة زينب عليها السلام لم تقرأ في خطبتها نص الآية، أي: لم تقل لهم: يا أهل الكوفة، يا أهل الحتل والغدر، أتبكون؟! فلا رقات الدمعة، ولا هدأت الرنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيَاتِكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾^(٥)؛ لأنها لو جاءت بالاقتباس بهذا الشكل فسوف يكون أسلوبها أسلوب النصح والإرشاد، وهو لم يكن مقصودها في المقام، وإنما أشارت السيدة إلى الصفة التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها وأثبتتها لهم؛ لتُظهر بأنهم فعلوا ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه حقاً، وتُثبت لهم النهي الثاني المتمثل بأنهم اتخذوا آياتهم دخلاً بينهم، أي: اتخذوا من الأيمان وسيلة للخيانة.

(١) النحل: آية ٩٢.

(٢) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٥٩٠.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ١٩٦.

(٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٥٩٠.

(٥) النحل: آية ٩٢.

والناظر إلى الموقف الزينبي في خطبتها في الكوفة، يعلم أن الكلام موجه لابن زياد ولكن لم يناصر الحسين عليه السلام بصورة عامة، فقد نادت: «يا أهل الكوفة...»، فهم اعتنقوا الإسلام وصلّوا وصاموا، وبذلك يكونون قد أبرموا العقد وبقوّة، ولكنهم اليوم مع الحسين عليه السلام دوّروا المحور بالعكس كما يدور الغزل فيُنقَض من بعد القوّة ويكون أنكاثاً، فهم ساروا بالاتّجاه المعاكس للعهد الذي عاهدوا به الله، فتحول صنّعهم الذي قضوا فيه حياتهم إلى أنكاث، لا تُغزل أبداً، فقد قُتل الحسين عليه السلام، ومن أين لهم نبيّ جديد يعقد غزلهم؟! ومن أين لهم حسين آخر يُصلح ما نكثوه؟!

ويحقّ للمتلقّي - ولا سيّما في زماننا هذا، البعيد عن عصر النهضة الحسينية - أن يتساءل: لماذا يحصل هذا كله؟

هنا تأتي الحكمة الزينبية في اختيار الاقتباس من هذا النصّ القرآني بالذات، حيث وجدنا الإجابة صريحة وواضحة في سياق النصّ الذي اقتبست منه السيّدة عليها السلام، فالامتداد القرآني النازل من تلك الآية المُقتبس منها يُجيب عن هذا التساؤل، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿... أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ...﴾، فالقوم قتلوا حسيناً حتّى لا يكون أهل بيت الرسول محمد صلّى الله عليه وآله لهم الزيادة في القوّة والعلو والرقي والشأن، فيربون على بني أميّة، أمّا التابعون لهم فقد نقضوا العهد مع الله ورسوله ظناً منهم أن يزيد أقوى من محمد صلّى الله عليه وآله المتمثّل بالحسين عليه السلام.

ولما تسحرنا الحقيقة التي قالتها السيّدة زينب عليها السلام بهذا الامتداد القرآني، نقول: نعم أيتها السيّدة المقدّسة، وماذا بعد؟ وتأتي تتمة الآية: ﴿... إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِٖ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، فهو الامتحان المصيري، إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار.

ويُقسم سبحانه وتعالى بأنّ الحقيقة سوف تصدح يوم القيامة، لتُخزي تكالبهم على الدنيا وسلوكهم سبيل الباطل من أجلها. كما يُظهر الامتداد القرآني المعجزة في القضية الحسينية حين أفصح ذلك الامتداد بأنّ الفائز (هو الذي قُتل)، والفائز (هو

الذي سُيِّبَ)، والفائز (هو الذي ظَلِمَ)؛ بينما الخاسر (هو مالك القصور والأموال)، والخاسر (هو مالك الرقاب والبلاد)، وإذا تابعنا الآيات النازلة من الاقتباس، نجدها لم تترك فريضة النصح والإرشاد، ولكنه نصح وإرشاد ليس للجيل المعاصر للطف، فذلك جيل نكث غزله وانتهى أمره، إنَّها النصح والإرشاد للأجيال القادمة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ تَلَوْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)، فقد اقتضت حكمته أن يخذل مَنْ اختار الكفر ويلطف بمن اختار الإيمان. ويستمرّ الإرشاد الزينبي: ﴿وَلَا تَنْخَذُوا أَيَّمَنَكُمُ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)، أي: احذروا من اتِّخَاذِ اليمين وسيلة للخداع والنفاق، وتستمرّ أيضاً النصيحة الزينية: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، أي: لا تخالفوا عهد الله بسبب مغريات الحياة الدنيا، فتدعوكم إلى الكذب والخيانة لأجل حفنة من حطام الدنيا، النافذ مقابل ما عند الله الباقي، وإنَّ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤)، وهذه الآية تحديداً صورة للظرف الذي يحيط بالسيدة زينب عليها السلام وقت الخطاب، فهم الركب الذي فيه الذكر والأنثى، وهم الركب الذين عملوا الصالحات، وهم الركب المؤمنون حقاً؛ ولذلك فإنَّها عليها السلام متيقنة من حياتها الطيبة في الدنيا والآخرة، فماذا يعينها يزيد وماذا يعينها السبي، وهذا كله قد تجسّد في قوتها وصلابتها في مواجهة المحنة التي ألمت بها، وما قدرتها عليها السلام على البيان إلا دليل على هذه القوّة والصلابة.

(١) النحل: آية ٩٣.

(٢) النحل: آية ٩٤.

(٣) النحل: آية ٩٥-٩٦.

(٤) النحل: آية ٩٧.

وإذا تدبّرنا النصّ الذي ورد فيه الاقتباس، وجدناه يُشكّل بؤرة إشعاع لما تريد أن توحى به السيّدة زينب عليها السلام، وأنّ هذا الإشعاع ينطلق في اتجاهين:

١- اتّجاه نازل: يُشير إلى الحال والاستقبال.

٢- اتّجاه صاعد: وهو عبارة عن:

الصعود الأوّل: يتمثّل بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)، فالآية تذكير بالبيعة للرسول صلى الله عليه وآله، وتذكيرٌ بالتحذير من نقض العهد، فإنّهم بايعوا الله ورسوله، وعاهدوهما بإرادتهم واختيارهم من دون إكراه، وها هم يقعون في المحذور نفسه، فقد خانوا العهد ونقضوا الأيمان، وقتلوا سبط الرسول الذي بايعوه وسبوا أهل بيته.

الصعود الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢)، فهو عز وجل يأمر بالإنصاف بين الخلق والتعامل بالحقّ الذي ليس فيه ميل ولا عوج، ثمّ يأمر بإعطاء الأقارب حقّهم، والذي هو صلّتهم، وقد ورد في الأثر أنّ المراد بذي القربى هم قرابة النبي صلى الله عليه وآله، الذين قصدهم الله بقوله: ﴿فَأَن لِّلَّهِ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٣) (٤). وبعد ذكر القرآن الكريم للأصول الإيجابية الثلاثة: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، يتطرّق للأصول السلبية المقابلة لها، فيقول: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) النحل: آية ٩١.

(٢) النحل: آية ٩٠.

(٣) الأنفال: آية ٤١.

(٤) في مقام تطبيق مصطلح (ذو القربى) الوارد في الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ على قرابة الرسول صلى الله عليه وآله، أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن:

ج ٤، ص ٥٨٣-٨٣٦.

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، فقد تحدّث المفسّرون كثيراً عن هذه المصطلحات الثلاثة: (الفحشاء، المنكر، البغي)، إلا أنّ ما يناسب معانيها اللغوية بقرينة مقابلة الصفات مع بعضها الآخر، يُظهر أنّ الفحشاء: إشارة إلى الذنوب الخفية، والمنكر: إشارة إلى الذنوب العلنية، والبغي: إشارة إلى كلّ تجاوز على حقوق الإنسان وظلم للآخرين واستعلاء عليهم^(١).

والمثأمل في النصّ - وهو يستحضر الظرف الذي اقتبست فيه السيّدة زينب عليها السلام ذلك القبس القرآني بامتداداته - يعرف أنّ قتل الحسين عليه السلام فضيحةٌ كبرى للقاتلين ومؤازريهم والساكّتين على فعلهم؛ إذ تمثّلت فيهم معصية الله في أمره بالعدل، ومعصيته في الإحسان، ومعصيته في إعطاء قربي الرسول صلى الله عليه وآله حقّهم، ثمّ التجاوز على حرّماتهم قتلاً وسبيّاً.

الصعود الثالث: قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾^(٢).

إذ ينقل لنا هذا النصّ مشاهد من حالة الفضيحة الدنيوية التي يعيشها المجرمون بسبب معصيتهم لله سبحانه إلى يوم القيامة، حيث يقوم الحساب ويقف هؤلاء المجرمون من جميع الأمم منتظرين حسابهم تبعاً، ومع كلّ أمةٍ شاهدتها، وهو النبيّ المرسل إليها، حتّى تصل النوبة إلى حساب المجرمين من أمة محمد صلى الله عليه وآله، ومنهم قتلة الإمام الحسين عليه السلام، فيستدعى شاهدها: الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وللتدليل على المعنى المتقدّم فقد ورد في التفسير: أنّ الشهداء هم الأنبياء من الأمم، يشهدون على ما فعلته أُممهم من المعاصي، وقوله تعالى: ﴿ **وَجِئْنَا بِكَ** ﴾، أي: يا محمد، ﴿ **شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ** ﴾،

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٨، ص ٢٩٩.

(٢) النحل: آية ٨٩.

يريد على قومك وأمتك، ويكون القرآن هو الذي يُتحاكم إليه؛ لأن فيه بياناً لكل أمر مُشكل، وفيه من الشرائع والأحكام التي تؤدي إلى نعيم الآخرة، وعلى رأسها: الرحمة من الله، وبشارة المؤمنين بالثواب الدائم والنعيم المقيم^(١). وهنا يسَلط النص الأضواء على أصحاب الجرم المشهود، الذين سيعيشون أجواء الفضيحة الكبرى أمام الحاكم العدل (الله سبحانه وتعالى)، وأمام الشاهد بالحق (الرسول محمد ﷺ)، وأمام المُحتكم إليه (القرآن الكريم) ليقول لهم: ماذا فعلتم أمام هذا النهي الرباني: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٢)، وإذا تصوّرنا تلك المحكمة وهي تُسألهم: هل كنتم كالتّي نقضت غزها؟ هل اتّخذتم أيانكم دخلاً بينكم حتّى لا تكون أمة الحسين أعلى من أمتكم؟ هذا امتحانكم واختباركم اليوم فأجيبوا؛ لأننا وعدناكم وأقسمنا أنّ نبيّن لكم ما كنتم فيه تختلفون في هذا اليوم.

وهنا تتجلّى السيّدة زينب عليها السلام في اختيار الاقتباس القرآني من هذه الآية الكريمة. الصعود الرابع: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾^(٣)، فإنّ هذا النص هو في مقام صدور الحكم بحق المجرمين بعد أن أثبتوا الجرم على أنفسهم، وقد ورد في التفسير: أنّ الموصوفين تحمّلوا جريمة كفرهم، وجريمة صدّ غيرهم عن الهدى، فُضوعف لهم العذاب جزاءً وفاقاً^(٤). وعليه؛ فالإشراقة الزينية تتجلّى في بيان عاقبة هؤلاء المجرمين، فهم قتلوا الحسين وحملوا الآخرين على قتله، فتحمّلوا عذاب جريمتهم، وازدادوا عذاباً لتحميلهم الآخرين على الإتيان بالجرم نفسه.

(١) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٥٨٦.

(٢) النحل: آية ٩٢.

(٣) النحل: آية ٨٨.

(٤) أنظر: الشاذلي، سيّد قطب بن إبراهيم، في ظلال القرآن: ج ٤، ص ٢١٨٨.

الصعود الخامس: قال تعالى: ﴿وَالْقَوَىٰ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(١)، أي: إثمهم لا يجدون من مفترياتهم شيئاً يعتمدون عليه في موقفهم العصيب^(٢) غير الاستسلام، وإلقاء السَّلَم - في المقام - إشارة إلى الاستسلام مع الخضوع والمقهورية بالقهر الإلهي^(٣)؛ وبالتالي فما عسى مخاطبو السيِّدة زينب عليها السلام أن يقولوا مسوِّغاً لقتلهم الحسين عليه السلام في ذلك الموقف الرهيب؟! أيقولون خارجياً كما أشاع يزيد وزبائنته في بلاد الشام؟! كلا، لا يستطيعون ذلك؛ فالحاكم هو الله، والشاهد هو الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمحتكم إليه هو القرآن الكريم.

الصعود السادس: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤)، فالمشهد في يوم القيامة يُظهر الذين أشركوا والشركاء في ساحة الحشر، فالذين أشركوا يتصوِّرون أن إلقاء اللوم على الشركاء يُنجيهم، فيشيرون إلى الشركاء ويقولون ربَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا، فيفزع الشركاء ويرتجفون من هذا الاتهام الثقيل، فإذا هم يُعلنون تكذيب هَؤُلَاءِ في التقرير: ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥)، ولكن لا نفع لخصومة أهل النار؛ إذ قال تعالى على لسانهم في سورة (ص): ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِزْدَهُ عَدَا بَا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾^(٦)، وقال تعالى أيضاً وهو يصف حال أهل النار في السورة نفسها: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُّمِ أَهْلِ النَّارِ﴾^(٧)، وأخيراً أعلن عز وجل في سورة الأعراف الحكم النهائي الصادر بحق المتخاصمين في النار:

(١) النحل: آية ٨٧.

(٢) أنظر: الشاذلي، سيّد قطب بن إبراهيم، في ظلال القرآن: ج ٤، ص ٢١٨٨.

(٣) أنظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٣٢٠.

(٤) النحل: آية ٨٦.

(٥) أنظر: الشاذلي، سيّد قطب بن إبراهيم، في ظلال القرآن: ج ٤، ص ٢١٨٧-٢١٨٨.

(٦) ص: آية ٦١.

(٧) ص: آية ٦٤.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أَخْنَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾^(١).

هذا هو المشهد الذي رآته السيدة زينب عليها السلام ساعة الجريمة الكبرى، فراحت تشير إليه من خلال الاقتباس الوارد في خطبتها؛ وذلك لتمتد الإشارة إليه على مدى الأزمان وتدعونا لرؤية الحقيقة.

الصعود السابع: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٢)، تُبين الآية الشريفة - كما ورد في التفسير - تصويراً للذين كفروا، فهم واقفون لا يؤذَن لهم في إلقاء الحجج، ولا يجدون مَنْ يشفع لهم، ولا يُطلب منهم أن يسترضوا ربهم بعملٍ أو قول، فقد فات أوان العتاب والاسترضاء، [فقد قُتِلَ الحسين عليه السلام] وجاء وقت الحساب والعقاب^(٣).

الصعود الثامن: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(٤)، وكما مرَّ سابقاً فالشهداء هم الأنبياء، والمشهد يبدأ بموقف الشهداء ليدلوا بما يعلمون، ممَّا وقع لهم في الدنيا مع أقوامهم من تكذيب يُقابل تبليغهم عليهم السلام^(٥)، وعندما يصل الأمر إلى أُمَّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويصل الحساب إلى قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ستكون الطامة الكبرى، فالشاهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليس فيهم أحدٌ إلا وقد سمع أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم في سبطه الحسين عليه السلام، ولما يريدون أن يعتذروا علَّهم يدفعون عن أنفسهم شيئاً لا يُسَمَّح لهم.

(١) الأعراف: آية ٣٨.

(٢) النحل: آية ٨٥.

(٣) أنظر: الشاذلي، سيّد قطب بن إبراهيم، في ظلال القرآن: ج ٤، ص ٢١٨٧.

(٤) النحل: آية ٨٤.

(٥) أنظر: الشاذلي، سيّد قطب بن إبراهيم، في ظلال القرآن: ج ٤، ص ٢١٨٧.

الصعود التاسع: قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١)، قد جاء في تفسير هذه الآية: أنّ المعرفة والإنكار متقابلان كالعلم والجهل، فيكون المعيب أنّهم يعرفون النعمة من الله، ومقتضى ذلك أن يؤمنوا بصاحب النعمة و برسوله، وبما يُخبر عن اليوم الآخر، ولكن حقيقة أعمالهم تُشير إلى إنكار تلك النعمة، وكأنّهم لا يعرفونها، وأكثرهم لا يكتفون بمجرد الإنكار العملي، بل يزيدون عليه بالكفر والعناد مع الحقّ والجحود به^(٢).

ولنا أن نقف عند مفهوم المعرفة، إذ عرّفت عند أفلاطون بأنّها: «معتقد صادق مبرّر»^(٣)، والمعرفة في المفاهيم الحديثة تعني: «الاستفادة الكاملة من المعلومات والبيانات بصحبة إمكانيات ومهارات الأشخاص من كفاءات وأفكار وبديهيات...»^(٤)، وبهذا يكون الامتداد القرآني في كلام السيّد زينب عليها السلام مشيراً إلى أنّ المخاطبين في واقعة كربلاء لديهم معرفة كاملة بشخص الحسين عليه السلام، أي: لديهم المعلومات والبيانات والإمكانيات والكفاءات الفكرية والبديهيات، وذلك ما يفرض عليهم أن يكونوا مستفيدين تمام الاستفادة من هذه المعرفة بشخص الحسين عليه السلام، ولكنّ الواقع غير ذلك؛ فإنّهم أنكروا كلّ ما لديهم من معرفة؛ وذلك لأنّ أكثرهم كافرون يُقبلون الحقائق ويسترونها، فالكفر في اللغة: قلب الحقائق وسترها وتغطيتها^(٥).

الصعود العاشر والأخير: قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾^(٦)،

(١) النحل: آية ٨٣.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٣١٦.

(٣) أحمد علي، مجلّة جامعة دمشق: المجلد ٢٨، العدد الأوّل، ص ٤٨٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ١٤٤-١٥١.

(٦) النحل: آية ٨٢.

هذا الصعود الأخير فيه إشارة إلى يأس المتكلم من القوم الذين يخاطبهم، وقد جاء في التفسير: أنه لما تمّ الفراغ من استعراض النعم المذكورة والاحتجاج بها، ختم القرآن حديثه بما مدلوله العتاب واللوم والوعيد على الكفر، وبدأ ذلك ببيان وظيفة النبي ﷺ في رسالته وهي البلاغ^(١). ومن هنا؛ فهدف السيّدة زينب ؓ من هذا الامتداد القرآني هو القول بأنه: لا فائدة بعد ذلك للوم أو عتاب، إنّما إلقاء البلاغ وإلزام الحجّة.

وبهذا نجد أن الامتدادات القرآنية في هذا الاقتباس الوارد في خطاب السيّدة زينب ؓ، تشتمل على حقائق حين تُسلط عليها الأضواء، يجدها القارئ تمتدّ من الماضي، وتستمرّ في ذلك التمدد وصولاً إلى الحاضر والمستقبل.

الفقرة الثالثة: اختبار الفرضية

الفرضية التي قدّمها البحث افترضت أن الاقتباسات القرآنية التي وظّفها السيّدة زينب ؓ في خطابها، لم تكن اقتباسات يُقصد منها الجزء المقتبس وحسب، وإنّما كان لها أهداف ومقاصد أخرى، يجدها المتلقّي في الامتدادات القرآنية التي يحتويها النصّ القرآني المقتبس منه، ثمّ اخترنا تلك الفرضية على أوّل اقتباس يواجهنا في خطبتها ؓ في الكوفة، وقد تبين صحّة الاختبار، ولكنّ الباحث العلمي سوف يبقى في شكّ من صحّة تلك الفرضية؛ بسبب ما يمكن أن يرد من أسئلة مشروعة حول الفرضية، والأسئلة تتمثل بما يأتي:

- ألا يمكن أن يكون هذا الاقتباس وحده يحمل هذه الخصوصية مصادفةً؟
 - ألا يمكن أن يكون كلّ اقتباس يحمل خصيصة الامتدادات القرآنية المشار إليها؟
 - هل لأهل البيت ؓ خصوصية في هذا الامتداد؟
- أما الإجابة عن السؤال الأوّل فتمثّل بدراسة النصّ الثاني من خطاب السيّدة

(١) أنظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٣١٥.

زينب عليها السلام من الخطبة نفسها، وقد تمّ اختيار النصّ الأوّل بدايةً، والنصّ الثاني نهايةً؛ حتّى يتبيّن أنّ الاختيار غير قصدي لنصوصٍ معيّنة، قد تبدو فيها ظاهرة الامتداد دون غيرها، إنّما كان اختياراً تسلسلياً؛ كي يتسنى لنا أو للباحثين الآخرين استقصاء تلك الاقتباسات واستقراؤها.

قالت السيّدة زينب عليها السلام في خطبة الكوفة: «ألا وهل فيكم إلا الصلِفِ النطفِ، والصدر الشَّنْفِ، وملقِ الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة؟! ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم، أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون»^(١).

فالسيدة تقول بلسانها: إنّ كلّ واحد فيكم (صلف نطف)، أي: يتمدّح بما لا يملك من صفات المدح، بل هو ملطّخ بالعيوب، وصدرة يتفجّر عداً وبغضاً، ويتملّق لأسياده تملّق الإماء فاقدات الحرّية المستعبدات، في حين أنّه لم يقابلهم أسيادهم إلا بالغمز والتكبر والاحتقار، وأنّهم كذلك كالمرعى الذي ينبّت على مخلّفات الحيوانات، فتأمّمه الأنعام لاخضراره، من دون أن تعي ما نبتت عليه هذه الخضرة، وأنّهم كالأموات الذين وُضعت على قبورهم الفضة، فيحسبها الرائي محترمةً، بينما هي تضمّ أمواتاً^(٢).

ثمّ تقتبس عليها السلام من نصّ في سورة المائدة: يقول فيه تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾^(٣).

وقد ورد هذا النصّ المقتبس في سياق يتكوّن من أربع آيات، وهو قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٨٧.

(٢) أنظر: القزويني، محمّد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهدي إلى اللحد: ص ٣٠٠ - ٣٠٤.

(٣) المائدة: آية ٨٠.

يَمَاعَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَلِيدُونَ * وَلَوْ كَانُوا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ
فَسِيفُونَ ﴿١﴾.

وتتضمن الآية موضع الاقتباس مجموعة من ضمائر الغائب العائدة على اليهود
الذين يتولون مشركي مكة أو المنافقين الذين يتولون الكافرين^(٢). وقد حوّلت
السيدة زينب عليها السلام في اقتباسها لهذا النص القرآني ضمائر الغائب المشار إليها إلى ضمائر
للمخاطبين، قد قصدت بها عليها السلام أهل الكوفة؛ وبذلك تكون قد أثبتت لهم النفاق
الذي جعلهم يتولون الذين كفروا.

والكفر في اللغة: ضد الإيمان، وفيه دلالة أيضاً على جُحود النعمة، أي: إنّه نقيض
الشكر، والكفر كذلك يدلّ على تغطية الحقيقة وسترها^(٣). ومن هنا؛ فإنّ السيدة
زينب عليها السلام تثبت النفاق للذين لم ينصروا الحسين عليه السلام؛ لأنّهم يتولون غير المؤمنين،
يتولون العصاة الذين جحدوا نعم الله وستروها وقلبوها، وواضح أنّ المقصود هو
يزيد وأتباعه.

وقد ورد في تفسير الآية أعلاه: أنّ هذا من قبيل الاستشهاد بالحسّ على كونهم
معتدين، فإنّهم لو قدروا دينهم حقّ قدره لزموه ولم يتعدّوه، ولازم ذلك أن يتولّوا
أهل التوحيد، ويتبرّأوا من الذين كفروا؛ لأنّ أعداء المقدّسات أعداء للأولياء، فإذا
وجد أنّهم تحابّوا وتولّوا بعضهم بعضاً دلّ ذلك على أنّه لا قدسية عندهم، بل لا دين
لهم حينما لجأوا إلى ولاية الكفار إرضاءً للأهواء؛ ولذلك كان جزاء هؤلاء أن سخط

(١) المائة: آية ٧٨-٨١.

(٢) أنظر: السمرقندي، نصر بن محمد، تفسير السمرقندي المسمّى بـ(بحر العلوم): ج ١، ص ٤١١.

(٣) أنظر: الزبيدي، محمّد مرتضى، تاج العروس: ج ٧، ص ٤٤-٤٥.

الله عليهم، وكانت عاقبتهم سوء نتيجةً لأعمالهم تلك^(١). ومن غير جهد نصل إلى مطابقة الامتدادات لحال المخاطبين في خطاب السيِّدة زينب عليها السلام.

فإذا اتخذنا آية الاقتباس بؤرة إشعاع كما فعلنا مع النصِّ الأوَّل، فسنجد أنَّ النصَّ النازل من هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ** ﴾^(٢).

وقيل في التفسير: المراد هو أنَّ الكفَّار لو آمنوا بنبيِّنا محمد صلَّى اللهُ عليه وآله وبما أنزل من القرآن إيماناً صحيحاً، ما اتَّخذهم أهل الكتاب أولياءً، فإنَّ الإيمان ينقض توليهم لغير المؤمنين^(٣). والمتأمل لا يحتاج إلى جهد كي يُبصر حقيقة انطباق الدلالة على المخاطبين في خطاب السيِّدة زينب عليها السلام.

أمَّا بالنسبة إلى النصوص الصاعدة من هذا الاقتباس فهي عبارة عن:

النصِّ الصاعد الأوَّل: قال تعالى: ﴿ **كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾^(٤).

حيث ورد في التفسير أنَّ الآية الكريمة تُفسَّر المعصية والاعتداء الواردين في الآية التي قبلها، وتبيِّن بأنَّ منشأها هو عدم نهي الناس بعضهم بعضاً عن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، ثمَّ يتعجَّب النصُّ من سوء فعلهم هذا، مؤكِّداً ذلك السوء بالقسم المتعلِّق بـ(بئس)، ويتحرَّر المفسِّر - في المقام - على المسلمين بسبب إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير، وكأثمهم ليسوا من ملَّة الإسلام في شيء، مع ما يتلَّون من كلام الله وما فيه من حثٍّ في هذا الباب^(٥). فالسيِّدة عليها السلام تُشخِّص في هذا الامتداد القرآني السبب الأساس الذي قادهم إلى هذه الجريمة الكبيرة، وتؤكد أنَّ هؤلاء لم يتحمَّلوا آيةً مسؤولية اجتماعية، فما كانوا

(١) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٧٨.

(٢) المائة: آية ٨١.

(٣) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٧٨-٧٩.

(٤) المائة: آية ٧٩.

(٥) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج ١، ص ٦٦٧.

يتناهون عن المنكر، بل وحتى الصلحاء منهم كانوا بسكوتهم وممالأتهم يُشجّعون أهل المنكر، فلا ينهى بعضهم بعضاً عن أيّ منكر يفعلوه؛ لذلك كانت أعمالهم سيئة وقبيحة^(١). وهذا عين ما حصل وأدى إلى الجريمة الكبرى في حق الإنسانية حين قُتل المصلح في أمة النبي محمد ﷺ، الذي هو الإمام الحسين عليه السلام، بحيث سكت الجميع على ذلك المنكر، حتى تفاقم ووصل إلى بسس الفعل المتمثل بحادثة الطف المروعة.

النص الصاعد الثاني: قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢).

فقد ورد في التفسير أنّ الآية تُشير إلى المصير المشؤوم الذي ينتهي إليه الكافرون، ويضرب مثلاً بنبيّين دون غيرهما، النبي داوود والنبي عيسى عليه السلام؛ ذلك أنّ أهل الكتاب كانوا يفخرون بأنهم من نسل داوود، فيؤكّد القرآن أنّ داوود لعن الكافرين، وهم الكافرون الطغاة، وأنّ عيسى عليه السلام لعن جمعاً من أتباعه ممن أصروا على اتباع طريق الإنكار والمعارضة، حتى بعد نزول المائدة من السماء، وعلى كلّ حال فالآية تُشير إلى أنّ مجرد كون الإنسان من بني إسرائيل، أو من أتباع المسيح دون أن ينسجم مع خطّ سير هذين النبيّين، يكون مدعاةً للعنهما، وهكذا من كان على هذه الشاكلة من الناس، وفي آخر الآية بيانٌ لهذا السبب وهو المعصية والاعتداء^(٣)، واللذان تقدّم الحديث عن منشئها في الصعود الأوّل.

وقد وظّفت السيّدة زينب عليها السلام هذا الامتداد القرآني في خطابها ببيان أنّ المخاطبين قد تمثّلوا بنفس الصورة التي كان عليها المقصودون في الآية الكريمة، فهم يتباهون بأنهم خلفاء الرسول ﷺ، والحقيقة أنّهم ملعونون على لسانه بسبب معصيتهم وطغيانهم

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٤، ص ١١٧.

(٢) المائدة: آية ٧٨.

(٣) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٤، ص ١١٦-١١٧.

واعتدائهم، والامتداد القرآني يُبيِّن أنَّ المعصية والاعتداء سنَّة بشرية قديمة قدم الإنسان، وتواجه باللعن على لسان الأنبياء ﷺ كلَّهم.

أمَّا إجابة السؤال الثاني المتمثل باحتمالية أنَّ كلَّ اقتباس في أيِّ خطاب يمكن أن تكون له هكذا امتدادات، وبذلك تسقط تلك الخصوصية في خطب آل البيت ﷺ، فإننا نقول بشأنها: إنَّه قد اخترنا للقارئ الكريم نصًّا من خطب الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمَّد آل الشيخ التميمي، وهو مفتي المملكة العربية السعودية، وقد كانت الخطبة المختارة هي الأولى من مجموعة خطبٍ أُلقيت في يوم عرفة، وكان الاقتباس - الذي سنذكره - هو الأول في تلك الخطبة؛ حتَّى لا يكون الاختيار قصدياً فيؤدِّي إلى حصول خللٍ في الفرضية التي نحن بصدد إثبات صحتها.

خطبة عام ١٤٠٢هـ

«أيها الناس.. أيها المسلمون.. اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، اتقوا ربَّكم فهو أهلُّ أن يتقَى، وأهلُّ أن يغفر... إنَّ التقوى - يا عباد الله - وصيةٌ أوصى الله بها الأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ...﴾^(١)، التقوى يا عباد الله بها تُنال ولاية الله، فإنَّ ولاية الله لا ينالها إلا المتقون»^(٢).

الاقتباس المذكور في هذا القسم من الخطبة هو جزء من آية في سورة النساء، والنص الذي وردت فيه هذه الآية هو قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا * وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْهَا نُسُورًا

(١) النساء: آية ١٣١.

(٢) الجامع لخطب عرفة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ (المفتي العام للمملكة العربية السعودية): ص ١٩.

أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ
 الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا
 أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ
 وَإِنْ تُصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا * وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعِنِ اللَّهُ كِلَاهُمَا
 سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا * وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا *
 إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١﴾.

فالناظر يجد أن الاقتباس المذكور ليس فيه أي امتدادات في القرآن الكريم، إنما دلالاته في الجزء المقتطع وحسب.

وبذلك نستطيع القول: إن المنهج الذي كنا بصدد الحديث عنه في هذه المقالة قد حقق نجاحاً ملحوظاً، إلا أنه يحتاج إلى استقصاء لهذه الظاهرة وزيادة في الاختبار، فإذا ما سُجِّلَ الصِّدْقُ فِي الْاِخْتِبَارَاتِ كُلِّهَا؛ يَكُونُ قَدْ فَتَحَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ تَعَالَى لَنَا أَبْوَاباً كَثِيرَةً، نَرُدُّ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى أَحَادِيثٍ وَخُطَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، وَنَحْصِلُ بِوِاسْطَتِهَا عَلَى كُنُوزٍ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا الْمَفَاتِيحُ مِنْ قَبْلُ.

النتائج

١- حَقَّقَتِ الْفَرْضِيَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الدَّارِسَةِ نَجَاحاً مَلْحُوظاً، وَتَلَمَّسْنَا - مِنْ خِلَالِ الْحَدِيثِ حَوْلَهَا - أَنَّ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَهَا كَانَتْ تَقْتَبِسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَانَتْ لَهَا مَقَاصِدٌ عَمِيقَةٌ وَكَثِيرَةٌ، يُمْكِنُ لِلدَّارِسِ اسْتِشْفَافُهَا عِنْدَ مَتَابَعَةِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي اقْتَبَسَ مِنْهُ.

٢- إن الارتجال مع الظرف العصيب الذي أدت به السيِّدة زينب عليها السلام الخطبة، يدلُّ على أن القرآن الكريم متماهٍ مع عقلها وذهنها عليها السلام، فلا تحتاج إلى عمل بحث وتمحيص لاختيار تلك الاقتباسات القرآنية.

٣- أجمت الامتدادات القرآنية المتّصلة بخطبة السيِّدة زينب عليها السلام خلاصة لحادثة الطفّ، وتمثّلت تلك الخلاصة بما يأتي:

- أ- إثبات نقض العهد للقوم المخاطبين.
- ب - تشخيص سبب تلك الجريمة البشعة، وحصره بالحسد من أن يكون أهل بيت محمد صلّى الله عليه وآله أرقى البيوت وأعلاهنَّ شأنًا.
- ج - بيان أنّ تلك المطامع البشرية، وحبّ الذات، والعمل على ألا تكون أُمَّةٌ خير من أُمَّة، ما هو إلاّ اختبار تظهر نتائجه يوم القيامة حين يُظهر الله حقيقة النفوس التي تكالبت على الدنيا ويخزيها.
- د- إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يريد الإيمان القسري، ولو أراد ذلك لجعل الناس أُمَّةً واحدةً.

هـ- أثبتت السيِّدة عليها السلام للقوم بأنهم قد اتَّخذوا الأيمان وسيلةً للخداع والخيانة.

و- تقديم النصح إلى الناس بالالتزام بالعهد، والتزهيد بالدنيا، والتذكير بالخير الإلهي.

ز- الحثُّ على الوفاء بالعهد، والإحسان، ومحبة آل الرسول صلّى الله عليه وآله، والتحذير من نقض الأيمان والبغي.

ح - تصوير حال ناقضي العهد يوم القيامة.

التوصيات

البحث نواة لمشروعٍ بحثيٍّ كبيرٍ يُحقَّق ما يلي:

- ١- التحقُّق من صدق الفرضية وانطباقها على خُطب السيِّدة زينب عليها السلام بتمامها.
- ٢- التحقُّق من صدق الفرضية وتجريب انطباقها على خُطب مختارة من كلام أهل البيت عليهم السلام.
- ٣- التحقُّق من مدى انحصار هذه الخُصيصة بأهل البيت عليهم السلام بعد محاولة دراسة الامتدادات في خُطبٍ حديثةٍ وقديمةٍ صادرةٍ من غيرهم.
- ٤- التحقُّق من مدى شمول كلام أهل البيت عليهم السلام جميعاً بظاهرة الامتدادات القرآنية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم - إيران.
- ٢ - أنوار الربيع في أنواع البديع، السيِّد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق: شاکر هادي شکر، مطبعة النعمان، النجف - العراق، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.
- ٣ - الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، جلال الدين محمَّد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤ - بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.
- ٥ - بحر العلوم، نصر بن محمَّد بن أحمد السمرقندي (ت ٩٨٣هـ)، تحقيق: عمر بن غلام حسن عموري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.

- ٦ - بنية النصّ القرآني.. دراسة موازنة بين البنى العقائدية واللغوية والفنية، ابتسام السيّد عبد الكريم علي المدني، دار النهضة ودار الحكمة، بيروت وبغداد، ٢٠١٠م.
- ٧ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٨ - زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيّد محمّد كاظم القزويني، مطبعة باقري، إيران، ٢٠٠٥م.
- ٩ - في ظلال القرآن، سيّد قطب بن إبراهيم الشاذلي (ت ١٩٦٦م)، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ.
- ١٠ - الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ١١ - لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
- ١٢ - اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٣ - مجلّة جامعة دمشق، أحمد علي، المجلد ٢٨، العدد الأوّل، ٢٠١٢م.
- ١٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمّد جواد البلاغي، مطبعة ناصر خسرو، إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
- ١٥ - الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

السيدة زينب عليها السلام في شعر السيد رضا الهندي

م. د. إسراء محمد رضا العكراوي*

المقدمة

لم تكن السيدة زينب عليها السلام شخصية عابرة في واقعة الطف، بل كانت شريكة الإمام الحسين عليه السلام في الثورة، يشاورها في الأمر، ويوكل إليها المهام في حياته، ويودعها الوصايا لما بعد استشهاده عليه السلام.

هذه السيدة العظيمة والمرأة البطلة قد تحمّلت المحن والصعاب الجمة؛ لذلك احتلت السيدة زينب عليها السلام موقعاً كبيراً ومهماً، ومكانة عالية في تاريخ الطف والأدب الحسيني عامة، والشعر بصورة خاصة، فقلماً نجد شاعراً ذكر الإمام الحسين عليه السلام ولم يذكر السيدة زينب عليها السلام، ولكن بدرجات متفاوتة، وأساليب مختلفة.

ذلك لأنّها كانت عقيلة الطالبين، وسيدة نساء قومها، بل سيدة نساء العالم بعد أمّها الزهراء عليها السلام، وكانت الصوت الناطق، واللسان المعبر عن مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وآل بيته، وأهداف ثورته العظيمة، فضلاً عن دورها في رعاية إمام زمانها الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام والعيال.

ولتسليط الضوء على هذه الفكرة اخترنا ديوان الشاعر السيد رضا الموسوي الهندي الذي رثى الإمام الحسين عليه السلام بعدة قصائد ما زالت تُتداول على ألسنة محبي الحسين عليه السلام وأرباب المنابر، وشرعنا في البحث عن الشعر الذي تناول فيه هذا الشاعر السيدة زينب عليها السلام، فوجدنا أنّ السيد الهندي لم يُغفل دور السيدة زينب عليها السلام في أيّ

قصيدة حسينية، بل إن ديوانه احتوى قصيدةً كاملةً على لسانها، وهي تخميس لنونية ابن زيدون الشهيرة (أضحى التنائي بديلاً من تدانينا).

ونظراً للمواقف التي جاء فيها ذكر السيِّدة زينب عليها السلام في ديوان السيد رضا الموسوي الهندي، فقد قسّمنا البحث على ثلاثة مباحث، بحسب كثرة تناول الشاعر للأدوار التي قامت بها العقيلة عليها السلام في ثورة أخيها الحسين عليه السلام، فكان المبحث الأول بعنوان: السيِّدة زينب عليها السلام ومأساة السبي، أمّا المبحث الثاني فكان عنوانه: وداع السيِّدة زينب عليها السلام للحسين عليه السلام، والمبحث الثالث والأخير كان بعنوان: السيِّدة زينب عليها السلام اللسان الناطق عن كربلاء.

ولانّ ندّعي أنّ السيد رضا الهندي حدّد في شعره أبياتاً خاصة لكلّ غرض ممّا ذكرنا، وإنّما جاءت هذه الأغراض أو الأدوار ممتزجة متلاحقة في شعره وبين ثنايا قصائده، وإنّما ارتأينا التقسيم لنشخص بدقّة هذه الأدوار التي ركّز عليها الشاعر.

وقد استعنا في كتابة هذا البحث بمجموعة من المصادر، أهمّها ديوان الشاعر السيد رضا الهندي، وبعض الكتب التاريخية والأدبية التي تناولت سيرة وحياة السيِّدة زينب عليها السلام وما جرى عليها في أحداث كربلاء وما بعدها، مثل كتاب (زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد) للسيد محمد كاظم القزويني، وكتاب (ثلاث نساء في سماء العقيدة) للعلامة الدكتور محمد بحر العلوم، وكتاب (الرثاء) للدكتور شوقي ضيف، وغيرها من المصادر.

وقد توصلّ البحث إلى مجموعة من النتائج أوردناها في الخاتمة، مع مجموعة من التوصيات، نرجو من ذلك كلّه أن نكون قد وفّقنا لرضا الباري عزّ وجلّ، ونيل قطرة من بحر مكارم أهل البيت عليهم السلام، نحصل بها على موطن قدم في سفينة نجاتهم التي من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها ضلّ وهوى، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: السيِّدة زينب عليها السلام ومأساة السبي

لا يمكن أن يمرَّ الإنسان الحرَّ الغيور بذكر قضية سبي السيِّدة زينب عليها السلام وبنات الرسالة مروراً عابراً؛ لما في الأمر من هتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما ينطوي عليه السبي من أساليب وحشية من ذلٍّ وتعذيب نفسي وجسدي لنساء ثكالي وأطفال عَزَل.

وكيف لا يكون أمر ذلك السبي عظيماً عند الله والمسلمين، وزينب عليها السلام هي رمز العفة والحجاب! وهي وريثة أمها فاطمة الزهراء عليها السلام في الخفر والحياء، هذه المرأة التي حدَّثنا التاريخ عن خدرها المصون، إذ لم ير لها خيال، ولم يُسمع لها صوت، ولقد حدَّث يحيى المازني عن خفرها وصونها قائلاً: «كنت مجاوراً لأمر المؤمنين عليها السلام في المدينة مدّة مديدة، وكنت بالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله، ما رأيت لها شخصاً، ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت أن تزور قبر جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً، الحسن عليه السلام عن يمينها، والحسين عليه السلام عن شأها، وأبوها أمير المؤمنين عليه السلام أمامها، فإذا قربت من الروضة النبوية سبقها أبوها أمير المؤمنين، فأخذ ضوء القناديل، فسأله الحسن عن ذلك مرّة، أجابه عليه السلام: أي بُني، إني أخشى أن هناك أحداً ينظر شخصاً أُختك زينب»^(١).

فكيف يهون على المسلمين أن تؤخذ زينب عليها السلام المخدّرة العظيمة أسيرة، مكشوفة الوجه، مسلوبة الحجاب، على جمل هزيل بغير وطاء، يشهدها الناس، وهي تُساق إلى يزيد (لعنه الله)، وهو أبغض خلق الله إليه، وقد ضلّل جلاوزته الناس بأنّ موكب السبايا هذا من الترك أو الديلم^(٢).

(١) الخطيب، علي بن الحسين الهاشمي، عقيلة بني هاشم: ص ١٠-١١.

(٢) أنظر: بحر العلوم، محمد، ثلاث نساء في سماء العقيدة: ص ١٤٨.

فنى السيد رضا الهندي يذكر ذلك متحسراً متوجعاً، فيقول:
 هذا ابن هند وهو شرُّ أمية من آل أحمد يستذلُّ رقابا
 ويصون نسوته ويبيدي زينباً من خدرها وسكينة وربابا
 لهفي عليها حين تأسرها العدا ذللاً وتُركبها النياق صعبا
 وتُبيح نهب رحالها وتنيبها عنها رحال النيب والأقتابا
 سلبت مقانعها وما أبقت لها حاشا المهابة والجلال حجاباً^(١)

إنّ هذه الأبيات تُصوّر حالة السبي المريعة التي مرّت بها نساء بيت النبوة والوحي، إذ يُسار بهنّ من بلد إلى بلد، أسيرات سليات، ويعتمد الشاعر على أسلوب الموازنة، ليبيّن عظم المصاب، فيوازن بين صون نساء يزيد وما حلّ بالسيدة زينب عليها السلام، وهي ربّة الخدر والعفاف، وكذلك بين يزيد، وهو شرُّ أمية، وبين آل أحمد، وهم أشرف الخلق أجمعين.

وينبّه الشاعر في البيت الأخير لأمر مهمّ لم يستطع الأعداء سلبه من زينب عليها السلام، وأنّى لهم ذلك! وهو (المهابة والجلال)، فهي ابنة أمير المؤمنين عليه السلام، وفخر المخدرات. فصفت المهابة والجلال أصيلة في السيدة زينب عليها السلام، فلا ننسى أنّها قدّمت الشهداء، وحفظت العيال، وأظهرت حقيقة ثورة الإمام الحسين عليه السلام للعالم بخطبها الشريفة، ومواقفها الصلبة، فلله درّها من سببٍ أدلّت ساليها!

وفي شعر السيد الهندي نجد هذه الشكوى تصدر عن لسان العقيلة زينب عليها السلام، إذ تشكو لإخوتها مرارة السبي، فيعبّر الشاعر عن ذلك بقوله:

ونحن فوق النياق المصعبات بنا يعجاب حزنُ الربى والغور والسندُ
 في كلّ يوم بنا للسير مجهلة تطوى ويرزنا بين الورى بلدُ^(٢)

(١) الهندي، رضا، ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي: ص ٤٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٦.

وفي هذه الأبيات محاكاة لمنطقها الشريف في مجلس الطاغية يزيد (لعنه الله)، إذ تقول: «أمن العدل يابن الطلقاء، تحديرك حرائك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلدٍ، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد؟!...»^(١).

فالسيد رضا الهندي يتكئ على الحوادث التاريخية وكلام أهل البيت عليهم السلام في سبك شعره، فلا يحمله فنّه الشعري إلى تأويل الأحداث أو تخيلها بشكل جديد، بل اعتمد على شاعريته في إبرازها كما وردت في مصادر التاريخ.

ومن شعره في قضية سبي السيّد زينب عليها السلام ومصائبها، قوله في قصيدة يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام:

هذي نساؤك من يكون إذا سرت	في الأسر سائقها ومن حاديا
أيسوقها (زجر) بضرب متونها	و(الشمر) يحدوها بسبّ أبيها
عجبا لها بالأمس أنت تصونها	واليوم آل أمية تُبديها
حسرى وعزّ عليك أن لم يتركوا	لك من ثيابك ساترا يكفيها
وسروا برأسك في القنا وقلوبها	تسمو إليه ووجدها يضيئها
إن أخروه شجاء رؤية حالها	أو قدّموه فحاله يشجيا ^(٢)

ويبني السيد رضا الهندي أبياته هذه على مبدأ الموازنة أيضاً، فهو يتفجّع لحال العقيلة زينب عليها السلام، موازناً بين أمسها ويومها، فبعد أن كانت في قمة الخدر في كنف إخوتها، أصبحت أسيرة بيد شرّ مرّدة، وبين ما كانت عليه من ستر وخفر، وبين سلب حجابها، وهتك حرمتها المقدّسة؛ إذ ينقل لنا التاريخ صوراً مروّعة عن المصائب التي حلّت ببنات النبوة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، من حرق خيامهنّ، وسلبهنّ، وقتل الأطفال وترويعهم.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٤.

(٢) الهندي، رضا، ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي: ص ٤٧.

ومن ذلك: «بعد ما قتل الحسين عليه السلام بمدّة قصيرة.. هجم جيش الأعداء بكلّ وحشية على خيام الإمام الحسين عليه السلام، وهم على خيولهم، حتّى سُحق سبعة من الأطفال تحت حوافر الخيل»^(١)، ومّا روت المصادر التاريخية أيضاً: «وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول، وقرّة عين الزهراء البتول، حتّى جعلوا ينزعون ملحفة المرأة عن ظهرها! وكانت المرأة تُجاذبُ على إزارها وحجابها حتّى تُغلب على ذلك»^(٢).

ومن الأمور التي ضمّنتها السيد رضا الهندي في شعره: قضية مصاحبة الرأس الشريف للسبايا، وحالة السيّدة زينب عليها السلام، وهي ترى ذلك الرأس الشريف مرفوعاً أمامها على رمح طويل يتقدّم السبايا، وعن ذلك يقول:

ففارقته ولكن رأسه معها وغاب عنها ولكن قلبها معه^(٣)

أيّ فراقٍ عصيب هذا! وأيّ مرافقةٍ صعبة! إذ ترى زينب عليها السلام رأس أخيها يصاحبها في رحلة السبي المظنية والمفجعة! إنّه فراق ولقاء في آن واحد حسب ما يرى الشاعر. ويستعمل الشاعر في ذكر قصّة السبي صوت السيّدة زينب عليها السلام، ويستحضر منطقتها الشريف، فيصوغ قصيدة على لسانها، وهي تخميس لقصيدة ابن زيدون الشهيرة (أضحى التنائى)، ويستهلّها بالقول:

ساق المطايا بنا للشام حادينا ولا محام لنا إلاّ أعادينا
لم يبق من إخوتي حام فيحمينا أضحى التنائى بديلاً من تدانينا

وجارَ حكمُ الليالي بعدهم فينا^(٤)

واستهلال الشاعر هذه القصيدة بقضية السبي دلالة هامة على عظم الحادثة، ووقعها في نفسه، وتطالعا الموازنة فيها أيضاً بين غياب الحياة، ووجود الأعداء

(١) الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين: ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص ٢٤٢.

(٣) الهندي، رضا، ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي: ص ٥٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٨.

حول الركب الزينبي، وهذا الأمر يُفيد بلاغياً في إبراز عظم المصيبة، فضلاً عن ذلك نلاحظ الوزن الذي اختاره الشاعر، وهو البسيط، الذي عضده صوت النون ليتشاركاً في صنع معزوفة الشجن والأين.

ويرد ذكر السبي في شعر السيد الهندي أيضاً في أخرج اللحظات، وهو أوان قتل الإمام الحسين عليه السلام، ووداع زينب عليها السلام الأخير له، فيقول بلسانها عليها السلام:

أنت تمضي لأخيك المجتبي وترى جداً وأماً وأباً
وأنا أذهبُ في ذلِّ السبا ليزيد وأراني وأراه^(١)

وهنا أيضاً يؤدّي أسلوب الموازنة دوراً بارزاً؛ إذ توازن السيّدة زينب عليها السلام بين مصير الإمام الحسين عليه السلام بعد نيله الشهادة ومصيرها، فهو يُقبل على ربِّ رحيم، ويلقى جده عليه السلام وأباه وأمه الزهراء وأخاه الحسن المجتبي عليه السلام، بينما تؤخذ هي مأسورة إلى يزيد، وشتان بين اللقاءين. ويختتم السيد البيت الأخير بقول (وأراني وأراه)، وربما كان في هذه العبارة تصحيف؛ فسياق الجملة يدلّ على أنّ العبارة الأدق هي (ويراني وأراه) بدلاً من (وأراني وأراه).

وهذه العبارة تدلّ على عمق ألم السيّدة زينب عليها السلام حين يُهتك سترها، وينظر إليها يزيد، وتتطوي كلمة (أراه) على معنى الشعور بالألم والحسرة، إذ تلتقي بقاتل أخيها وجهاً لوجه، وتسمع منه السبّ، وترى منه ومن أعوانه وجلالته الشماتة.

وللأسر أيضاً لوعة أخرى يقدّمها الشاعر على لسان السيّدة زينب عليها السلام، فيقول:

إن يكن هيناً عليك هواني واغترابي مع العدى وانتزاحي
ومسيري أسيرةً للأعادي وركوبي على النياقِ الطلاحِ
فبرغمي أنّي أراك مقيماً بين سمرِ القنا وبيضِ الصفاحِ^(٢)

(١) المصدر السابق: ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٤.

فتظهر اللوعة في هذه الأبيات؛ إذ تجمع بين معاني الفراق والهوان، فراق الأحبة وتركهم مجزّرين كالأضاحي على صعيد كربلاء، وهوان الأسر والمسير مع الأعداء، ويظهر ذلك في الألفاظ التي اختارها الشاعر للأبيات المذكورة: (هواني، اغترابي، العدى، انتزاعي، أسيرة، الأعادي، ركوبي، النياق الطلاح)، والنياق الطلاح: هي المتعبة التي أنهكها السير، وفي ذلك كناية عن الشدة والعنت اللذين لاقتها السيّدّة زينب عليها السلام وبنات الرسالة من مسيرة السبي المتعبة، حيث سُقن سَوْقاً أتعب النوق.

المبحث الثاني: وداع السيّدّة زينب عليها السلام للحسين عليه السلام

لم تكن فاجعة الطف الأليمة خفيّة ولا غائبة عن أذهان أهل البيت عليهم السلام، بل كانت ممّا تيقّنوا العلم به؛ لصدور الحديث عن هذا اليوم العظيم من قبل النبي صلّى الله عليه وآله، وقد حملت السيّدّة زينب عليها السلام وصايا أمّها الزهراء عليها السلام، والدلائل والأحاديث في ذلك كثيرة، لا سبيل إلى حصرها في هذه العجالة، ومنها ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام حين وصول الركب الطاهر إلى أرض كربلاء في اليوم الثاني من شهر محرّم الحرام سنة (٦١ هـ)، إذ قال لأصحابه: «انزلوا، ها هنا محطّ رحالتنا، ومسفك دماننا، وهنا محل قبورنا، بهذا حدّثني جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله»^(١).

وهذا يدلّ على أن هاجس الفراق بين السيّدّة زينب عليها السلام وأخيها الحسين عليه السلام لم يكن وليد ساعة أو لحظة، بل هو ممّا تيقّن في النفس؛ لذا فالوداع لم يكن محصوراً في موقف واحد في واقعة كربلاء، بل كانت هناك ليلة للوداع، وهي ليلة العاشر من محرّم، وساعة للوداع اختارها الإمام الحسين عليه السلام ليودّع بها نساءه وأطفاله قبل أن يتقدّم بنفسه إلى المعركة بعد أن استشهد جميع صحبه وبنو هاشم، ولم يبقَ من الرجال أحد^(٢).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٩.

(٢) أنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهدي إلى اللحد: ص ٢٢٠.

ثمّ كانت هناك ساعة لوداع العقيلة زينب عليها السلام خاصة، حين «أراد الإمام الخروج من الخيمة، فتعلّقت به السيّدة زينب، وقالت: مهلاً أخي، توقّف حتّى أتزوّد منك ومن نظري إليك، وأودّعك وداع مفارقٍ لا تلاقي بعده. فجعلت تُقبّل يديه ورجليه، فصبرّها الإمام الحسين، وذكر لها ما أعدّ الله للصّابرين، فقالت: يا بن أُمّي، طب نفساً، وقر عيناً، فإنّك تجدني كما تحبّ وترضى»^(١).

وقد قدّمت له جواده بنفسها - فداها نفسي - إذ لم يبقَ مع الحسين عليه السلام من الرجال أحد.

أمّا الوداع الأكثر حزناً وألماً، فقد كان حين نزلت السيّدة زينب عليها السلام إلى أرض المعركة تفتش عن جسد أخيها الحسين عليه السلام، فوجدته يخور بدمه، وفيه من الجراحات ما لا يحصى، فقبلته في نحره وقالت: «اللهمّ تقبل منّا هذا القربان»^(٢).

تلا ذلك الوداع الأخير لجسده الشريف، حين مرّ ركب السبايا على مصارع القتلى، «فقد كانت تلك الساعة من أصعب الساعات على قلبها، وخاصة حينما نظرت إلى جثة أخيها العزيز الإمام الحسين، وهو مطروح على الأرض بلا دفن، وبتلك الكيفية المقرحة للقلب»^(٣).

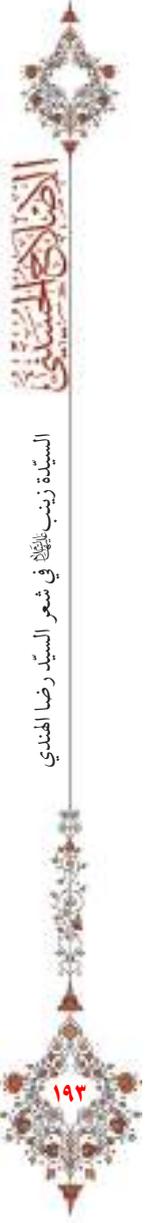
وإذا تصفحنا ديوان السيد رضا الهندي فسنجدّه يذكر لحظات الوداع بحرقة وألم، وفيها قوله:

مذهولةٌ تُصغي لصوتِ أخيها	وذكرتُ إذ وقفت عقيلةٌ حيدرٍ
فغدت تقابلُها بصبرٍ أبيها	بأبي التي ورثت مصائبَ أمّها
بفراقٍ إخوتها وفقدِ بنيتها	لم تَلُه عن جمعِ العيالِ وحفظهم

(١) المصدر السابق: ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) بحر العلوم، محمد، ثلاث نساء في ساء العقيدة: ص ١٤٧.

(٣) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص ٢٦١.



لم أنسَ إذ هتكوا حماها فانتنت
تشكو لو اعجها إلى حاميتها
تدعو فتحترقُ القلوبُ كأنها
يرمي حشاها جمره من فيها^(١)

فهذه الأبيات تحكي وداع زينب عليها السلام للحسين عليه السلام في لحظات حياته الأخيرة، وهو يجود بنفسه، وتزامنت تلك اللحظات مع الهجوم على العيال و حرق الخيام. إذ تصغي العقيلة زينب عليها السلام إلى صوت الحسين عليه السلام الأخير، فيصيحها الذهول، وتصبر على هذا المصاب الجلل بجلد أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وإيمانه وصبره. وهذا البيت من مشهور الأبيات التي وصفت السيدة زينب عليها السلام وملكاتا العظيمة، إذ جمعت بين مصائب الزهراء وصبر علي عليه السلام، هذا الصبر العظيم الذي مكّنها - على الرغم من قسوة الواقع، وهول المصيبة - من جمع العيال، وحفظ الأطفال. ويستذكر الشاعر موقف السيدة الحوراء عليها السلام داعية نادبة بقلب حزين، يحاول التعلّق بأخر خيط أمل في حياة الإمام الحسين عليه السلام وسلامته، إذ تنقل بعض المصادر التاريخية أنّ السيدة زينب عليها السلام وقفت على تل - وهو المسمّى الآن بالتل الزينبي - تستشرف المعركة؛ لعلّها ترى أحاها، ونادت بصوتها الحزين: «نور عيني يا حسين، يابن أمّي يا حسين، عزيزي يا حسين، إن كنت حيّاً فأدركنّا؛ فهذه الخيل قد هجمت علينا، وإن كنت ميتاً فأمرّك وأمرنا إلى الله»^(٢).

هذا الموقف - الذي أحرق قلب زينب عليها السلام وقلوب محبيها - جسده الشاعر بقوله:
تدعو فتحترقُ القلوبُ كأنها
يرمي حشاها جمره من فيها

أمّا الموقف الرهيب الذي شهدته السيدة زينب عليها السلام، فهو رؤيتها الشمر اللعين يهّم بذبح أخيها الحسين عليه السلام، فيصوره السيد رضا الهندي بقوله:

(١) الهندي، رضا، ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي: ص ٤٧.

(٢) البهادلي، كاظم، نفحات عاشوراء: ص ٢١٢.

هَمَّتْ لتَقْضِي من توديعه وطرا
وقد أبى سوط (شمر) أن تودعه
ففارقتُه ولكن رأسه معها
وغابَ عنها ولكن قلبها معه^(١)

ونلاحظ أنّ الشاعر اتخذ أسلوب السارد لأحداث يوم عاشوراء، واصفاً الحدث
المأساوي متفجعاً متألماً، إذ نرى بروز العاطفة في شعره عند ذكره للإمام الحسين عليه السلام
وأخته العقيلة زينب عليها السلام وبنات الرسالة.

ويسجل لنا أيضاً موقفاً وداعياً آخر وهو موقف الإمام الحسين عليه السلام مودعاً أخته
الحوراء وبقية النسوة، فيقول:

ثمّ ألوى راجعاً نحو الخيام
فتطالعن لتوديع الإمام
قائلاً منّي عليكنّ السلام
وتهاوينّ عليه قائلات

منّ لنا بعدك يا خيرَ كفيل
وابنك السجّاد مطروحٌ عليل
إنّ حدا الحادي ونادي بالرحيل
لم يطق حفظَ النساءِ الضائعات

لم يفتنا الوجدُ والنوحُ عليك
لم يفتنا الوجدُ والنوحُ عليك
لترانا صرّعاً بين يديك
أبدَ الدهرِ وجذبِ الحسرات^(٢)

ويعبر الشاعر بهذه القصيدة عن حالة الوداع، وما حلّ بالنسوة الثاكلات، وهنّ
يودعن عمادهنّ، وخير محامٍ لهنّ وكفيل، وبقية أهلهنّ وإمامهنّ، فيفدّينه بأنفسهنّ،
ويشكون حالهنّ وذهنّ من بعده.

أمّا العقيلة زينب عليها السلام، فقد خصّها الشاعر بأبيات خاصة لوداعها مع الحسين عليه السلام

(١) الهندي، رضا، ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي: ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٥١-٥٢.

الوداع الأخير، وذلك في قوله:

نكبةٌ دهياً من فجعتها أخرجت زينب من خيمتها
تصدعُ الأكبادَ في نديتها حين وافته تنادي واحما

أنت تمضي لأخيك المجتبي وترى جدًّا وأمًّا وأبا
وأنا أذهبُ في ذلِّ السبا ليزيدَ وأراني وأراه^(١)

يصف السيد الهندي هنا هذه الحال المؤلمة، فيعزّز وصفه بألفاظ التفتّح والألم والحزن، ويتجلّى ذلك في اختياره للألفاظ (نكبة دهياء، فجعتها، تصدع الأكباد، نديتها، واحما، ذلّ السبا).

ويعود السيد في هذه القصيدة إلى أسلوب الموازنة أيضاً، فيوازن بين مصير الحسين عليه السلام بعد فوزه بالشهادة، إذ يلحق بآبائه الكرام، وبين مصير السيّدة زينب عليها السلام، التي تؤخذ أسيرة للظالم يزيد، وشتان بين الجوارين.

ويفيد أسلوب الموازنة هذا في إبراز عظمة الأمر وشدّته وهوله، فكلّ شيء يبرز للعيان مع إحضار ضده، وهذا يجعل لتغيير الحال أثراً كبيراً في الإنسان؛ إذ إنّ ماضيه السعيد يبقى حيّاً داخله، يوازن بينه وبين حاضره، وما آل إليه أمره.

أمّا الوداع الأخير بين زينب عليها السلام وجسد أخيها الحسين عليه السلام حين مرّوا بهنّ على جثث القتلى، فقد وصفه الشاعر رضا الهندي وصفاً تندى منه الحسرة واللوعة لما حلّ بالبيت عليها السلام، فيقول على لسان السيّدة زينب عليها السلام:

حرّ قلبي لزينب إذ رأته ترَبّ الجسمِ مُثخناً بالجراح
أخرسَ الخطبُ نطقها فدعته بدموعٍ بما تجنّ فصاح
يا منارَ الضلالِ والليلِ داحٍ وظلالِ الرميضِ واليومِ ضاحٍ

(١) المصدر السابق: ص ٥٢.

كنت لي، يوم كنت، كهفاً منيعاً
أتري القوم إذ عليك مررنا
سجسج الظل خافق الأرواح
منعونا من البكا والنواح^(١)

فيستذكر الشاعر موقف السيِّدة زينب عليها السلام والعيال حين مرّوا بهنّ سبايا على جسد الحسين عليه السلام المخضّب بدمه، وكان هذا من أعظم المواقف على قلب الحوراء زينب عليها السلام والإمام زين العابدين عليه السلام وبنات الرسالة، ويعبّر السيد رضا الهندي عن ذلك بأنّه (أخرس زينب عليها السلام)؛ فلم تستطع النطق، فتكلّمت دموعها التي انحدرت على خديها رغم أنّ الأعداء منعوهنّ من البكاء والنوح وندب الحسين عليه السلام، ومن أشجى هذه الأبيات قول الشاعر:

كنت لي يوم كنت كهفاً منيعاً
سجسج الظل خافق الأرواح

وهو من الأبيات التي تضمّنت مدحاً للإمام الحسين عليه السلام، ولكن ما يشجى في هذا البيت الجملة الاعتراضية (يوم كنت)، فهذه الجملة التي تكرر فيها الفعل الماضي الناقص (كنت) تحمل معنى الفقد الأبدي، وانقطاع الأمل بوجود الحسين عليه السلام في حياة أخته، فالمقتول لا يعود إلى الحياة الدنيا، وهذا التركيب اللفظي عبّر عن شيء من لوعة السيِّدة زينب عليها السلام بفقد أخيها ووداعه.

المبحث الثالث: السيِّدة زينب عليها السلام اللسان الناطق عن كربلاء

كثرت التأويلات حول سبب اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام للنساء والأطفال معه إلى أرض كربلاء، خاصّة وهو يعلم بنهاية مصيره، وغدر أهل الكوفة، وبالنظر للروايات الواردة في ذلك نجد أنّ مسألة خروج النسوة مع الإمام الحسين عليه السلام تقوم على دعامين:

الأولى: أنّ اصطحاب النساء كان لأمر إلهي، والله حكمة في ذلك. والمجال مفتوح

(١) المصدر السابق: ص ٥٤.

لكل إنسانٍ للتفكر والتدبر في هذه الحكمة، ويعضد ذلك قول الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية حين سأله عن معنى حمل النساء معه: «إنَّ الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا»^(١).

وقوله عليه السلام لابن عباس حين قال للإمام الحسين عليه السلام: «جعلت فداك يا حسين، إن كان لا بدَّ من المسير إلى الكوفة، فلا تسر بأهلك ونسائك وصبيتك، فأني والله لحائف أن تُقتل وهم ينظرون إليك. فقال الحسين عليه السلام: يا بن العم، إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني بأخذهنَّ معي، يا بن العم، وإتهنَّ ودائع رسول الله، ولا آمن عليهنَّ أحداً، وهنَّ لا يفارقنني. فسمع ابن عباس بكاءً من ورائه وقائلة تقول: يا بن عباس، تشير على شيخنا وسيدنا أن يُخلفنا ها هنا ويمضي وحده! لا والله، بل نحيا معه، ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره»^(٢).

الثانية: أن السيِّدة زينب عليها السلام كانت شريكة الإمام الحسين عليه السلام في الثورة على الظالم، فكلامها الوارد أعلاه يدلُّ على أنَّها قدِّمت مع الحسين عليه السلام بملء إرادتها، وهي ناصرة له، عالمة بِنَيْتِه، وما يؤول إليه أمره، وهذا ما حدث بالفعل؛ إذ إنَّ سببها من قبل قتلة الحسين عليه السلام فضح مقاصد بني أمية وسياستهم، ووحشية الجيش المعتدي، وضلالة حاكمهم الذي لا يراعي حرمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وللإسلام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت السيِّدة زينب عليها السلام هي الصوت الناطق بالظلمية، وهي التي أوصلت أهداف ثورته إلى العالم، ورَسَّخت أُسس انتصاره بوقفها أمام الحاكم الظالم يزيد، وبخطبها الشريفة التي ألقته على مسامع الناس في الكوفة والشام، فقلبت الموازين، وحوّلت انتصار بني أمية إلى خزي وعار وخذلان، «ولقد كانت زينب عليها السلام موفقة كل التوفيق في أداء المهمة الخطيرة التي أُسندت إليها بعد

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٤.

(٢) البغدادي، إبراهيم حسين، زينب بنت علي عليها السلام فيض النبوة وعطاء الإمامة: ص ١٠١-١٠٢.

مقتل الإمام الحسين عليه السلام؛ لتربط نتائج النهضة الحسينية بالشعور العام، وتُجهض النصر المؤقت الذي كسبه الجانب الأموي»^(١).

لذا؛ فقد جاء ذكر السيِّدة زينب عليها السلام في شعر رثاء الإمام الحسين عليه السلام في الصادرة، بوصفها الصوت المعبر عن المظلومية، وقد حذا السيد رضا الهندي هذا الحذو، فاستعار صوتها أكثر من مرّة؛ ليعبر عن المأساة ومظلومية عاشوراء، وسمو الشخصيات التي قاتلت الظلم، ومن ذلك قوله:

وربّ بارزة من خدرها ولها
تقول يا إخوتي لا تبعدوا أبداً
لم يبق لي إذ نأيتم لا فقدتكم
إلا فتى صدّه عن رعي أسرته
وكيف يملك دفعاً وهو مرتهن
ونحن فوق النياق المصعبات بنا
في كل يوم بنا للسيرِ مجهلة
قلبٌ تقاسمه الأشجان والكمد
عن حيكم وبلى والله قد بعدوا
حام فيرعى ولا راع فيفتقد
أساره ونحول الجسم والصفد
بالسير ممتهن بالأسر مضطهد
يجاب حزن الربي والغور والسند
تطوى ويرزنا بين الوري بلد^(٢)

هذه الأبيات تنطلق على لسان حال السيِّدة زينب عليها السلام، فتتحدث عن معاناتها بفقد الإخوة والحماة، الذين أصبحت بنات رسول الله يفقدنهم غريبات أسيرات، بيد أجلاف الناس ورعاعهم، ليس هنّ من الرجال سوى الإمام زين العابدين عليه السلام الذي كان عليلاً، لا يقوى على الذب عن نفسه وعنهنّ، وهي تصف أيضاً حاله، وهو أسير ممتهن ومضطهد، وعليل مصفّد في الأغلال.

أمّا المعاناة الثالثة، فهي أسر النساء، وحملهنّ من بلد إلى بلد ينظر إليهنّ القريب والبعيد، ويتطلع إليهنّ الدنيء والشريف، حسب قولها عليها السلام^(٣).

(١) بحر العلوم، محمد، ثلاث نساء في ساء العقيدة: ص ١٥٥.

(٢) الهندي، رضا، ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي: ص ٤٦.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٣.

وينطق الشاعر رضا الهندي بصوت السيِّدة زينب عليها السلام مرَّةً أُخرى، وهي تشكو
مرارة السبي، فيقول:

لم أنسَ إذ هتكوا حماها فانثنت
تدعو فتحترقُ القلوبُ كأنما
تشكو لواعجها إلى حاميتها
يرمي حشاها جمره من فيها
هذي نساؤك مَنْ يكون إذا سرت
في الأسرِ سائقها ومَنْ حاديا
أيسوقها (زجرٌ) بضرب متونها
و(الشمْر) يحدوها بسبِّ أبيها
عجبا لها بالأمس أنت تصونها
واليوم آل أمية تُبديها^(١)

وهنا أيضاً يظهر صوت السيِّدة زينب عليها السلام المتألِّمة المتفجِّعة لما نالها ونال بنات
الرسالة من أسر، فبعد العزِّ والتحصين يتعرَّضن للسبي، ويستمعن إلى السبِّ من
أعداء الحسين عليه السلام وقتلته.

فهذه الأبيات تُصوِّر حالة الهوان التي تكون في الأسر، وما يتخلَّله من تعذيب
نفسي وجسدي وعنفي ووحشية، ويقدم السيد رضا الهندي ذلك بأسلوب
الاستفهام، إذ يقول: أيسوقها (زجرٌ) بضرب متونها؟! والشمْر يحدوها بسبِّ
أبيها؟! وهذا الاستفهام إنكارى، فهو لا يتحرى جواباً، بل يُجبر مع التعظيم
والاستغراب، فبعد رعاية أبي الفضل العباس عليه السلام وحماية الحسين عليه السلام تتعرَّض
الفاطميات لهذه الحالة التي يندى لها جبين التاريخ!

ومن الشواهد الأخرى على ورود السيِّدة زينب عليها السلام ناطقة في شعر الهندي،
قصيدته التي جاءت على لسانها عليها السلام، وهي تخميس لنونية ابن زيدون الشهيرة
(أضحى التناهي)، وهي قصيدة على لسان السيِّدة زينب عليها السلام ترثي بها إختوتها، وقد
تميّز شعر الرثاء العربي بخصائص معينة، لذلك قُسم على أنواع ثلاثة:

(١) الهندي، رضا، ديوان السيِّد رضا الموسوي الهندي: ص ٤٧.

أولها: الندب: وهو «النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجبة، والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية، وتذيب الدموع الجامدة»^(١).

والثاني: هو التأبين: وهو «الثناء على الشخص حياً وميتاً، ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط»^(٢).

والثالث: هو العزاء: وأصله الصبر، «وأن يرضى مَنْ فقد عزيزاً بما فاجأه به القدر»^(٣).

وقد جمع السيد رضا الهندي هذه الأنواع الثلاثة في قصيدته المعنونة في الديوان (على لسان زينب عليها السلام)، وإن كان ذلك بنسب متفاوتة، ويتجلى الندب في هذه القصيدة بذكر حال النساء والأطفال بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، وما حلَّ بهنَّ من السبي، فتبدأ القصيدة بـ:

ساق المطايا بنا للشامِ حادينا ولا محام لنا إلا أعادينا
لم يبقَ من إخوتي حامٍ فيحميننا أضحى التنائى بديلاً من تدانينا
وجارَ حكْمُ الليالي بعدهم فينا
فسوف نقضي الليالي بعدهم أرقا ونملا القلبَ من تذكّارهم حرقا
كنا جميعاً فأضحى جمعنا فرقا سرعانَ ما عادَ ذاكَ الشمْلُ مفترقا
ونابَ عن طيبِ لقيانا تجافينا
هل ينجلي ليلٌ همّي عن صباحهم وهل لهم غدوةٌ عقبى رواحهم
وكيفَ والأرضُ فاضت من جراحهم مَنْ مبلغُ الملبسينا بانتزاحهم
وجداً يبزُّ كرانا من مآقينا

(١) ضيف، شوقي، الرثاء: ص ١٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٨٦.

كم من يدٍ بعدهم مُدَّت لتسلبنا سترَ الوجوه و ضربَ السوطِ جليبنا
وأظمأونا فعادَ الدمعُ مشربنا وقد خلعنا رداءَ الصبرِ أعقبنا
ثوباً من الحزنِ لا يبلى وبيلبنا^(١)

وتتكرّس في هذه الأبيات معاني لوعة الفقد والحزن لفراق الحماة الكهامة، والشكوى
مما حلّ بحرائر النبوة من سبي وتعذيب وضرب، وعطش وجوع، وسلب وحزن.
وفي القصيدة مقطع آخر يوازي هذه المقاطع في تضمينه معنى الندب من لوعة
وحزن:

فالمهمُّ طول الليالي لا يُبارحنا والذكرُ إن لا يُماسينا يُصاحبنا
نالَ الشهامةَ فينا اليومَ كاشحنا بثُّمُ وبتنا فما ابتلت جوانحنا
كلّا ولا أورقت يوماً أمانينا^(٢)

وهذا البيت يتحدّث أيضاً عن طول الهمّ والحزن المقيم بفراق الأحبة فراقاً أخيراً
لا يعقبه لقاء، هذا الفراق الذي أعقبته شهامة الأعداء، وهو ما يحرق القلب، ويدمي
النفس العزيزة الأبية.

أمّا التآبين في القصيدة، فغالباً ما اختلط بالندب، ففيما تقدّم من أبيات ورد ذكر
الحماة، وهو ما يدلّ على الشجاعة والعزّ، وفي قول الشاعر الآتي من القصيدة ذاتها
تأبين أيضاً:

يا مَنْ تفتانوا إلى جنبِ الفراتِ ظمّا وروّوا البيضَ في يومِ الكفاحِ دما
مضوا عطاشى ولكن روّوا الخدما ليسق عهدكم صوبَ الغمامِ فما
سقاكمُ النهْرُ عذبَ الماءِ ظامينا

(١) الهندي، رضا، ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي: ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩.

كُنَّا وَكُنْتُمْ وَكَانَ الْعَيْشُ قَدْ نَعِمَا بَكُمْ وَتَغُرُّ اللَّيَالِي كَانَ مَبْتَسَمَا
كُنَّا لَكُمْ يَا أَحِبَاءَ النُّفُوسِ كَمَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِنَا أَنْفَاسَهِنَّ وَمَا
كُنْتُمْ لَأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَّاحِينَا^(١)

وتؤبّن السيّدة زينب عليها السلام ذاكرة لجملة من فضائلهم، ومنها: الشجاعة، ومقارعة العدو، والصبر على الظمأ، والكرم، والإيثار على النفس مع الخصوصية، وذلك يتبيّن من قول الشاعر: (مضوا عطاشى ولكن روّوا الخدما)، فالخدم: هي السيوف القاطعة التي ارتوت من دمائهم وهم عطاشى.

وتذكر السيّدة زينب عليها السلام طيب العيش مع إختها وأحبّتها، ونورها الذي إن بان يزهّر الليل، وعمق المحبّة والعلاقة التي تربط بينهم. ويستمر التّأبين في القصيدة في مقاطع أُخرى، مثل:

كم أنجم منكم فوق الثرى ركدت وكم بدورٍ بأبراج الرماح بدت
وقد أفلتم وفيكم كربلا سعدت حالت لفرقتكم أيامنا فغدت
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا^(٢)

وهنا يتجلّى التّأبين في وصفهم بالنجوم والبدور ممتزجاً بالندب، وذلك في عبارات: (ركدت، أبراج الرماح، أفلتم، حالت لفرقتكم أيامنا)، ويمتزج ذلك كلّهُ بالعزاء، وهو النوع الثالث من الرثاء الذي يأتي غالباً في ختام المراثي، فهنا يعزي السيّدة زينب عليها السلام بإختها أنّهم أجلاء، تسعد بهم الأرض التي تحتويهم، كما في قول الشاعر: (وقد أفلتم وفيكم كربلا سعدت). وبالفعل فقد أزهرت هذه الأرض وتقدّست ببركة دماء الحسين عليه السلام وآله وأصحابه الأطهار.

ولا يقتصر صوت السيّدة زينب عليها السلام على هذه القصيدة، فيظهر في مواضع أُخرى

(١) المصدر السابق: ص ٤٨-٤٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩.

من الديوان، ومن ذلك قول الشاعر:

نكبةٌ دهياءٌ من فجعتها
تصدعُ الأكبادَ في ندبتها
أخرجت زينبَ من خيمتها
حين وافته تنادي واهما

أنتَ تمضي لأخيكَ المجتبي
وأنا أذهبُ في ذلِّ السبا
وترى جدًّا وأمًّا وأبا
ليزيد وأراني وأراه^(١)

وهنا تظهر السيِّدة زينب عليها السلام نادمة لأخيها الذي يمثّل لها الحامي والشقيق الرفيق، فتشرح له حالها بعده، موازنة بين حاله بعد مصرعه، إذ يُقبل على ربِّ رحيم، ويلتقي بأصحاب الكساء، بينما هي ترافق قاتليه، وتدخل مجلس يزيد، وشتان بين الحاليين.

والصوت ذاته يظهر في قصيدة أُخرى للسيد رضا الهندي في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، ويصف مقتله الشريف، ولا يغفل دور السيِّدة زينب عليها السلام أيضاً في هذه الساعة من عمر الزمن التي اقشعر لها العرش، فيقول:

حرَّ قلبي لزينب إذ رأته
أخرسَ الخطبُ نطقها فدعته
يا منارَ الضلالِ والليلُ داجٍ
كنتَ لي - يومَ كنتَ - كهفًا منيعا
أترى القومَ إذ عليكَ مررنا
إن يكن هيناً عليكَ هواني
تربَّ الجسمِ مُثخناً بالجراحِ
بدموعٍ بما تجنّ فصاحِ
وظلالُ الرميضِ واليومُ ضاحٍ
سجسجُ الظلِّ خافقُ الأرواحِ
منعونا مِن البكا والنواحِ
واغترابي مع العدى وانتزاحي

ومسيري أسيرةً للأعادي
فبرغمي أنني أراك مقيماً
لك جسمٌ على الرمالِ ورأس
بأبي الذاهبونَ بالعزِّ والنجد
بأبي الواردونَ حوضَ المنايا
بأبي اللابسونَ حمرَ ثيابٍ
أشرقَ الطفُّ منهم وزهاها
فازدهت منهم بخيرِ مساءٍ
وركوبي على النياقِ الطلاحِ
بينَ سمرِ القنا وبيضِ الصفاحِ
رفعوهُ على رؤوسِ الرماحِ
دَّةَ والبأسِ والهدى والصلاحِ
يومَ زيدوا عن الفراتِ المتاحِ
طرزتهنَّ سافياتُ الرياحِ
كلَّ وجهٍ يضيءُ كالمصباحِ
ورجعنا منهم بشرَّ صباحٍ^(١)

فالشاعر هنا يتمثل حال العقيلة زينب عليها السلام وهي تنظر إلى جسد أخيها المسجّي، فتتلقى دموعها بما تكنّ من لوعة وألم، فتنادي الحسين عليه السلام نادبةً إياه، مؤبنةً شخصه الكريم، ذاكرةً لعزّها وجلالها بحضوره، وذمّها وحالها بعد شهادته، واصفةً حال رأسه القطيع، وجسده المسجّي على الرمال، معزيّةً نفسها بأن أرض الطفّ أشرفت بمكوّتهم فيها، وقد أناروا ظلمة لياليها.

ولا يخفى أسلوب الشاعر في هذه الأبيات، إذ يتناص مع ما ورد ذكره في مصادر التاريخ عن السيّدة زينب عليها السلام، وكلامها حين رؤيتها لجسد الحسين عليه السلام الشهيد مسجّي على صعيد كربلاء، نادبةً جدّها المصطفى، ليرى حالها وحال بناته في ذلك اليوم العصيب، قائلة: «يا محمّدا، بناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفى عليهم ريح الصبا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من أضحى عسكره في يوم الإثنين نهياً، بأبي من فسطاطه مقطع العرى، بأبي من لا غائب فيرتجى،

(١) المصدر السابق: ص ٥٤.

ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء، بأبي من جدّه محمد المصطفى، بأبي من جدّه رسول إله السماء...»^(١).

فترى الشاعر قد تأثر بهذه الندبة المشجية التي تفرح القلوب، فاقتبس معانيها وبعض ألفاظها وأساليبها، ليضمّنهما أبياته، ومنها قوله:

لَكَ جِسْمٌ عَلَى الرَّمَالِ وَرَأْسٌ رَفَعُوهُ عَلَى رُؤُوسِ الرِّمَاحِ
بِأَبِي الذَّاهِبُونَ بِالْعَزِّ وَالنَّجْدِ لِدَةِ وَالْبَاسِ وَالْهَدَى وَالصَّلَاحِ

فاستلهم الشاعر أسلوب التفدية، وقول السيّدة زينب عليها السلام (بأبي.. بأبي)، فجعله مقدّمة لثلاثة أبيات من قصيدته، مضمّناً إياها تأييداً للإمام الحسين عليه السلام وإخوته، ووصفاً لمصرعهم.

لقد أجاد السيد رضا الهندي في استحضار صوت السيّدة زينب عليها السلام في قصائده؛ ذلك لأنّها الشاهد الأبرز والأفصح في هذه الواقعة، إذ نابت مناب الإمام زين العابدين عليه السلام الذي كان عليلاً من جهة، ومن جهة أخرى كان مهدداً بالقتل في أيّ لحظة؛ لذا صدح صوت الحق والحقيقة والمأساة على لسان هذه المرأة العظيمة البطلة زينب بنت علي عليها السلام.

وذلك أضاف غنى إلى قصائد السيد رضا الهندي في رثاء الحسين عليه السلام، فصاحب المصيبة أولى بنقل مشاعر الفقد والحزن والألم، وأولى بإيصال صوت الثورة الحقيقي المُعبّر عن ماهيتها وشرف من نهض بها.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٧٨-٧٩.

خاتمة البحث

لقد كان الخوض في شعر السيد رضا الهندي رحمته الله، بحثاً عن السيّدة زينب عليها السلام فيه، مثاراً لإعادة قراءة واقعة كربلاء من جديد، فبعد هذه الرحلة المشجية بين طبيّات هذه الواقعة الأليمة وشعر السيد رضا الهندي توصلنا إلى عدّة نتائج، نلخصها بما يلي:

١- إنّ الشاعر لم يغفل دور السيّدة زينب عليها السلام في واقعة كربلاء، فلم تخل قصيدة لرتاء الإمام الحسين عليه السلام في ديوانه من ذكرٍ فاعلٍ لهذه السيّدة الجليلة.

٢- اتخذ الشاعر أسلوب السارد لأحداث الطف، متكئاً على المصادر التاريخية التي تحتلّ فيها السيّدة زينب عليها السلام موضع البطولة، وكان في شعره تناصّ مع أقوالها عليها السلام.

٣- ركّز السيد رضا الهندي في ذكره للسيّدة زينب عليها السلام على مواقف محدّدة، أبرزها السبي، ثمّ مواقف الوداع بينها وبين الحسين عليه السلام، والثالث موقفها وهي ناطقة صادحة برواية ما جرى في عاشوراء، ورتاء إخوتها الأطهار، بصفتها الصوت المعبر عن الثورة، والناطق الإعلامي عن كربلاء وما جرى فيها.

٤- حين استحضّر الشاعر صوت السيّدة زينب عليها السلام الرائي لإخوتها الكرام، لم يكن بشكل المرأة المتألّمة الباكية لفقد أحبّتها فقط، بل المرأة الراقية الواعية التي تمزج الندبة بالتأبين والعزاء.

التوصيات

بعد أن وفقنا الله لدراسة هذه المفردة في شعر السيد رضا الهندي، تبلور لدى الباحثة وصايا للباحثين والمهتمين بشأن قضية أهل البيت عليهم السلام، وهي:

١- الالتفات إلى حجم مكانة السيّدة زينب عليها السلام في أدب رتاء الإمام الحسين عليه السلام، وتناوله بالبحث والتحليل.

- ٢- العمل على حصر النتاج الشعري الذي تناول السيِّدة زينب عليها السلام ومواقفها العظيمة، وإبرازه على شكل كتاب يُفيد الباحثين.
- ٣- تسليط الضوء على كيفية استغلال الشعراء لوجود هذه السيِّدة الجليلة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وكيفية استلهاهم ذلك في شعرهم.
- ٤- العمل على المقارنة بين موقف السيِّدة زينب عليها السلام البطولي، ودور النساء في عصرنا الراهن، بشكل إيجابي عملي نهضوي، لتعريف المرأة بحجم مسؤوليتها تجاه دينها وأمتها.

المصادر والمراجع

- ١ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، دار الأميرة، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٢ - ثلاث نساء في سماء العقيدة، العلامة محمد بحر العلوم (ت ١٤٣٦هـ)، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٣ - ديوان الهندي، السيد رضا الدين الموسوي (ت ١٣٦٢هـ)، جمعه: السيد موسى الموسوي، راجعه: الدكتور السيد عبد الصاحب الموسوي، دار الأضواء، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- ٤ - الرثاء، شوقي ضيف (ت ١٤٢٦هـ)، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.
- ٥ - زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني (ت ١٤١٥هـ)، دار الغدير، قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٦ - زينب بنت علي عليها السلام فيض النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسين البغدادي، قدّم له: السيد محمد علي الخلو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ٧ - عقيلة بني هاشم، علي بن الحسين الهاشمي الخطيب، مطبعة الآداب في النجف،

١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

٨ - اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى المعروف بـ (ابن طاووس)، أنوار الهدى، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٩ - معالي السبطين، للشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري (ت ١٣٥٨هـ)، منشورات مكتبة الشريف الرضي، قم - إيران، ١٤١٩هـ.

١٠ - نفحات عاشوراء، الشيخ كاظم البهادلي، منشورات رشيد، قم، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

أساليب الإقناع في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في الشام دراسة تداولية

أ. م. د. سناء هادي عباس*

توطئة

يعدّ التداول ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في وقت واحد، والقاسم المشترك بين التداول والدلالات هو مضمون النصّ، والتداولية تدرس كلّ شيء إنساني في العملية التواصلية، سواء أكان نفسياً، أو بايولوجياً، أو اجتماعياً، كما عبّر عنه (فيرشون)^(١)، فالنصّ في مقتضى الحال فعل منزاح عن اللسان، وذلك يميل إلى التأويل بوصفه حركة فعلية لسانية.

وتعتمد السيّدة زينب عليها السلام في خطابها على الحجاج اللغوي بوصفه ظاهرة لغوية، نجدها في كتابات (ديكرو) الذي يعوّل على وجودها في كلّ قول وخطاب، فهو من أبرز اللسانيين الذين نجد عندهم الطرح اللساني للحجاج داخل اللغة، فالقيمة هي أن تشتمل الجملة على عناصر صوتية وبلاغية من تعابير وصيغ، فضلاً عن محتواها الإخباري، إذ تعطي توجيهاً حججياً للقول^(٢) حسب حاله.

وقد حققت خطبة السيّدة زينب عليها السلام في الشام قيماً اجتماعية وثرية كبيرة في الدفاع عن المظلومين، والصبر، والسمو الإنساني على مصاعب الحياة، فهي تُقدّم الأسس

* الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية/ العراق.

(١) أنظر: الماشطة، مجيد، شطايا لسانية: ص ٥٩.

(٢) أنظر: الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة: ص ١٩٣.

والمنطلقات الإسلامية في تربية الأجيال، وتعليم اللبقة في قول الحق، والجلادة والوقوف بوجه الظالم من غير خوف من سطوته وطغيانه، والاتكال على الله والثقة به، والإباء والرفعة في مواطن ظاهرها الذلة والخضوع، والرؤية الإيجابية لما يبدو سلبياً، وتوخي نقاط القوّة والنصر فيما يظهر أنّه خسارة، وغيرها من الأمور.

فكانت خطاباً حوارياً طرفاه (مرسل ومُتلّق)، مع وجود مقصدية التأثير والإقناع، وقد احتوى جوّ الخطبة على الرفض والتمرد، وقد تألفت صياغتها في حركة متناسقة يؤازر بعضها بعضاً، لتكتمل الصورة الإقناعية المؤثرة في الخطبة برمتها، مع وجود للتصعيد في الخطاب، وهناك سلّم في التدرّج للتأثير.

«إنّ التداولية تنطلق من هدف أساسي، هو استثمار الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معيّنة، وجعل المعنيّ بها يعيها، ويتحرّك في إطار إنجازها، ولعل هذا ما يدفع بعض التداوليين المعاصرين إلى تعريف البلاغة بأنّها: فنّ الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ؛ لأنّ البلاغة في نظر هؤلاء نظام له بنية من الأشكال التصويرية واللغوية، يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلّم في موقف محدّد»^(١)، ومن ثمّ هي ممارسة اتّصال بين المتكلّم وهو السيّدّة زينب عليها السلام، والسامع المتمثّل في المسلمين في ذلك العصر.

أساليب الإقناع

فتحت الدراسات اللسانية الحديثة الأفق واسعاً أمام عمليات الاتّصال الإنساني والخطاب، أو الحوار الفكري بين المتكلّم والمخاطب عبر الرسالة الإبداعية، ومنها النصّ القرآني الإعجازي، إذ تستلزم دراسة سورة لقمان مثلاً، مسوّغات شخصية تتبع طبيعة النصّ المقدّس وإعجازه البلاغي، فهو الهوية العميقة للإنسان المؤمن. وأمّا المسوّغ الموضوعي، فهو يهتمّ بخصوصية السورة القرآنية، وتجليّة معالمها

(١) المصدر السابق: ص ١٧٥.

التداولية الوعظية والإرشادية والحثية، من خلال التحليل البلاغي الجديد للسورة على وفق معطيات الدرس اللساني الحديث، ووصف الأيقونات التي يتسم بها النص وتحليلها، وإبراز الخصائص والسمات التي يطرحتها البحث المعاصر.

وقد حظيت خطبة السيِّدة زينب عليها السلام في الشام بأبعاد تداولية ووظائفية مهمة؛ لقدرتها على الاستمالة والتأثير والإقناع، مما يمكن رصده باستعمال ما تنجزه اللغة من أفعال كلامية في إحداث التأثير الذهني أو السلوكي في متلقِّي الخطاب، ومن ثمَّ تحقيق الإنجاز.

وكان لتحديد العناصر السياقية التي تشتمل على: المتكلِّم، والمخاطب، والزمان، والمكان، ونوع الرسالة، دور كبير؛ إذ إنَّ للسياق أثره في عملية التخاطب، لارتباطه بالتأثير في المواقف المستلزمة من التعديل أو التبديل.

ويعدُّ الحجاج رافداً من روافد البحث التداولي، فنصَّ الخطبة المباركة نصَّ حجاجي؛ لكونه ي طرح تراكيب وملفوظات لها الأثر الدلالي في الإقناع والتأثير، تتعلّق بالحياة الاجتماعية، ورسم الطرائق المؤدّية إلى القبول والتسليم عن طريق الأفعال الكلامية، أو التصوير أو الحجاج، فكان الدرس التداولي أنجع الإجراءات التي تكشف وتُبرز مقاصد المتكلِّم وأثرها في متلقِّي الخطاب.

الاستهلال: وهو ابتداء الخطاب بالوعظ والإرشاد والتحذير، واستدراج المعاندين أو الخصوم، حيث يضع الخطيب النصَّ وموضوعه أمام المتلقِّي؛ ليزيل عنه الغموض، فيتابع باهتمام، وفائدته أن يدلّ على الغرض الذي يستهدفه الخطاب، أو استمالة المتلقِّي واستدراجه لقبول الخطاب والموضوع باهتمام.

فالخطبة الزينية تُقبل على المتلقِّي بموضوع إثبات الحقِّ، وحججها آيات الله سبحانه وتعالى، بتفخيم وتعظيم للآيات، وتشويق إليها، من خلال حثِّ المتلقِّي على إنجاز فعل المواصلة للإقناع بقوة الدليل وظهور الحجّة، ومن ثمَّ كان الاهتمام بالافتتاح؛ لأنّه أوّل ما يقرع السمع، وبه يستدلّ على ما في الرسالة، فيدفع المتلقِّي إلى

التنبّه والإصغاء، فالعبئة النصّية أوّل ما يلتقي فيها قارئ النص بصاحبه، والبداية هي المحرّك الفاعل الأوّل لعجلة النص^(١).

فالهيكليّة التي جاءت بها الخطبة كانت متصاعدة، متمرّدة، متسائلة، ومنكرة؛ لأنّ النفوس تنشدّ إلى هذه البدايات، وللاستهلال أثره في بناء النصّ، بل هو من مكوّنات الخطاب الإقناعي؛ لأنّه لحظة الانتباه والاستمالة، فبدأت بتناصّ قرآنيّ يدلّل بالحجج الناصعة ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْأَأُوا السُّؤْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٢).

العرض: وهو الجزء المنتصف بين المقدّمة في الخطبة وخاتمتها، فهناك وحدة موضوعية ونفسية تتناسب مع أجزاء الموضوع الواحد، والانسجام هو التواصل مع المتلقّي للخطاب. وقد تنوّعت الأساليب في العرض بين الصور والأدوات الفنيّة، والتوظيف للأفعال الكلامية التي حقّقت بلاغة رائدة وفائدة للقارئ، فقد وردت فيها الموضوعات متحدة، وتفرّعت الجزئيات، وذُكرت التفاصيل بالبحث عن المسببات، والربط بين المقدّمات والنتائج.

الاختتام: وهو يعلق غالباً في الذهن؛ وذلك لقرب عهده بالقراءة، ويوحي بالنهاية، تقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»^(٣).

فقد احتوت الخاتمة على الوظيفة الحجاجية في قضية الاعتراف بالقوّة الإلهية، والرضا بالقضاء، وعظمة الخالق، وعلمه بكلّ شيء، وبدايات الأمور وخواتيمها بيده، فهو الخبير، وقد أُكِّد الخبر بالجملة الطلبية الدعائية التي حوت الفعل الكلامي

(١) أنظر: النصير، ياسين، الاستهلال فنّ البدايات في النصّ الأدبي: ص ١٤.

(٢) الروم: آية ١٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٥.

(نسأل الله)، ورفد بالجميل المؤكّدة بـ(إنّ) التي تحمل طاقة حجاجية كامنة في ردّ التردد أو الشك في ذلك (إنّه رحيم ودود)، فتُثير انفعالات نفسية، وتضع المستمع على هيئة حسنة، وتثبيت صحّة الأقوال الموجهة إليه؛ ليميل إلى المتكلّم، فهي إصدار حكم نهائي وملخص وافٍ للحجج.

وقد عُني البحث بدراسة المحاور الأساسية في الخطبة، وهي:

١- الأفعال الكلامية.

٢- الملفوظ والعامل.

٣- الصورة الحجاجية.

٤- الاستلزام الحواري.

فضلاً عن المرور بالسياق والإشارة إليه، والروابط اللغوية وما تؤدّيه في اتّساق النصّ وانسجامه شكلاً ومضموناً، لتحقيق أهدافه في استمالة المتلقّي وتوجيهه نحو الغايات التي تريدها الخطبة.

والتداولية منهج «يقوم على الاهتمام بكشف الدوافع النفسية للمتكلّمين، وردود أفعال المتلقّين، وبيّن الطابع الاجتماعي للكلام»^(١).

الأفعال الكلامية

قامت نظرية الأفعال الكلامية على مبادئ فلسفية ومنطقية، تبنّاها (جون أوستن) الذي يعدّ مؤسس النظرية، وعمّقها (جون سول)، وهي إحدى محاور الدرس التداولي الحديث، وهي مجال أساسي لدراسة مقاصد المتكلّم ونواياه، فالمقصد يحدّد هدف المرسل، من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفّظ بها، وهذا ما يساعد على فهم الخطاب، ومن ثمّ يصبح توفرّ القصد وآليته مطلباً أساسياً، وشرطاً من شروط

(١) الكواز، محمد كريم، البلاغة والنقد: ص ٢٧٩.

نجاح الفعل اللغوي، الذي يجب أن يكون متحققاً ودالاً على معنى^(١). وقد رسم (أوستن) منهجاً للأفعال الكلامية منطلقاً من «إنشاء جملة لسانية، وهي في حد ذاتها فعل لغوي تنتهي إلى نظرية اللغة، التي تُعدّ جزءاً لا يتجزأ من نظرية الفعل، حيث يحقق فعل القول في إطارها أفعالاً اعتقادية من قبيل: التأكيد، أو الأمر، أو النهي، أو الاستفهام، أو التعجب»^(٢).

الأمر

لا تهتم التداولية والدرس التداولي بالبنية اللغوية النحوية للأمر بقدر ما تهتم بالتوظيف الدلالي البلاغي التداولي للأمر وصيغته، ويُعدّ الأمر من أكثر الآليات التي يستخدمها المرسل الموجه؛ لما له من دور كبير في تبليغ مقتضى الأفعال التوجيهية. والمطلع على الخطبة الكريمة يجد أنّها تضمّنت أفعال الأمر التي جاءت على سبيل المجاز، والهدف من ذلك تعجيز الخصم، وإفهامه أنّه الخاسر مهما سعى ودبر، «فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله، لا تمحو ذكرنا، ولا نُميت وحيننا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم يناد المناد: ألا لعنة الله على الظالمين»^(٣).

لقد جسّد الأمر ودلالاته مقاصد الخطبة الزينية إلى حدّ كبير، على تنوع واختلاف في الدلالة، وفي علاقة المرسل بالمرسل إليه.

إنّ الأفعال (كد، ناصب، اسع) هي أفعال أمر موجهة من مرسل - يملك الحقّ والفصاحة والبيان والثقة العليا القادرة على الإنجاز - إلى مرسل إليه في مرتبة دنيا، لا يملك القوّة ولا الإنجاز ويدّعيهما؛ ولذلك فإنّ بين المرسل المتمثّل في (زينب

(١) أنظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية: ص ٣٨.

(٢) الباهي، حسن، الحوار ومنهجية التفكير النقدي: ص ١٢٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٥.

الحوراء عليها السلام مدعومة بثقة الله وقوته وقدرته) والمرسل إليه المتمثل في (يزيد الطاغبي) تباعداً كبيراً.

إنَّ المرسل لجأ إلى استراتيجية الأمر لعدد من الدواعي في الخطبة، فلا يوجد تشابه في السمات بين المرسل والمرسل إليه، ولأنَّ المرسل إليه في المرتبة الدنيا فقد تجاوز حدوده في النقاش والحذر، وتحدي المرسل بالفعل؛ وذلك بسبب التفاوت الكبير في الفعل الإنجازي بين المرسل والمرسل إليه. ولهذا؛ فإنَّ الأفعال (كد كيدك) و (اسع سعيك) و (ناصر جهك) المتوجهة نحو يزيد، فيها معنى التعجيز، ورميه بالوهن والضعف؛ لأنَّه في ضلال مبین واضح.

الاستفهام

للاستفهام فاعلية من حيث الإنجاز والتأثير، لمحها سيبويه، حيث يشير إلى أنَّ غاية السؤال أنه يطلب «من المخاطب أمراً لم يستقرَّ عند السائل»^(١).
إلا أنَّ الاستفهام يخرج عن معناه المعهود إلى معانٍ مجازية لها قوَّة إنجازية وفاعلية في التأثير، وتتراكم الاستفهامات في خطبة زينب عليها السلام صريحة مرّة وضمنية أخرى لغاية الإنكار وإقامة البرهان على بطلان أفعال يزيد وحزبه الطلقاء، وذلك في قولها: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأنَّ ذلك لعظم خطرك عنده؟!»^(٢)، ومن تلك الاستفهامات قولها عليها السلام: «أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا؟!»^(٣).

وتُجيب زينب عليها السلام بتداخل نصي قرآني، فتفحم يزيد وتُقيم الحجج على بطلان ادّعاءه، فتقول: «أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب: ص ٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٣.

(٣) المصدر السابق: ج ٤٥، ص ١٣٤.

لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمَلِي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ يُعَذِّبُونَ لِمَا هُمْ بِفَاعِلِينَ ﴿١﴾؟! ﴿٢﴾.

إن هذا التناصُّ القرآني مُفجِّم، وحبَّة باهرة، ودليل قاطع على أن ما يراه المبطلون من مُحقق النصر لهم سيلقمونه وشيكاً ناراً في بطونهم، وينقلب عليهم إلى أسوء مردِّ، حيث عذاب الله المهين لكرامتهم، بعدما ابتغوا إهانة آل رسول الله ﷺ وأهل بيته ، ومرة أخرى يخفق يزيد بفعله.

إن يزيد يعلم يقيناً مَنْ تكون زينب ، وما هو موقعها من رسول الله ﷺ، ورغم ذلك تجاوز الحد، وأبدى كلَّ رعونة، وخفَّة عقل، واستهانة بحرم الرسول ﷺ؛ إذ هتك سترهنَّ، وأبدى وجوههنَّ، وخدَّر حرائره ونساءه.

وقد أثر ذلك في زينب  تأثيراً بالغاً، فأطالت وصف قبح أفعال يزيد في هتك ستر أهل بيته، فاستخدمت أسلوب الإطناب، شارحة مقدار الألم الذي حلَّ بها، لسخف فعل يزيد، «مهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ يُعَذِّبُونَ لِمَا هُمْ بِفَاعِلِينَ ﴿١﴾؟!﴾! أمن العدل يابن الطلقاء تحديرك حرائرك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وأبديت وجوههنَّ، يحدو بهنَّ الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنَّ أهل المناقل، ويرزن لأهل المناهل، ويتصفَّح وجوهنَّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والديني والرفيع، ليس معهنَّ من رجاهنَّ وليّ، ولا من حماهنَّ حميم، عتواً منك على الله، وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عند الله، ولا غرو منك، ولا عجب من فعلك؟!﴾^(٣)، فحدّرت يزيد بعذاب الله له ولأعوانه، وذلك بأسلوب اسم فعل الأمر (مهلاً مهلاً)، مواساة لقلبها المجروح.

(١) آل عمران: آية ١٧٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٥٨.

ومن تلك الاستفهامات المنكرة لهذا الفعل الشنيع ليزيد: «وأنتى يُرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، ونصب الحرب لسيّد الأنبياء، وجمع الأحزاب، وشهر الحراب، وهزّ السيوف في وجه رسول الله أشدّ العرب لله جحوداً، وأنكرهم له رسولاً، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الربّ كفراً وطغياناً؟!»،^(١) «وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟! ثم تقول غير متأنم ولا مستعظم:

وأهلوا واستهلوا فرحا
ثم قالوا يا يزيد لا تشل»^(٢)

النفى

للنفى أثرٌ فاعل في النص التداولي؛ لأنّ غرضه إبطال آراء الخصم وردّها، فللنفى وظيفة إقناعية، «تفتّت أسس الرأي المضاد، وتنزع عنه المصدقية»^(٣)، وتغلب اعتقاد المتلقّي، وتقطع ادّعاءاته، وله وظيفة تتمثّل في إبطال معلومة الخصم، وإمداده بمعلومة أخرى يعتبرها الآخر صحيحة^(٤)، أي: إمّا وظيفة التعويض.

فالمستكبر (يزيد) هو المخاطب، سماعه وعدم سماعه واحد؛ لأنّ الخطبة تتوخّى النتيجة، فالمستكبر (يزيد) سمع الحجج ووعاها، لكنّه لاستكباره لم يعترف، والخطبة قطعت ادّعاءه بإظهار النتيجة: «فوالله، لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحيناً، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها»^(٥).

كلّ ذلك جاء في سياق متناسق، يشدّ بعضه بعضاً بالحجج الدامغة، فأول

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٤.

(٣) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة: ص ٢٢٣.

(٤) المصدر السابق: ٢٢٥.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٥.

النفي قسم، وآخره كان أساليب نفي مجازي بـ(أداة الحصر وإلا)، أو (الاستفهام الإنكاري): «وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد؟!»^(١)، كل تلك أساليب نفي مؤكدة، وأدلة مقنعة، أظهرت النتيجة الحاسمة، والحقائق التي لا مرأى فيها، فالحياة إلى زوال، وكل سينال ما قدّمت يداها.

الروابط الحجاجية

«الروابط...: كل لفظ يُمكن من ربط قضيتين، أو جملتين، أو أكثر؛ لتكوين قضايا وجمل مركبة»^(٢)، فالبنية النصية للخطاب تُركّز على الأدوات اللغوية؛ ليطمّ الربط بين الحجّة والنتيجة، أو المقدمات والنتائج بروابط حجاجية.

التوكيد

هو من الروابط الحجاجية الإقناعية التي تفيد دفع الشك وإزالة الشبهات عمّا أنت بصدده، تقول زينب عليها السلام: «إني لأستصغر قدرك»^(٣)، إذ استخدمت مؤكّدين في معرض استصغار يزيد واحتقاره، وهما: (إنّ) الحرف المشبّه بالفعل، و(لام الابتداء) التي تسمّى هنا باللام المرحلقة.

ومن المؤكّدات الإقناعية أسلوب الحصر الذي تكرر مع القسم الذي هو أيضاً يفيد التوكيد، «والله، ما فريت إلا جلدك، ولا جززت إلا لحمك»^(٤)، إنّها عبارات تقولها زينب عليها السلام محاطة بمؤكّدات، رغم أنّها تُعبّر عن مستقبل يزيد في يوم الحساب، وهي ترى ذلك بعين الحقّ الذي عرفته من جدّها وأبيها، فلا مجال للشك.

ومنه التوكيد اللفظي: وهو رابط حجاجي، وحجّة تعليلية مؤكّدة في الكلام،

(١) المصدر السابق.

(٢) آن رويول وجاك موشلار، التداولية اليوم: ص ٢٦٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق.

وخطبة زينب عليها السلام من البلاغة بمكان بحيث تنوّعت فيها المؤكّدات بتناسق في الكلام وتصعيد؛ لإنكار فعل يزيد، إذ تقول: «ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء!»^(١).

والحجّة تعجبية هنا لأنّ طرفي الميزان غير متكافئين، فكيف يُقتل حزب الله والمؤمنون أصحاب الحقّ، بشراذمة الشيطان؟! وتحتجّ زينب عليها السلام، فتجد الأدلّة التي تفكّ شفرات التعجّب، ففي الحياة الدنيا الذاهبة غنم يزيد بمقتل الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه، لكن يوم القيامة سيكون ديناً يُقتص منه، حيث لا اقتصاص إلّا جهنم، تقول زينب عليها السلام مؤكّدة قولها بالقسم: «ولئن اتّخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا نجد إلّا ما قدّمت يداك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾»، وإلى الله المشتكى، وعليه المعول»^(٢).

إنّ زينب عليها السلام مؤمنة آل علي عليه السلام، تعلم يقيناً أنّ الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولهذا قُتل الأشراف بيد الأعداء، لكن بالمقابل فإنّ الله ليس بظلام للعبيد، فكُلّ ذي حقّ سينال حقه شاء الطغاة أم أبوا.

الاستلزام الحوارية

لكلّ فعل ردّة فعل لدى المتلقّي، تكون ردّة معاكسة، تتبناها سمات مكوّنة لنسيج النص، ومتفاعلة مع حركته الجوهرية، والردّة تلك هي من تأثيرات أفعال الكلام الحوارية التي تدعو إلى الاستنتاج المباشر ضمن نسق مختلف، فالمفهوم القصدي من الفعل الكلامي يقوم على أسس تداولية، وتلك المفاهيم لها قيمتها النصّية والحوارية الكامنة في أبرز المفاتيح الممنهجة للنصوص التي تنطوي على أفعال القوّة المتضمّنة في القول، والتي تُشكّل هراً توافقياً مع عوامل الإقناع في ظل مجتمع يمتلك الوعي،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٥.

ولكنه يجيد عن جادة الحق، والغاية التواصلية التي يريدها المتكلم تتحقق من الخطاب وقصديته^(١).

فمن الاستراتيجيات الحجاجية التي استُخدمت في حجاجية أسلوب الشرط اشتماله على ألفاظ ذات معانٍ تلزم الخصم على اقتراح جواب، فتكون أكثر فاعلية في إقناعه واستمالته، ومن خلال هذا الأسلوب ظهر لنا ما يسمّى بمبدأ (الاستلزام الحواري) في النص، إذ يعدّ واحداً من أهم الجوانب التي تبحث في الدرس التداولي، وهو أصقها، ففي الحوار نجد المتكلم والمستمع يستطيعان المناقشة والاتصال لأتّهما يمتلكان معلومات أو خلفية عن الموضوع.

وقد تطوّر ذلك حتّى انتهى إلى مبدأ التعاون الذي جاء به الأمريكي (جرايس) في تناوله كيفية اشتغال اللغة الطبيعية في التواصل، أي: كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر، والمخاطب يسمع شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟ و«مقتضاها أنّ المتخاطبين لا يندفعون إلى التبادلات الكلامية إلا وهم يسلمون بالتعاون فيما بينهم»^(٢)، ولا بدّ لنا من جدولة للمقاطع التي تشتمل على الاستلزام الحواري، وهي مقطعان، ذكرنا داخل التركيب اللغوي للجملية الشرطية:

ت	الاستلزام الحواري	الحوار
١	ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك.	الجواب: إنّي لأستصغر قدرك واستعظم تقريعتك... ويستلزم معاني السخرية.
٢	لئن اتخذتنا مغنّاً	الجواب: لتجدنا وشيكاً مغرماً. وتستلزم الإجابة هنا التهكم والتبكي.

(١) أنظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب.. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: ص ٢٠٠.

(٢) أنظر: وحيدة، حجر نورما، الاستلزام الحواري في سورة البقرة.. دراسة وصفية تحليلية تداولية: ص ٤١.

للاستلزام الحوارية أهمّ إسهام في تطوّر التداولية، إذ «إنّ آيات الاستلزام قائمة على مبدأ التعاون، بافتراض فهم السامع وإدراكه المعنى المستلزم، فضلاً عن قدرته على الاستنتاج انطلاقاً من فرضية الملائمة»^(١).

حجاج الصورة

عدّ الدرس البلاغي فناً من فنون التعبير والإقناع، تميّز بالخصوصية الشعرية (التخيّل)، والخصوصية الخطابية (الإقناع)، وما بينهما من تداخل، «فقد درس عبد القاهر الجرجاني الخطاب في أبعاده الاستدلالية والمنطقية، وقدم نظريته في (النظم) التي أقامها على أسس تداولية باستحضار المتلقّي في تحديد القيمة البلاغية للنظم، كما أبرز الوظيفة التداولية والإقناعية للاستعارة من خلال مفهوم الادّعاء»^(٢)، ومن ثمّ أصبحت وظيفة البلاغة الإمتاع والإقناع كخصيصتين أساسيتين.

«فالبلاغة اهتمّت بالبعد التداولي في مفهومها للخطاب، واعتنت بمناسبة المقال للمقام، واستحضرت المخاطب في تحديدها للنصّ البليغ»^(٣)، فالمجاز أعلى رتبة من الحقيقة في سلّم المعاني المسترسلة المؤولة للمعنى الأصلي، ويأتي قولها **لَيْلًا**: «ولتردّن على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته»، مسنداً بتناصّ تشبيهي من أيّ الذكر الحكيم: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ﴾**^(٤) في غاية البلاغة، فالصورة تشبيهية حجاجية، فضلاً عن التوكيد الذي زادها قوّة في جعل الحجّة عليهم، «وحسبك بالله ولياً وحاكماً، وبمحمد **ﷺ** خصياً، وبجبرئيل ظهيراً»^(٥).

(١) أدراوي، العياشي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ص ١٧-١٨.

(٢) قادا، عبد العالي، بلاغة الإقناع.. دراسة نظرية وتطبيقية: ص ٤١.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٠.

(٤) آل عمران: آية ١٦٩.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٥٩.

الخبر

هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، مع مراعاة قصد المُخبرِ واعتقاده، فإذا كانت نسبة الخبر الكلامية مطابقة لنسبته الخارجية مع اعتقاد المُخبر بمطابقتها، فالكلام صادق، وإذا كانت نسبته الكلامية غير مطابقة لنسبته الخارجية، مع عدم اعتقاد المخبر بمطابقتها، فالكلام كاذب، ومن هنا فالخبر يقبل الحكم عليه بالثبوت والنفي. والخطبة في كثير من جملها إخبارية تنبئ عمّا حدث في واقعة الطف، وهي جمل إخبارية مؤكّدة بصنوف التوكيد وأنواعه كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وزينب عليها السلام بخطبتها تلك تُخبر عمّا جرى في كربلاء ببلاغة عالية، وشجاعة أدبية، وبمصداقية كبيرة، فليس ذلك شيئاً خفياً، وقد اعترف به كلٌّ من كتب في واقعة كربلاء، ومن أصدق من بنت علي عليه السلام قياً؟! والكلام مطابق للواقع، فعندما يلجأ المُتلقي إلى قراءة الخطبة أو سماعها، يجد وصفاً حقيقياً للواقعة، ووصفاً لفعل يزيد، ولمصيره الذي سيلقاه.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- 1 - الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- 2 - الاستلزام الحواري في سورة البقرة.. دراسة وصفية تحليلية تداولية (مشروع بحث)، حجر نورما وحيدة، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية، مالانج، ٢٠١٠م.
- 3 - الاستهلال فنّ البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- 4 - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥ - بلاغة الإقناع في المناظرة، عادل عبد اللطيف، منشورات ضفاف، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

٦ - بلاغة الإقناع.. دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد العلي قادا، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

٧ - البلاغة والنقد، محمد كريم الكواز، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٨ - التداولية اليوم، آن رويول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، إصدارات: المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٩ - التداولية عند العلماء العرب.. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٠ - الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١١ - الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسن الباهي، مطبعة أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤م.

١٢ - شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري (ت ١٣٦٩هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، الطبعة الخامسة، ١٣٨٥هـ.

١٣ - شظايا لسانية، أ.د. مجيد الماشطة، مطبعة السلام، البصرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

١٤ - الكتاب، عمرو بن عثمان المشهور بـ(سيبويه)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى.

١٥ - المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

وظيفة المثل القرآني في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة

دراسة تحليلية

م. د. نور مهدي الساعدي*

مقدمة

حضور النصّ القرآني في كلمات وخطابات أهل البيت عليهم السلام ظاهرة واضحة للمتلقّي، تستدعي الدراسة والبحث عن مقاصده والأهداف المراد تحقيقها منه، سيّما ما صدر منهم عليهم السلام في محافل ومناسبات لها مساحتها التاريخية المؤثرة في ذاكرة العقل الجمعي، التي على أساسها شُيّدت ممارسات وطقوس لإحيائها وإدامة زخم حضورها، منها خطبة السيِّدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة، التي لم تزل موضع اهتمام الباحثين ودراساتهم؛ لبلاغتها من جهة، وكثافة نصّها وعمق معانيها من جهة أخرى. وانطلاقاً من الأجواء العامّة التي كانت سبباً لصدورها والأهداف التي أرادت تحقيقها، حاول البحث أن يستعرض مضامينها ومدى حضور النصّ القرآني فيها عموماً من جهة، وكيفية توظيف المثل القرآني في الخطبة، ودقّة استدعائه وانسجامه مع الجو العامّ من جهةٍ أخرى، وذلك عبر ثلاثة مباحث:

بيّن الأوّل منها مفاهيم مفردات العنوان، والثاني: عرض حضور النصّ القرآني في خطابات السيِّدة زينب عليها السلام، أمّا الثالث فقد عرض الأمثال القرآنية الواردة في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة.

* جامعة الكوفة/ كلية الفقه، باحثة علمية في القسم النسوي في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ النجف الأشرف

وُحِّمَ البحث بخاتمة بيّنا فيها أهمّ النتائج التي توصل لها. منهجية البحث في العرض والاستدلال منهجية تحليلية، من خلال استقراء مفردات الخطبة وجملها، والظروف الداخلية والخارجية المحيطة بنصوصها؛ للوقوف على أهمية تلك الخطبة ودورها في تحقيق أهداف النهضة الحسينية، وإبقاء زخمها العقدي والفكري والإصلاحي ببقاء البشرية على وجه الأرض.

المبحث الأول: بيان مفردات عنوان البحث

تضمّن عنوان البحث مفردتي المثل القرآني والخطبة، ومعناهما يشكلّ الدعامة الأساسية للبحث؛ لذلك كان لا بدّ من التعريف بهما في أوّل البحث وفق ما يأتي:

أولاً: مفهوم المثل القرآني

«يظهر من غير واحد من المعاجم، كلسان العرب والقاموس المحيط، أنّ للفظ (المثل) معانٍ مختلفة، كالنظير والصفة والعبرة، وما يُجعل مثلاً لغيره يحتذاً عليه، إلى غير ذلك من المعاني»^(١). و«المثل - بالكسر والتحريك - الشبه... جمع أمثال، والمثل محرّكة: الحجّة، والحديث... والصفة... والمثال: المقدار والقصاص»^(٢). و«الظاهر أنّ الجميع من قبيل المصاديق، وما ذكره من باب خلط المفهوم بها، وليس للفظ إلا معنىً أو معنيين، والباقي صور ومصاديق لذلك المفهوم، وممن نَبّه على ذلك صاحب معجم المقاييس»^(٣)، حيث قال: «والمثل والمثال في معنى واحد، وربّما قالوا مثيل كشبيه»^(٤). وقال الزركشي: «وظاهر كلام أهل اللغة أنّ (المثل) بفتحتين: الصفة»^(٥).

(١) السبحاني، جعفر، الأمثال في القرآن الكريم: ص ٥.

(٢) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٤٨ - ٤٩.

(٣) السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن: ج ٩، ص ٥.

(٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٢٩٦.

(٥) الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن: ج ١، ص ٤٩٠.

«ويمكن أن نجمع هذه الدلالات اللغوية كلّها في المثل القرآني؛ إذ إنه قد استعير لكلّ شأنٍ مبهم، أو حدث غريب، أو قصّة أريد بها العظة والعبرة، أو لكلّ وصف لم يعرفه العرب من قبل، أو لكلّ معنى لم يُدرِك فحواه إلا بتقريبه عن طريق الشبيه والنظير له، فكأنّه بمعنى الشبيه والنظير والوصف والنموذج أو المثل»^(١)؛ ولذلك يختلف المثل القرآني عن المثل الأدبي نسبياً من جهة المفهوم والخصائص والوظيفة.

من هنا؛ عرّف المثل القرآني بأنّه: «إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة، لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهاً، أو قولاً مرسلًا»^(٢)، وعبارة: (لها وقعها في النفس) تُشير إلى وسيلة التأثير في المثل القرآني كخطوة أولية في مسار حجاج المثل، والذي غايته الإقناع من خلال التجسيد والاعتبار؛ لأنّ الأمثال القرآنية تهدف إلى تحقيق أغراض دينية، كتقريب صورة الممثل إلى ذهن المخاطب، أو لإقناعه بفكرة دينية، أو لإقامة حجة عقلية، أو للترغيب في أمر محمود، أو للتخويف من أمر مذموم، أو لتعظيم شأن الممثل له، أو لتحقيره وذمّه، وغير ذلك من الأغراض.

وقد يسعى إلى تحقيق غرض واحد، أو قد تكون هناك عدّة أغراض فيه، يوحى بها التعبير والتصوير للمثل المضروب؛ ليعبر عن قضايا إنسانية وفكرية كبرى، تُقرّبه من واقع المتلقّي، وتُبعده عن الخيال، ممّا يعزّز التعمّق في خاصية الإقناع والاحتجاج، فيجعله أقدر على التأثير والتغيير في سلوك المتلقّي.

خصائص المثل القرآني

للمثل القرآني خصائص تُميّزه وتحدّده عن الأمثال الأخرى، وما يهمّ البحث من تلك الخصائص، هو ما يتعلّق ويرتبط منها بوظيفة المثل القرآني الذي استدعته السيّدّة زينب عليها السلام في خطبتها بأهل الكوفة، ومن تلك الخصائص ما يأتي:

(١) الراغب، عبد السلام، البنية الأساسية للأمثال القرآنية: ص ٣. (مقال منشور على الشبكة العنكبوتية).

(٢) القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن: ص ٢٩٢.

أولاً: كامن و صريح، من خصائص الأمثال القرآنية أمّا أن تكون أمثال صريحة معتمدة على لفظ (المثل)، أو تكون كامنة، تُفهم من السياق من غير تصريح بلفظ المثل^(١)، وهو ما اعتمده السيّد زينب عليها السلام في خطبتها؛ إذ إنّها استدعت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾^(٢)، فساقته السيّد زينب عليها السلام مساق المثل في خطبتها بقولها: «إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم»^(٣)، وبذلك أخرجت السيّد زينب عليها السلام المثل من الكامن إلى الصريح.

ثانياً: «الدقة والواقعية... فالمثل القرآني لا يمثّل دائماً بالغريب العجيب، وإنّما يتخيّر الصورة من المحسوسات الموجودة، ويعرضها بأوصافها وخصائصها، ثمّ يسكبها في الألفاظ؛ لتكون شاهداً واضحاً على ما يريد إيصاله إلى الأذهان، وذلك من دون أن يضع في الممثل به وصفاً زائداً أو ناقصاً، فتأتي الصورة صادقة ومعبرة»^(٤).

ثالثاً: التأثير النفسي، وهو متأثّر من الدقة والواقعية التي يتّسم بها المثل القرآني، فكلّما كانت صورة المثل قريبة من حياة الإنسان وواقعه اليومي كانت أكثر تأثيراً في نفسه^(٥)، «لأنّ القرآن المبين لا يعنيه الممثل به، أو بتخصيصه عن غيره، بقدر ما يقصد به تقريب الصورة إلى نفس الإنسان، رغم شدّة وضوحها وبيانها في السياق القرآني»^(٦). هذه الخصائص أعطت زخماً وظيفياً للمثل القرآني الذي تقتبسه عليها السلام وتستشهد به في بعض النصوص والمواقف، بشكل يمكّنها من تحقيق مرادها من خلال الاستعانة

(١) أنظر: الزين، سميح عاطف، الأمثال في القرآن الكريم: ص ٤٨-٤٩.

(٢) النحل: آية ٩٢.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٧.

(٤) الزين، سميح عاطف، الأمثال في القرآن الكريم: ص ٥٤.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٧.

(٦) المصدر السابق: ص ٥٧-٥٨.

به والاتكاء عليه، وهو ما يريد البحث الوقوف عنده، ودراسة الأسباب الكامنة وراء استدعاء المثل القرآني في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة على وجه الخصوص.

ثانياً: مفهوم الخطبة

«الخطبة مصدر الخطيب... الخطبة اسمٌ للكلام الذي يتكلم به الخطيب»^(١). «ولا تكون المخاطبة إلا بالكلام بين المخاطبين»^(٢).

وفي الاصطلاح عُرِّفت بأنّها: «الكلام المؤلّف المتضمّن وعظاً وإبلاغاً»^(٣)، وما يؤخذ على التعريف أنّه يشمل الخطبة وغيرها، فليس كلّ كلام يتضمّن وعظاً وإبلاغاً يسمّى خطبة؛ ولذلك قيل: إنّها «قياس مركّب من مقدّمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم»^(٤). «وعرّف بعض المعاصرين الخطابة بأنّها من فنون الكلام، يُقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معاً»^(٥).

وانطلاقاً من التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفردة الخطبة، يتّضح أنّ لها وظيفة الإقناع والتأثير من جهة، وإيصال ما يريد الخطيب إلى الجمهور والمستمعين من جهة أخرى.

هذا المفهوم أعطى للخطبة أهمّية وظيفية تركّز على مستوى إدراك السامعين، وكيفية توظيف المفردات القيمة والمعرفية للخطيب، وإيصالها للمتلقّي.

من هنا جاءت صفات الخطبة التي تجعلها أكثر تأثيراً في نفوس السامعين، وتلك الصفات هي:

(١) الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج٧، ص ٢٤٦.

(٢) ابن فارس، أحمد، حلية الفقهاء: ص ٨٧.

(٣) محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج٢، ص ٤٠.

(٤) الشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ص ١٣٤.

(٥) المقطري، أبو مالك عدنان، دليل النخبة إلى أحكام الخطبة. (مقال منشور على موقع: ملتقى أهل

الحدِيث). <https://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=205121>.

«١- ألا تكون طويلة ممّلة ولا قصيرة مخّلة، بحيث تركز على الموضوع الرئيس وتستوفيه حقّه.

٢- أن تكون ذات وحدة موضوعية، بأن تدور حول فكرة معيّنة أو موضوع خاص.

٣- أن تكون ذات أسلوب مناسب لأحوال المستمعين.

٤- حُسن اختيار الموضوع، بأن يكون من الموضوعات غير المكرّرة؛ ليجذب اهتمامهم وإنصاتهم.

٥- استخدام الجمل القصيرة التي يقلّ فيها استخدام الروابط؛ لئلا يلقى المستمعون عتاً في متابعة الأفكار.

٦- الاعتماد على الجمل الإنشائية المثيرة والمجدّدة لنشاط المستمعين، (الأمر، النهي، الاستفهام، التعجب، النداء...)»^(١).

جميع الصفات أعلاه وعوامل التأثير النفسي توافرت في خطاب السيّدة زينب عليها السلام عموماً، وخطابها الموجه لأهل الكوفة على وجه الخصوص، فإذا تمّت دراسة مناسبة الخطاب وما يُحيط به من مقدّمات وظروف، امتازت الخطبة بقوة وتأثير خاص.

مناسبة خطبة السيّدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة

ألقيت الخطبة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وصحبه، وأخذ أهل بيته ونسائه سبايا إلى الكوفة، وبملاحظة أمرين مهمّين، هما:

الأوّل: خصوصية الكوفة ومكانتها لدى السيّدة زينب عليها السلام، بوصفها عاصمة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكمه، وموقف أهلها تجاه خروج الإمام الحسين عليه السلام على السلطة الحاكمة، والانقسام الداخلي فيها آنذاك، والكتب المرسلة من قبلهم؛ لاستقدامه إلى الكوفة، وتخليصهم من الجور الأموي.

الثاني: دخول السيّدة زينب عليها السلام إلى الكوفة مع نساء الحسين عليه السلام وصحبه بوصفهنّ

(١) عصام مبيشور، الخطابة وأنواعها والمزيد. مقال منشور على الموقع الإلكتروني: <http://www.startimes.com/?t=25574876>

سبايا، وما يحمله السبي من معان الأسر والانكسار، وكأتهنَّ خارجات عن الدين بحسب ما روجّه الإعلام الأموي.

يتّضح القصد من الخطبة، والأهداف التي سيقت لأجلها، والتي دقت ناقوس الخطر في مجتمع الكوفة المضطرب والهائج بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فبتلك الكلمات دكّت حصون وقلاع الحكومة الأموية المتمثلة بيزيد، وكان ذلك الهلع والقلق بداية النهاية لبني أمية، وهو شرارة الثورات اللاحقة على طغاة ذلك العصر.

المبحث الثاني: الاقتباس القرآني في الخطبة

استدعاء النصوص القرآنية في الخطاب الموجّه للمتلقّي ركيزة من ركائز قوّة الخطاب، وعامل من عوامل تأثيره في النفوس من جهة، ودالٌّ على تمكّن صاحب الخطاب من القضية التي يؤمن بها من جهة أخرى.

والتوظيف القرآني هو أحد أشكال التناص، و«التناص من أكثر المصطلحات المستخدمة في المفردات النقدية المعاصرة»^(١). ويعبّر عنه بتداخل النصوص؛ إذ تحدث علاقة تفاعلية بين نصّ سابق ونصّ حاضر لإنتاج نصّ لاحق^(٢).

والمراد به هنا: تضمين نصّ الخطبة نصّاً قرآنياً أو أكثر، أو استعمال مفردة أو حادثة قرآنية في نصّها، ومن خلال استعراض فقرات الخطبة يتبيّن أنّ الاقتباس القرآني فيها تمثّل بثلاث صور، جاءت على نحو التداخل النصّي في الخطبة، وهي:

أولاً: التداخل الجزئي

يُقصد به مجيء مفهوم الآية القرآنية مع شيء من الزيادة أو التقديم والتأخير في نصّ الآية القرآنية^(٣)، منه ما يلي:

(١) ألان، جراهام، نظرية التناص: ص ٩.

(٢) أنظر: لعبيبي، محمد قاسم، التفاعل النصّي مع القرآن الكريم في خطبة السيّد الزهراء، مجلّة الأستاذ: العدد ٢٠٣، ص ٣٢٤.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٢٧.

١- «ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون»^(١)، والنصّ تمّ استدعاؤه من قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَأْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٢). واللافت للنظر، أنّ الآية تحكي عن اليهود^(٣) الذين نقضوا عهدهم مع الأنبياء وتسبّبوا بقتلهم^(٤). ووجه المناسبة بين موضوع الآية الكريمة والنصّ المقتبس منها في الخطبة، هو مسألة نقض العهود التي قطعوها آنذاك للإمام الحسين عليه السلام بإرسالهم إليه: «... فأقدم علينا إذا شئت، فإنما تقدم على جندٍ مجنّدة لك»^(٥). وبذلك فإنّ الاقتباس القرآني في خطبة السيّدّة زينب عليها السلام كان اقتباساً دقيقاً من جهة وحدة الموضوع بين ما كان عليه اليهود من نقض للعهود، وبين ما آل إليه حال أهل الكوفة بعد نقضهم العهد وعدم نصرّة الإمام الحسين عليه السلام وتسبّبهم بقتله.

٢- «أبتكون وتنتحبون؟! إي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً»^(٦)، مستدعى من قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٧)، والنصّ يحمل معنى التهديد بسوء الجزاء بما صنعوا^(٨)، «والمراد بالآية الإخبار عن حال هؤلاء المنافقين، وأنها في وجه الضحك كحال المأمور منه فيما يؤول إليه من خيرٍ أو شرٍّ على صاحبه، فلذلك دخله معنى التهديد»^(٩)، فالآية الكريمة جاءت كـ«تفريع على تخلفهم

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٧.

(٢) المائدة: آية ٨.

(٣) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٦١١.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ١، ص ٢٧٩.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٤.

(٦) المصدر السابق: ص ٨٧.

(٧) التوبة: ٨٢.

(٨) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ٨، ص ٢١٦.

(٩) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٢٧٠.

[المنافقين] عن الجهاد بالأموال والأنفس، وفرحهم بالقعود عن هذه الفريضة الإلهية الفطرية، التي لا سعادة للإنسان في حياته دونها»^(١).

ومناسبة اقتباس الآية في الخطبة واضحة في وصف حال الذين تقاعسوا عن نصره الإمام الحسين عليه السلام - الذي تُعدّ نصرته نصرةً للدين - وأظهروا عليه الحزن بعد مقتله؛ إذ كانت قلوبهم معه وسيوفهم عليه، وقد وصفهم الإمام الحسين عليه السلام بأنهم: «عبيد المال، والدين لغو على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت به معاشهم، فإذا مُحّصوا للابتلاء قلّ الديّانون»^(٢)، ففسروا السعادة في الآخرة والاطمئنان في الدنيا.

٣- «ألساء ما تزرون، وبُعداً لكم وسُحقاً، فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي»^(٣)، مقتبس من قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾^(٤)، فقد يتذرّعوا بأنهم لم يُباشروا قتل الإمام الحسين عليه السلام بأنفسهم، ولكن اقتباس النص من الآية الكريمة فيه «دلالة على أنّ حملهم لأوزار غيرهم إنّما هو من جهة إضلالهم، فيعود الإضلال غاية والحمل غاية الغاية... فيحملوا أوزار أنفسهم كاملة، ومن أوزار أولئك الذين يضلّونهم بغير علم»^(٥)، بمعنى أنّهم يتحمّلون وزر قتل الإمام؛ لأنهم دعوه ولم ينصروه، وإن لم يشهروا سيوفهم ويقتلوه بالفعل، وإنّما فعلوا ذلك بالقوّة. من هنا؛ يُفهم مناسبة قول السيّد زينب عليها السلام: «ساء ما تزرون»، لعظم الذنب الذي ارتكبه؛ إذ يُعبّر عن الوزر بالإثم^(٦).

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ٣٥٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٩٥.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٧.

(٤) النحل: آية ٢٥.

(٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٢٣١.

(٦) أنظر: الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٥٢١.

٤- «وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ»^(١)، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَلُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾^(٢).

ثانياً: التداخل الكلي

بمعنى أن تأتي الآيات القرآنية بكاملها في نص الخطبة من غير زيادة أو نقصان، مثاله قولها عَلَيْهَا: «يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرثة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم»^(٣)، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾^(٤).

ثالثاً: التداخل على مستوى المفردات

إذ إنَّ توظيف المفردات القرآنية في نص خطبة السيدة زينب عَلَيْهَا بأهل الكوفة أخذ حيزاً واسعاً منها، ومن تلك المفردات لفظ (تبت الأيدي، غمز، ملق...)، وغيرها من المفردات الأخرى، ولكل مفردة من هذه المفردات القرآنية حضور معنوي منسجم مع موضوع الخطبة، إذ تعطي مفردة (تبت الأيدي) معنى «خابت وخسرت، والتباب هو الخسار المفضي إلى الهلاك، والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه، وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كلاً وجميعه»^(٥)، وبذلك أرادت أن تبيّن السيدة زينب عَلَيْهَا مدى خسارة أهل الكوفة بخذلانهم الإمام الحسين عَلَيْهِ، وأن تلك الخسارة أدت بهم إلى الهلاك.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٧.

(٢) آل عمران: ١١٢.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٦-٨٧.

(٤) النحل: آية ٩٢.

(٥) الخازن، علاء الدين، لباب التأويل في معاني التنزيل: ج ٤، ص ٤٩٤.

ومن خلال ما تقدّم يتّضح مدى حضور النصّ القرآني حضوراً غائباً في خطبة السيّدة زينب عليها السلام، وليس حضوراً لمجرد الحضور، أو الاستئناس بالآيات القرآنية، أو التبرّك بها، بل لوجود مناسبة موضوعية بين موضوع تلك الآيات القرآنية وموضع خطابها عليها السلام.

المبحث الثالث: وظيفة المثل القرآني في الخطبة

لكي يكون المثل أكثر تأثيراً في المتلقّي لا بدّ أن يكون مستوحىً من بيئته، أو ممّا يعرفه من موروثة الديني أو الثقافي أو الاجتماعي؛ ليعرف مناسبة من جهة، ويرى مدى انطباق تلك المناسبة عليه من جهة أخرى، فيتأثر سلباً أو إيجاباً. من هنا؛ يلحظ أنّ السيّدة زينب عليها السلام وصفت أهل الكوفة بأنهم: «كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيانكم دخلاً بينكم»^(١)، لانطباقه تماماً على حالهم؛ إذ إنّ لهذا الوصف مجموعة من الوظائف جاءت لتبيّن الدلالة العقديّة التي تقف وراء استعمال المثل القرآني على وجه الخصوص، من دون غيره من الأمثال الأخرى، وتلك الوظائف هي:

أولاً: وظيفة التقرّيع

يُقال: «قرع فلانٌ فلاناً بعضاً الملامة إذا بالغ في عدله، ولذلك قيل للتوبيخ: تقرّيع»^(٢)، والتقرّيع لا يكون إلّا على العمل القبيح، فهو يختلف عن اللوم الذي قد يكون على عمل حسن^(٣)، فالسيّدة زينب عليها السلام قامت بتقرّيع أهل الكوفة على عملهم القبيح، من خلال إيراد المثل القرآني الذي يصف نقض العهود والمواثيق بعد إبرامها وقوّة تأكيدها، وهو عمل لا يقوم به إلّا السفهاء؛ لأنّ التمثيل جاء «بمرأة تغزل الغزل بقوّة،

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٨٧.

(٢) الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٣، ص ٧٩.

(٣) أنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية: ص ١١٧.

ثم تعود فتنقض ما أتعبت نفسها فيه وغزلته من بعد قوّة، وتجعله أنكاثاً لا قتل فيه ولا إبرام. ونقل عن الكلبي: أنها امرأة حمقاء من قريش، كانت تغزل مع جواربها إلى انتصاف النهار، ثم تأمرهنّ أن ينقضن ما غزلن، ولا يزال ذلك دأبها... وكانت تُسمّى خرقاء مكّة^(١)، وتأمل بعيد في النصّ القرآني يتّضح أنّ «كلّ جزئية من جزئيات التشبيه تشي بالتحقير والترذيل والتعجب، وتشوّه الأمر في النفوس، وتقبحه في القلوب»^(٢). فبعد كلّ تلك التضحيات والدماء التي أريقّت من أجل الرسائل التي وصلت للإمام الحسين عليه السلام، تقاعست الأمّة عن القيام بمسؤوليتها إزاء تلك الدعوة، فنقضوا غزل دعوتهم للإمام الحسين عليه السلام بتقاعسهم وخذلانهم.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ تقرّيع السيّدة زينب عليها السلام لأهل الكوفة لم يكن لمجرّد التوبيخ والتحقير، بل لإرجاعهم إلى رشدهم الذي فقدوه، وأصبحوا جثّة هامدة تحتاج إلى مَنْ يبتّ فيها الروح من جديد، وإن كان من خلال التعنيف والشدّة في الخطاب، والصلابة في الموقف، زيادةً على ذلك أرادت أن تنبّههم إلى ضعف رأيهم واضطراب جمعهم، من خلال إيرادها المثل الذي يُبيّن مدى وهن قرار تلك المرأة التي نقضت غزلها - مع ما له من قوّة - وجعلته ركاماً من الأنقاض.

ثانياً: وظيفة الاحتجاج

الاحتجاج في اللغة: من «حاجّه مُحاجّةً وحجاجاً: جادله... احتجّ عليه: أقام الحجّة... الحجّة: الدليل والبرهان... المحجاج: الذي يُكسر الجدل»^(٣). وهو مقدرة المتكلّم على إثبات صحّة ما يذهب إليه، من خلال الجدل، والإتيان بالأدلة التي تُثبت صدق ادّعائه^(٤).

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٣٣٥.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن: ج ٤، ص ٤٨٦.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ص ١٥٦-١٥٧.

(٤) الشمري، نائر سمير، الاحتجاج في شعر أبي تمام، مجلّة كلىة التربية الأساسية: العدد ٥٥، ص ١٨٩.

ولم يتعد تعريف الاحتجاج في الاصطلاح عن تعريفه في اللغة، فهو: «أن تأتي بمعنى ثم تؤكد بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته»^(١). وهذه الوظيفة أداها المثل القرآني الذي أوردته السيِّدة زينب عليها السلام في خطابها لأهل الكوفة، إذ احتجَّت عليهم بأنهم دعوا الإمام الحسين عليه السلام، ولما لبى دعوتهم خذلوه بذريعة أن لا طاقة لهم على مواجهة جيش وسلطة بني أمية؛ ولذلك قالت عليها السلام: «تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم»، والدخل هو «ما أدخل في الشيء على فساد، والمعنى تدخلون الأيمان على فساد للغرور، وفي نيتكم الغدر بمن حلفتُم له، لأنكم أكثر عدداً منهم، أو لأنَّ غيركم أكثر عدداً منكم. وقيل: والدخل الدغل والخديعة. وإنما قيل: الدخل؛ لأنه داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء»^(٢)؛ ولذلك نادتهم السيِّدة بقولها: «يا أهل الختل والغدر»، فإذا ما جمعت هذه العبارة مع المثل اللاحق لها يتبيَّن أنَّها عليها السلام حاججتهم بما أضمره في أنفسهم وأظهرته أفعالهم فيما بعد، من خلال نقضهم ما حلفوا به وعاهدوا عليه، من بعد توكيد وعقد نيَّة الوفاء به.

أهداف المثل القرآني في الخطبة

الوظائف أعلاه جاءت لأداء مجموعة من الأهداف، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما ذكره القرآن الكريم، وتلك الأهداف هي:

أولاً: هدف عقدي

الإمام الحسين عليه السلام إمامٌ مفترض الطاعة، وأهل الكوفة - بالدرجة الأساسية - يعرفون مقامه وصفته، وفي الوقت نفسه يعرفون انحراف السلطة وجورها، ممَّا دعاهم إلى استنصاره ودعوته لتخليصهم منها، لذلك بيَّنت السيِّدة زينب عليها السلام من خلال المثل القرآني الذي ساقته في خطبتها، أنَّ نكث عهدهم للإمام وعدم الوفاء

(١) أنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين: ص ٤١٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٤٢١.

به، معناه خروجهم من طاعة الله سبحانه - التي تقتضي الوفاء بعهدهم لمن نصبه الله سبحانه عليهم إماماً - إلى طاعة عدو الله، وعدم نصرته وليّه. زيادة على ذلك، أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو من ذوي القربى الذين أوصى الله عز وجل بمودّتهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)، وبنقض العهد مع الإمام الحسين عليه السلام نقضوا عهد الرسول صلى الله عليه وآله، ممّا يعني أنّ هناك ضعفاً عقدياً واضحاً لدى أهل الكوفة آنذاك، تّبّته عليه السيّدة زينب عليها السلام، وبيّنت ما سيؤول إليه أمرهم من الحُسران نتيجة ذلك الضعف.

ثانياً: هدف أخلاقي

نقض العهود والمواثيق بعد إبرامها عمل يستقبّحه العقل، فهو عمل غير أخلاقي، يدلّ على نفاق وضعف صاحبه؛ لأنّ «لزوم العمل بالميثاق من الأمور الفطرية التي جُبل عليها الإنسان، ولذلك نرى أنّ الوالد إذا وعد ولده شيئاً ولم يف به، فسوف يعترض عليه الولد؛ وهذا كاشفٌ أنّ لزوم العمل بالمواثيق والعهود أمرٌ فطر عليه الإنسان؛ ولذلك صار العمل بالميثاق من المحاسن الأخلاقية التي اتّفق عليها كافة العقلاء»^(٢). ومجىء المثل القرآني - مورد البحث - في سياق خطاب السيّدة زينب عليها السلام الموجه لأهل الكوفة، استدعى تبييهم إلى ما يعانونه من مشكلة أخلاقية خطيرة، وهي مشكلة نقض العهود؛ لأنّ من آثاره عدم الثقة بقراراتهم اللاحقة، وتجنّب الركون إليهم.

ثالثاً: هدف فقهي

بيّن المثل القرآني الذي استدعته السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها (اتّخاذ الأيمان دخلاً بينهم)، والمعنى هو إفساد ما حلفوا وأقسموا عليه من نصرته الإمام الحسين عليه السلام، وتخاذلهم عن الوقوف بوجه الظالمين، فالأيمان على قسمين: «قسم يُطلق عليه لقب

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) السبحاني، جعفر، الأمثال في القرآن الكريم: ص ١٨١.

اليمين، بلا عزم في القلب وتأكيده، كقول الإنسان - حسب العادة - والله وبالله. والقسم الآخر هو اليمين المؤكّد، وهو عبارة عن تغليظه بالعزم والعقد على اليمين... فالخالف إذا قال: والله، لأفعلنّ كذا، أو لأتركنّ كذا، فقد علّق ما حلف عليه نوعاً من التعليق على الله سبحانه، وجعله كفيلاً عنه في الوفاء لما عقد عليه اليمين، فإن نكث ولم يف كان لكفيله أن يؤدّبه، ففي نكث اليمين إهانة وإزراء بساحة العزّة^(١).

الخاتمة

من خلال ما تقدّم يصل البحث لمجموعة من النتائج يمكن إيجازها فيما يأتي:

١- حضور النصّ القرآني في خطاب السيّدة زينب عليها السلام ليس لمجرد الاستئناس والتزويق اللفظي، بل لغايات محدّدة أرادت السيّدة زينب إيصالها إلى المتلقّي أنياً ومستقبلياً.

٢- تنوّعت صور الحضور القرآني في الخطبة بتنوّع الأهداف التي سيقت لها.

٣- لأهل الكوفة خصيصة عند أهل البيت عليهم السلام عموماً، والسيّدة زينب عليها السلام على وجه الخصوص، لم يتوافر عليها أهل أيّ مدينة أخرى، استدعت أن يختلف الخطاب الموجه لهم عن الخطابات الأخرى.

٤- المثل القرآني الذي جاء في سياق خطبة السيّدة زينب عليها السلام أدّى مجموعة من الوظائف، وحقّق مجموعة من الأهداف، جاءت منسجمة ومتوافقة مع مضمون الخطبة وموضوعها.

٥- من خلال المثل القرآني الذي وظّفته السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها، تبين مدى الانحراف الفكري والعقدي للذين راسلوا الإمام الحسين عليه السلام، ومن ثمّ تنصّلوا عن مسؤوليتهم إزاءه.

(١) المصدر السابق: ص ٨٢-٨٣.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الاحتجاج في شعر أبي تمام، نائر سمير الشمري، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد ٥، سنة ٢٠١١ م.
- ٢ - الأمثال في القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ٣ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٤ - البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م.
- ٥ - التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ٦ - التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ. (برنامج مكتبة أهل البيت عليهم السلام)
- ٧ - التفاعل النصي مع القرآن الكريم في خطبة السيدة الزهراء، محمد قاسم لعبيبي، مجلة الأستاذ، العدد ٢٠٣، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٨ - تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرري، تحقيق: د. عبد الحلیم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٩ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ١٠ - حلية الفقهاء، أحمد ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

١١ - الخطابة وأنواعها والمزيد، عصام مبشور، مقال منشور على الموقع الإلكتروني:

<http://www.startimes.com/?t=25574876>

١٢ - دليل النخبة إلى أحكام الخطبة، أبو مالك عدنان المقطري، مقال منشور على موقع

ملتقى أهل الحديث الإلكتروني:

<https://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=205121>

١٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٣٨٦هـ)، (برنامج المكتبة الشاملة).

١٤ - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، (برنامج مكتبة

أهل البيت عليه السلام).

١٥ - كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق:

علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٦ - لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي

شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٧ - اللهوف في قتل الطفوف، السيّد علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٨ - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة

الثالثة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٩ - معجم الأمثال في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري -

القاهرة، ودار الكتاب اللبناني - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٠ - معجم الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، تحقيق: الشيخ

بيت الله بيّات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة

الأولى، ١٤١٢هـ.

- ٢١ - معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة - مصر. (مكتبة أهل البيت عليه السلام الإلكترونية).
- ٢٢ - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٢٣ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
- ٢٤ - مفاهيم القرآن (دراسة الأمثال والأقسام في القرآن الكريم)، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- ٢٥ - المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ٢٦ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة - إيران، (مكتبة أهل البيت عليه السلام الإلكترونية).
- ٢٧ - نظرية التناسخ، جراهام ألان، ترجمة: د. باسل المسالمه، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

بلاغة المرأة في تصوير القضية الحسينية ونشرها للأجيال السيدة زينب عليها السلام أنموذجاً

م. د. زهرة حميد عودة*

مقدمة

من المعروف عن المرأة - بحكم تكوينها الجسدي والنفسي - أن تكون ضعيفة إزاء المصاعب، وربما تنهار أمام المصائب، وقلما نجد من تتصرف بشجاعة، ونفس تأبى الضيم في أوقات فقد الأهل والأحبة، بل من النادر أن نجد من تقف بإزاء قاتل أهلها وأحبّتها وتخطبه، وكأنّ الأدوار معكوسة.

ولكن موقفاً مثل هذا ليس غريباً على ابنة فاطمة عليها السلام التي احتملت مصائب لو أنّها صُبت على الأيام صرن ليالياً، وقد رأت وسمعت ووعت خطبة أمّها بوجه من ظلمها حقّها في ميراثها من أبيها، فهي من أسرة لا تسكت على الضيم، وتقف بوجه الظالم وإن كان متحكماً في شؤون البلاد والعباد.

وفي هذه الوريقات ستكون لنا وقفة قصيرة مع خطبة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، وإبراز دور هذه المرأة العظيمة التي أسمعت العالم صوت الحقّ إزاء الباطل، وقد اخترت خطبتها في مجلس يزيد لتحليل بعض جوانبها التي ما زال صداها يتردد لكشف الحقيقة، وسيثبت هذا التحليل ما للخطبة من أثر في نفوس المتلقين، هذا الأثر الذي سيبقى متجدداً في كلّ زمان.

* كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة / بغداد / العراق.

ويتوزع التحليل على محورين:

أولهما: الاستفهام الإنكاري.

وثانيهما: التقابل.

أولاً: الاستفهام الإنكاري

الاستفهام بمعناه الحقيقي هو طلب الفهم، أمّا إذا خرج عن حقيقته ليؤدّي معنى آخر فهو الاستفهام البلاغي، ومنه الاستفهام الذي يؤدّي معنى النفي، ويسمّى استفهام الإنكار^(١)، واستفهام الإنكار المتضمّن معنى النفي يؤدّي دوراً أقوى وأبلغ من النفي، على الرغم من أنّها يعبران عن النفي؛ إذ الإنكار بصيغة النفي من شأنه أن يشعرنا بوجود اختلاف في وجهات النظر بين طرفي الخطاب، لا أكثر ولا أقل، أمّا النفي بصيغة الاستفهام الإنكاري فيؤدّي وظيفتين: أولهما: النفي، وثانيهما: «أنّ المتكلم عندما يُلقي كلامه بصيغة الاستفهام، فإنّ ذلك يدلّ على الثقة التي تملأ نفسه؛ لأنّه يُلقي كلامه، وهو يدرك أنّه لو كان في كلامه أدنى ريب لردّه عليه قائله جواباً على استفهامه»^(٢).

ولنتأمّل كيف نفت سيدتنا زينب عليها السلام ظنّ يزيد هو انهم على الله بالاستفهام الإنكاري، وذلك بقولها: «أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في أسار، نُساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أنّ بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامة وامتناناً، وأنّ ذلك لعظم خطرك، وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنقض مذكورك مرحاً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور لديك متّسقة، وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا، فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله عزّ وجلّ:

(١) أنظر: الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ٣٢٨-٣٤٤.

(٢) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها: ص ١٩٩.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ حَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١) «(٢)».

إن هذا الجزء من الخطبة يكفي وحده لقتل فرحة يزيد بانتصاره المزعوم، فهذا الجاهل المتغطرس يتلقى كلمات إن دلت على شيء فإنما تدلّ على «قوة القلب، وثبات القدم، والإيمان الصادق، والعقيدة الراسخة»^(٣)، لقد نفت السيّدة زينب عليها السلام أن تكون الغلبة في الحرب دليلاً على أنّ الغالب على حقّ، فلا تظنّ يا يزيد أننا لا نملك جاهاً عند الله؛ لأننا مغلوبون، ولا تطش بسبب جهلك بالحقيقة، فكونك غالباً لا يعني أنّ لك جاهاً عند الله، وتقدّم عليها السلام الدليل على ذلك مدعوماً بنصّ من القرآن، وهو من الدعامات القويّة في الخطاب بالنظر إلى مصدره، فهو ليس من إنتاج المتكلم بقدر ما هو منقول على لسانه، ويتوقّف أثره على توظيفه التوظيف المناسب في الخطاب^(٤)، وقد استحضرت السيّدة عليها السلام الشاهد القرآني بوصفه حجة تفصل به الكلام وتنتهيه، حتّى تدحض مزاعم الخصم بنصره الزائف، وتبيّن له حقيقته وأنّه كافر آثم.

وتنطلق مولانا عليها السلام في استفهامها الإنكاري الثاني من الوقائع التي لا ينكرها أحد، فالوقائع تمثّل ما هو مشترك بين مجموعة من الناس في بيئته واحدة يؤمن الجميع بصدقها وثبوتها، إذ تقول: «أمن العدل يابن الطلقاء تحديرك حرائك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدوا بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد... ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع؟!»^(٥).

(١) آل عمران: آية ١٧٨.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

(٣) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص ٢٦.

(٤) أنظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، آيات الحجاج وأدواته، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته): ج ١، ص ١٢٦.

(٥) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

إن «الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه كلما انغرست مراجعه في الواقع، وتنزلت عناصره فيما حدث وما يحدث»^(١)، فالسيّدة زينب عليها السلام حينما تخاطب يزيد بـ(ابن الطلقاء) تكشف الغطاء عن هوية يزيد، وترفع الستار عن أصله وحسبه ونسبه، وهذه الجملة هي إشارة إلى ما حدث يوم فتح مكة، «والظاهر أنّ السيّدة زينب تقصد من كلمة (بابن الطلقاء) واحداً من معنيين:

الأوّل: أن تذكّر يزيد بأنّه ابن الطليقين اللذين أطلقهما رسول الله صلى الله عليه وآله مع أهل مكة، وكأتمهم عبيد، فتكون الجملة تذكيراً له بسوء سوابقه المخزية، وملف والده وجده. والمعنى الثاني: أن تذكّر يزيد بالإحسان الذي بذله رسول الله لأسلاف يزيد، حيث أطلقهم، فقالت: (أمن العدل؟!)، أي: هل هذا جزاء إحسان رسول الله صلى الله عليه وآله مع أسلافك أن تتعامل مع حفيدات الرسول صلى الله عليه وآله هذا التعامل السيّء؟!»^(٢).

لقد عمدت السيّدة زينب عليها السلام إلى محاصرة يزيد بجملة من الأسئلة الإنكارية؛ كي تضعه في وضع المُلزَم بالإجابة، فإن أجاب بالإثبات فإنّه سيضع نفسه في موقف حرج؛ لأنّه يعلم جيداً أنّ مخاطبته تتحدّاه، وهذا يعني أنّها على حق، وإن سكت - وهو ما حصل - فقد اعترف بجريمته، ولبس ثوب الحزي والعار.

ثانياً: التقابل

إنّ التأويل التقابلي استراتيجية قرآنية لصناعة المعنى، تقوم على أساس التقريب بين العناصر والمستويات ذهنياً، وذلك عبر إحداث تواجه بين بُنيتين، أو وضعين، أو موقفين، وعلى الجهد الذهني المستقصي للمعاني والعلاقات الممكنة بين العناصر والمستويات المكوّنة للخطاب^(٣)، إذ إنّ فكرة التقابل ذات فائدة كبيرة في عرض

(١) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي.. بنيته وأساليبه: ص ٢١٤.

(٢) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص ٤١٨-٤١٩.

(٣) أنظر: بازي، محمد، تقابلات النص وبلاغة الخطاب: ص ٩.

وتوضيح المفاهيم المطروحة في الخطاب؛ لأنها تثير العقل على التدبّر والتأمّل والاعتبار، كما يجتمع فيها «نظام دائم التحفيز للعقل والعواطف؛ لإدراك أشكال التوافق والاختلاف»^(١).

ونجد التقابل في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في قولها: «وسيعلم من بوأك ومكّنك من رقاب المؤمنين، إذا كان الحكم الله، والخصم محمد صلى الله عليه وآله، وجوارحك شاهدة عليك، فبئس للظالمين بدلاً، أيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً»^(٢).

تتمثل العلاقة التقابلية في هذا النصّ في جانبين: أولهما: الجانب الضعيف الذي لا يملك لنفسه شيئاً، وهو (من بوأك ومكّنك من رقاب المؤمنين)، والجانب الثاني يتمثل بـ(الحكم: الله عز وجل)، والخصم: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، فضلاً عن أن جوارحك ستشهد بالحقّ ضدك، فالتقابل هنا بين الحاكم العزيز الجبار ذي القوّة المتين، وبين المحكوم المنزوع السلاح إلا من عمله. وفائدة التقابل هنا بيان مدى قوّة الجانب الثاني وقدرته مقابل ضعف وهوان الجانب الأوّل، وهي دعوة لهذا المتجبر ليتأمّل قليلاً في عواقب جريمته.

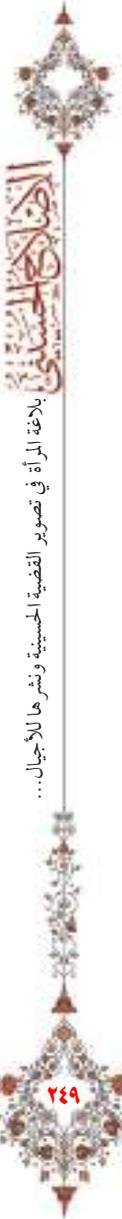
وتوظّف مولاتنا زينب عليها السلام التقابل في مشهد آخر حين تقول: «فلئن اتخذتنا مغنماً لتتخذنّ مغرماتاً، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، تستصرخ يابن مرجانة ويستصرخ بك، وتتعاوى وأتباعك عند الميزان، وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية، قتلك ذرية محمد صلى الله عليه وآله»^(٣).

تصوّر مولاتنا عليها السلام في هذا النصّ حضور المخاطب في زمان معيّن ومكان معيّن، مستندة إلى المعارف المشتركة بين المتكلّم وجمهور المستمعين، ف(عند الميزان) إشارة إلى حقيقتين من الحقائق الثابتة في الدين الإسلامي، وهما: حقيقة الزمان: يوم الحساب،

(١) جمعة، حسين، التقابل الجمالي في النصّ القرآني: ص ١٥٥.

(٢) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص ٢٢.

(٣) المصدر السابق.



وحقيقة المكان: القيامة، والمثول بين يدي الواحد الأحد، ليكون التأويل الذهني لهذا التقابل متمثلاً بالآتي:

الزمان في الدنيا (وقت محدد)، مقابل الزمان في يوم الحساب، وهو يتسع ما بين بداية القيامة لحين استقرار أهل الدارين، والمكان في الدنيا هو الشام، وأنت بسطانتك وجبروتك تفخر بمغنمك، مقابل المكان عند الحساب، وأنت بلا سلطان، لا تجد أمامك المغنم، بل تجد ﴿عَذَابٌ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(١)، وتزداد الصورة وضوحاً حين تُبين له أنّ مَنْ أعانه اليوم في جريمته يستصرخه غداً، ولكنه لا يجيبه، فهو الآخر يستصرخ، فهما في موقف واحد يتعاونون كالذئاب من هول ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولا جاه أو سلطان.

تُرى ما الذي أسكت يزيد، وهو الحاكم المتجبر المنتصر كما توهم؟ لماذا لم يستطع أن يرد؟ لقد استطاعت السيّدة زينب عليها السلام بكلماتها أن تزيل الغشاوة من على عيني يزيد، ليرى بوضوح أيّ جريمة ارتكب، وبحقّ مَنْ؟ وأيّ عاقبة سيلقى؟ واستطاعت كذلك أن تبرهن للناس أنّ مَنْ يتصوّرونه قوياً ما هو إلا ضعيف ذليل لا يقوى حتّى على الرد، فلم يستطع الدفاع عن نفسه، وهذا في الدنيا، فكيف به غداً - وهو (عدوّ الله وابن عدوّه) - أمام الحاكم الجبار؟!

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي بن ظافر الشهري، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته)، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

- ٢ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- ٣ - بلاغات النساء، ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.
- ٤ - البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، أربد، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.
- ٥ - التقابل الجمالي في النص القرآني، د. حسين جمعة، دار النمير للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ٦ - تقابلات النصّ وبلاغة الخطاب، محمد بازي، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- ٧ - الحجاج في الشعر العربي.. بُنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن - أربد، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
- ٨ - زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، حققه وعلّق عليه: السيد مصطفى القزويني، دار المرتضى، بيروت، (د.ت).

أثر القرآن الكريم في خطبة السيدة زينب عليها السلام

م. م. إيناس محمد العبادي*

مقدمة

استطاعت المرأة العربية أن تثبت نفسها في فنّ الخطابة، ولا سيّما بعد مجيء الإسلام، فقد انتقلت المرأة إلى مرحلة جديدة تميّزت عن سابقتها، إذ خرجت إلى ميدان الخطابة؛ لأنّ الدين الإسلامي قد منحها حريةً مكنتها من الدفاع عن حقوقها، وقد تضمّنت هذه الخطب المعاني الإسلامية، والحدو حدو القرآن الكريم، واتباعها منهج الحجج وإيراد البراهين؛ لإخضاع الخصم، وفي طليعة هؤلاء النسوة السيّدة زينب عليها السلام، التي اقتبست الآيات القرآنية والألفاظ في كلّ خطبها، موظفةً إياها خير توظيف؛ لإيضاح الفكرة وإفحام الخصوم.

الخطابة

للخطابة تعريفات كثيرة، «وأوضح وأدقّ ما عرّفت به الخطابة أنّها هي: فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة»^(١)، وهي إحدى الفنون النثرية، وظيفتها الإقناع، وتختلف عن غيرها بحضور المتلقّي، فهي نصّ مُشافه به، ولذلك لا بدّ من توفر مواصفات في النصّ وفي مؤدّيه؛ ليتحقّق الإقناع والتأثير في الجمهور المتلقّي، وقد اهتمّ النقاد العرب بمواصفات المؤدّي وهو الخطيب، ومواصفات الأداء، أي: الإلقاء، ومواصفات النصّ الملقّى، فاشترطوا في الخطيب سلامة جهاز

* كلىة الكفيل الجامعة/ العتبة العباسية المقدسة/ العراق.

(١) شليبي، عبد الجليل عبده، الخطابة وإعداد الخطيب: ص ١٣.

الناطق من العيوب، كما أوصوا المؤدّي بحُسن الإلقاء، وتوزيع مواضع الوقف توزيعاً جيّداً، فهي قدرة أو كفاءة أو ملكة^(١).

وتتنوّع الخطابة بتنوّع موضوعاتها؛ فهناك الخطابة الدينية، والخطابة السياسية، والخطابة الاحتفالية، والخطابة القضائية^(٢). ويُشترط في الخطبة الإسلامية أن تبدأ بالبسملة والتحميد والتمجيد لله سبحانه، والصلاة على النبي محمد وآله، وأن تتزيّن بالقرآن الكريم والحديث النبوي^(٣)، وأحياناً يلجأ الخطيب إلى الأمثال والأبيات الشعرية، فالخطابة هي: «صياغة الكلام بأسلوب يمكن الخطيب من التأثير على نفس المخاطب»^(٤).

مفهوم التناص

التناص مصطلحٌ وفد إلينا من الغرب، وفرض حضوره على الدراسات النقدية العربية مؤخراً، وقد اختلفت النظريات والتفسيرات حوله باختلاف التيارات الفكرية والمدارس النقدية، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى مرجعه اللغوي قبل الحديث عن دلالة التناص في بعده الأدبي.

يرجع التناص إلى الجذر اللغوي (نَصَصَ)، وقد أورد له أصحاب (المعجم اللغوية) مجموعة من المعاني، منها: «النصّ: رفعك الشيء. نصّ الحديث ينصّه نصّاً: رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نصّ... ونصّ المتاع نصّاً: جعل بعضه على بعض... النصّ: الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنصّ التوقيف، والنصّ التعيين على شيء ما»^(٥). من هنا؛ يتّضح أنّ لمفهوم التناص جذوراً لغوية، وإن لم يرد هذا المفهوم بجذوره الأصلية.

- (١) أنظر: بنو هاشم، الحسين، بلاغة الحجاج.. الأصول اليونانية: ص ٢٠٣.
- (٢) أنظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج ١، ص ٧٨.
- (٣) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠٨.
- (٤) اللويحي، أحمد بن محمد، مستقبل الخطابة الحسينية وسبل تحديثها: ص ١٠.
- (٥) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٧، ص ٩٧-٩٨.

أما التناص في البُعد النقدي، فقد ظهر في الدراسات الأدبية على يد الباحثة الفرنسية (جوليا كرستيفا)، إذ عرّفته بقولها: «هو ذاك التقاطع داخل التعبير، مأخوذ من نصوص أخرى»^(١).

والتناص أساسه التفاعل والتشارك بين النصوص، وهذا يقتضي الحفظ والمعرفة السابقة؛ لأنّ النصّ «يعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها في نصّ مركزي، يجمع بين الحاضر والغائب في نسيج متناغم مفتوح»^(٢).

خطب السيّدة زينب عليها السلام

لسنا بحاجة إلى التعريف بالسيّدة زينب عليها السلام، فالتعريف بالمعروف بخسّ لحقه؛ فهي سليلة البيت العلوي، وعقيلة بني هاشم، وابنة حيدر وفاطمة عليها السلام، وقد انبرت لإفشال مخطّط جيش الشام الخبيث، فتقدّمت بحجابها وبلاغتها لتقف أمام أعتى الظالمين في عصرها، فكأنّ علياً قام خطيباً في القوم، فتمثّلت بالقرآن الكريم في خطبها، ونمّ هذا الاستعمال عن فهم عميق للنصّ القرآني، وكأنّه خالط لحمها ودمها، وهي الطريقة ذاتها التي نجدها عند الإمام علي عليه السلام، فقد استعمل الشاهد القرآني في نهج البلاغة من أجل عدّة وظائف، أهمّها:

«١- إصلاح الذات وتهذيب النفس.

٢- الترغيب والترهيب.

٣- الوظيفة العبادية والعقائدية.

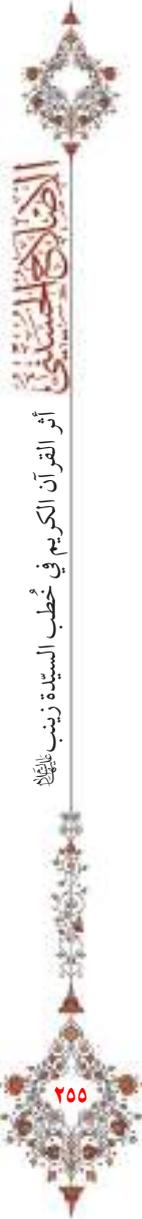
٤- الاحتجاج.

٥- الوظيفة العقلية»^(٣).

(١) محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: ص ١٤٧.

(٢) السعدني، مصطفى، التناص الشعري.. قراءة أخرى لقضية السرقات: ص ٨.

(٣) الفحام، عباس علي حسين، الأثر القرآني في نهج البلاغة.. دراسة في الشكل والمضمون: ص ٩.



وتميّزت خطب السيّدة زينب عليها السلام بكثرة الاقتباس من آيات القرآن الكريم بما يناسب المقام، فتارةً نجدّه مباشراً من غير فصلٍ بين نصّ الخطبة والآية؛ إذ يرتبطان بوشائج متينة بحيث لا يحسّ القارئ بالانتقال من الخطبة إلى الآية؛ وهذا ينمُّ عن استيعاب كامل من السيّدة زينب عليها السلام للنصّ القرآني، فهي تستحضره بسرعة كلّما احتاجت إليه للاستشهاد على قضية ما، وتارةً يكون الاقتباس غير مباشر، من دون أن تلتزم بلفظ الآية وتركيبتها، ولكنّ المتلقّي لا يجد صعوبة في تشخيص الآيات القرآنية من نصّ الخطبة، والخطبية في كلتا الحالتين توظّف الاقتباس توظيفاً دقيقاً؛ لذا سيّتظم البحث في مطلبين لرصد أثر القرآن الكريم في خطب السيّدة زينب عليها السلام، وهما:

المطلب الأوّل: الاقتباس المباشر من القرآن الكريم.

أمّا المطلب الثاني: الاقتباس غير المباشر من القرآن الكريم.

المطلب الأوّل: الاقتباس المباشر من القرآن الكريم

تميّز اقتباس السيّدة للآيات المباركة بدقّة اختيار الآيات وتوظيفها في خطبها عليها السلام توظيفاً ينسجم مع الهدف المراد إيصاله إلى المتلقّين، كما سيّتضح من خلال الأمثلة الآتية:

١- بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه، والصلاة على النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، تبدأ السيّدة زينب عليها السلام خطبتها في الكوفة مستشهداً بالآية الكريمة التي تتضمّن تشبيهاً تمثيلاً، قالت عليها السلام: «إنما مثلكم كمثّل التي نقضت غزها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيّمانكم دخلاً بينكم»^(١)، وهو اختيارٌ دقيقٌ يُناسب المقام تماماً؛ لأنّها بصدد تقرّيعهم وتحقيرهم؛ لأنّهم دعوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعطوه العهود المغلّظة، ثمّ نكثوا عهودهم وغدروا به، ومثّل هذا الفعل ليس من الإسلام في شيء.

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٦.

ومن جانبٍ آخر تذكّرهم بأنّ العرب مدينون لمحمد وذريّته، فقد وحّدهم بعدما كانوا طرائق قديماً، يغيّر بعضهم على بعض، ويسلب بعضهم بعضاً، وكانوا مشتتين متفرّقين، فجعل لهم ذكراً بين الأمم، فبعد أن قويت شوكتهم وارتفع شأنهم، أصبح مثلهم كمثّل التي تنقض غزها من بعد قوّة أنكاثاً.

وقد ذكّرتهم ﷺ بماضيهم المخزي؛ إذ دأبوا على نقض العهود، والتخاذل والغدر، كيوم صفين عند تحكيم الحكّمين، وبعد استشهاد أمير المؤمنين ﷺ تهافتوا على مبايعة الإمام الحسن ﷺ، ثمّ خرجوا مع معاوية لقتاله، ثمّ بعد استشهاد الإمام الحسن ﷺ أرسلوا اثني عشر ألف رسالة إلى الإمام الحسين ﷺ، يطلبون منه التوجّه إلى العراق؛ لينتقذهم من السلطنة الأموية الغاشمة، فبعث إليهم سفيره مسلم بن عقيل ﷺ، فغدروا به، وتفرّقوا عنه، ثمّ لبّى الإمام الحسين ﷺ النداء، وجاء إلى العراق، ووصل إلى أرض كربلاء، ومعه الصفوة من أهل بيته وأصحابه ﷺ، فقتلوه، ولم يرعوا فيه إلّا ولا ذمّة، وهذا دأبهم^(١)، فوبّختهم ﷺ قائلة: «أتبكون أخي؟! أجل والله، فابكوا، فإنكم أحرى بالبكاء...»^(٢)، فمثّلهم مثل العبيد والإماء، فالبكاء أليق بهم، وهو يناسب ضعفهم وهوانهم.

نلاحظ أنّ السيّد زينب ﷺ قد وظّفت الآية الكريمة توظيفاً رائعاً يناسب سياق الكلام، ولا نجد أيّ انفصالٍ بين الآية الكريمة وما يجاورها من عبارات الخطبة.

٢- قولها ﷺ: «ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم، أنّ سَخَطَ الله عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ»^(٣)، وهو اقتباسٌ من قوله تعالى: ﴿تَكْرِي كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٤). وعند تحليل سياق الآية في القرآن الكريم نلاحظ أنّها جاءت بعد

(١) أنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى ﷺ من المهد إلى اللحد: ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المائدة: آية ٨٠.

الحديث عن بني إسرائيل الذين اشتهروا بنقض العهود والمواثيق، وتكذيب الأنبياء والرسول وقتلهم، وهذا يلائم ما فعله بنو أمية وأتباعهم مع الحسين وآل بيته عليهم السلام. ثم إنها استعملت عبارة (ألا ساء ما قدمت أنفسكم) وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من مرة في قوله تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾^(١)، و﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢)، «والوزر: الحِمل الثقيل. والوزرُ: الذنب العظيم لثقله، وجمعها: أوزار»^(٣)، ومعناه: ساء ما ينالهم جزاء لهذا الذنب العظيم، وهو قتلهم الحسين عليه السلام.

٣- «الحمد لله رب العالمين، والصلاة على جدِّي سيد المرسلين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْأُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٤)»^(٥)، هنا استهلَّت السيِّدة زينب عليها السلام خطبتها بالآية الكريمة، فاخترلت مضمون الخطبة بأكملها، وفي هذه البداية مقاصد ومعانٍ لا تتوقف عند حدِّ إثارة المتلقين أو شدَّ انتباههم، وضمان إصغائهم، بل هي ردُّ على أبيات يزيد التي تمثِّل بها:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌّ نزل

وهو بهذا الاستشهاد قد أنكر نزول الوحي؛ لذلك ردَّت عليه بالآية الكريمة: ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾، لأجل أن تُفحمه وتُبدِّد فرحه وافتخاره، وتُخبره بأنَّ مصيره بسُّ المصير، وعاقبته الهوان والعذاب الأليم، فكان اقتباساً موقفاً من حيث المعنى؛ لتفنيد هذا الادِّعاء الباطل. وممَّا يلاحظ هنا براعة الخطيبية؛ إذ أحسنت التعامل مع هذا الموقف الذي قد يعجز

(١) الأنعام: آية ٣١. النحل: آية ٢٥.

(٢) النحل: آية ٥٩.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ٢٨٢.

(٤) الروم: آية ١٠.

(٥) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣١.

عن تحمّله الرجال الأشداء، مع أنّها أسيرة، وقد قُتل إخوتها وأهل بيتها، وسُبيت من العراق إلى الشام، وأدخلت في مجلس يزيد الذي يعجُّ بالأعداء، أو الذين يجهلون قدرها بسبب التعظيم الإعلامي الذي مارسه السلطة الأموية آنذاك.

ثم تقتبس آية تعضد وتقوي ما تقدّم، إذ تقول عَلَيْهَا: «فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١)»^(٢).

المطلب الثاني: الاقتباس غير المباشر من القرآن الكريم

أولاً: اقتباس التركيب من القرآن

إنّ تأثير التركيب القرآني في خطب السيّدة زينب عَلَيْهَا واضح جداً، وسنلاحظ في المقطعات التالية كيف تأثرت تلك الخطب بأسلوب القرآن الكريم. - «اللهم خذْ بحقنا، وانتقم منّ ظلمنا، وأحلل غضبك على من سفك دماءنا، ونقض ذمارنا»^(٣).

- «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطهرنا من الرجس تطهيراً»^(٤).

- «... فقالت: ما رأيت إلاّ جيلاً، هؤلاء قومٌ كتبَ الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجون إليه، وتختصمون عنده»^(٥).

وظفت السيّدة زينب عَلَيْهَا هذا الاقتباس لبيان تسليمها الكامل لإرادة الله؛ لأنّ نفس المؤمن مطمئنة، وإنّ أجل الإنسان لا يتقدّم ولا يتأخّر، وقد استعمل القرآن الكريم هذا المفهوم في قوله تعالى: ﴿... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ

(١) آل عمران: آية ١٧٨.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣١.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٢.

(٤) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عَلَيْهَا من المهدى إلى اللحد: ص ٣٤٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٤٨.

الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾.

وهذا «يعني: مَنْ علم الله منه أنّه يُقتل ويُصرع في هذه المصارع، وكتب ذلك في اللوح، لم يكن بدّ من وجوده، فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله أنّهم يُقتلون إلى مضاجعهم، وهي مصارعهم؛ ليكون ما علم الله أنّه يكون، والمعنى: أنّ الله كتب في اللوح قتل مَنْ يُقتل من المؤمنين، وكتب مع ذلك أنّهم الغالبون؛ لعلمه أنّ العاقبة في الغلبة لهم، وأنّ دين الإسلام يظهر على الدين كلّ، وأنّ ما يُنكبون به في بعض الأوقات تمحيصٌ لهم، وترغيب في الشهادة، وحرصهم على الشهادة، ممّا يحرّضهم على الجهاد، فتحصل الغلبة»^(٢). فهذا الدين لا يستقيم إلاّ بسفك تلك الدماء الزكية المقدّسة.

ثمّ تُخاطبهم ﷺ موبّخةً لهم: «أتبكون وتنتحبون؟ إي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً»^(٣)، فهي تُخبرهم بالعاقبة المخزية التي تنتظرهم، فماذا يرتجي مَنْ قتل سبط رسول الله ﷺ مظلوماً عطشاناً، ورَضَّ جسده الطاهر بحوافر الخيول، وحرّق خيامه، وسبى حرمه، وساقهم من بلدٍ إلى بلدٍ؟!

وقد استقت السيّدة زينب هذا التركيب من قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤)، استعملت المعنى لتنذرهم بأنّ فرحهم زائل، وعذابهم مُقيم.

(١) آل عمران: آية ١٥٤.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج ١، ص ٦٤٤.

(٣) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى ﷺ من المهدي إلى اللحد: ص ٢٨٤.

(٤) التوبة: آية ٨٢.

ثانياً: اقتباس اللفظة القرآنية

اللفظة القرآنية هي اللفظة التي نقل القرآن الكريم دلالتها من الجاهلية إلى دلالة جديدة اختص بها وحده، وهي موجودة في خطب السيدة زينب عليها السلام، وقد جاءت اللفظة القرآنية متمكّنة في خطبها، ممّا يدلّ على شدّة امتزاج ذات السيدة زينب عليها السلام بثقافة القرآن الكريم، فلا تجد مشقّة عند استلال اللفظة القرآنية من مخزونها الذهني؛ لأنّها حاضرة دائماً باللفظ والمعنى في ذهنها كلّما أرادت التعبير عن معنى ما، بل قد تنتزع اللفظة من سياق وموقف مشابه لموقفها، فكأتمّها تُدكّر الناس بالمواقف المتشابهة التي واجهها رسول الله صلى الله عليه وآله مع المشركين والمنافقين، فتعيدها إلى الأذهان، لتبيّن لهم أنّ القوم عادوا إلى شركهم وضلالهم بقتلهم الإمام الحسين عليه السلام وهذه الثلّة الطاهرة معه، وأنّه عليها السلام امتدادٌ للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

والألفاظ المقتبسة شديدة الاندماج في نصّ الخطبة، بحيث لا يوجد نفور ولا انفصال بين اللفظة القرآنية والخطبة، وتلك سمة فنيّة تُضاف إلى طبيعة اقتباسات السيدة زينب عليها السلام للفظ القرآنية، فهي اقتباسات فاعلة تُضيف مزيداً من المعاني داخل النصّ الجديد الذي حلّت فيه، وتمتزج معه بعلاقات غاية في التمكن، وسأحاول تسليط الضوء على الاقتباسات التي تكشف عن عمق فهم المفردة المقتبسة داخل النصّ القرآني، وذلك من خلال قول السيدة زينب عليها السلام: «... وبُعداً لكم وسُحقاً، فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضُربت عليكم الذلّة والمسكنة»^(١).

نلاحظ أنّها عليها السلام اقتبست الألفاظ القرآنية، وذكرتها بتسلسلٍ يخدم المعنى الذي تريده، فتبّت الأيدي: أي: خسرت، وهذا يترتّب عليه غضب الله عليهم، وضُربت عليهم الذلّة لقتلهم سبط الرسول صلى الله عليه وآله، فهم يشبهون بذلك عمل اليهود. وإليكم نماذج من المفردات القرآنية في خطب السيدة زينب عليها السلام:

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٦.

١. (بُعْدًا، سُحْقًا)

بُعْدًا لَكُمْ وَسُحْقًا كِلَاهِمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فِسْحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١)، أَنَّ «السُّحْقَ: البُعْدَ، وَانْتِصَابَهُ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَي: سَحَقَهُمُ اللَّهُ سَحْقًا... وَقَالَ الزَّجَاجُ: أَي: أَسَحَقَهُمُ اللَّهُ سَحْقًا، أَي: بَاعَدَهُمْ بُعْدًا»^(٢).

وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ مَوْجُودَةٌ فِي آيَاتٍ أُخْرَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، وَهَنَا تَجَدَّرَ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ لَفْظَةَ (بُعْدًا) تَرَدَّدَتْ غَالِبًا فِي سِيَاقِ الدَّعَاءِ عَلَى الْأَقْوَامِ الَّذِينَ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِبَادَةِ، كَعَادٍ وَثَمُودَ، وَمَدْيَنَ، وَغَيْرِهِمْ.

٢. تَبَّتْ الْأَيْدِي

تَبَّتْ، أَي: خَسِرَتْ، وَالتَّبَابُ: الْهَلَاكُ، وَالْمَعْنَى: هَلَكْتَ الْأَيْدِي، فَهِيَ تَدْعُو عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ وَالْخَسْرَانِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ لِشَخْصٍ مَا: (قَاتَلَهُ اللَّهُ)، «وَمَعْنَى تَبَّتْ يَدَاهُ، أَي: تَبَّ هُوَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَنْسِبُ الشَّدَّةَ وَالْقُوَّةَ وَالْأَفْعَالَ إِلَى الْيَدَيْنِ؛ إِذْ كَانَ بَيْنَهُمَا يَقَعُ كُلُّ الْأَفْعَالِ»^(٤).

لَقَدْ كَشَفَتْ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ عَلَيْهَا السَّلَامُ كُلَّ الْأَبَاطِيلِ الَّتِي نَشَرَتْهَا السُّلْطَةُ الْغَاشِمَةُ، مِنْ أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ عَلَى أَوْلِي الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُقْتَلَ، فَبَيَّنَتْ أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَدُهُمَا عَلَى بَاطِلٍ، وَهُوَ يَزِيدُ وَحَاشِيَتُهُ وَجَيْشُهُ، وَهُوَ يَقَابِلُ كَفَّارَ قَرِيشٍ فِي هَذِهِ الْمَعَادِلَةِ، وَمِنْهُمْ

(١) الْمَلِكُ: آيَةُ ١١.

(٢) أَبُو حِيَانَ الْأَنْدَلُسِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، تَفْسِيرُ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ: ج ٨، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) الْمُؤْمِنُونَ: آيَةُ ٤١.

(٤) الدَّرَوَيْشُ، مُحَمَّدِيُّ الدِّينِ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ج ٨، ص ٤٣٩.

أبو لهب الذي أكد خسرانه القرآن الكريم، فوقفت أمامهم هذه الثلة المؤمنة التي هي امتداد للرسول الأعظم ﷺ قولاً وفعلاً، فأراقوا دماءهم المقدسة.

وكان هذا الدور من السيِّدة زينب ؓ مكماً لهذه الثورة؛ إذ لا بد لكل قضية عادلة من جانب إعلامي يُساندها ويوضح الأمور.

٣- بُؤْتِرَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ

اقتبست السيِّدة زينب ؓ الفعل (باء) من القرآن الكريم، وهو يصف أفعال اليهود، قال تعالى: ﴿... **بَاءٌ وَيَعْضِبُ عَلَى عَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ**﴾^(١)، فذمَّت السيِّدة زينب ؓ فعلهم، فهو يشبه فعل اليهود الذين فضّلهم الله بكثرة إرسال الرسل، وإغداق النعم؛ فكذبوا بعض الأنبياء، وقتلوا بعضهم، وكفروا بالتوراة، وحرّفوا كلام الله وفق أهوائهم، وعبدوا العجل، فكانت النتيجة أنّهم استحقّوا غضب الله، فكأنّ الذين قتلوا الحسين ؓ كمن أشربوا عبادة العجل في قلوبهم.

ثم اقتبست اللفظ (ضربت) من قوله تعالى: ﴿**ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَشَاءُونَ إِلَّا يَجْبَلِ مِنَ اللَّهِ وَجْبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءٌ وَيَعْضِبُ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾^(٢). وذلك إشارة منها ﷺ إلى تقتيل اليهود لأنبيائهم.

وهكذا اضطلعت السيِّدة زينب ؓ بهذه المهمة العظيمة التي اختارها الله لها؛ لما تتمتع به من مؤهلات، فهي سليمة البيت النبوي، فالسلام على الحوراء زينب بطلا كربلاء، وعلى قلبها الصبور، ولسانها الشكور.

(١) البقرة: آية ٩٠.

(٢) آل عمران: آية ١١٢.

الخاتمة

كان البحث محاولة لبيان الأثر القرآني في خطب السيدة زينب عليها السلام، ومدى تمكّن القرآن الكريم منها، فانطلق به لسانها دون تكلفٍ، وقد أفضت رحلة البحث إلى النتائج الآتية:

١- سارت السيدة زينب عليها السلام على نهج الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام في افتتاح خطبها بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، على الرغم من عظم الفاجعة وهول المصيبة، فلم تتجاوز الطريقة الإسلامية المتبعة في ابتداء الخطب الإسلامية، وهذا يدلّ على رباطة جأشها، وقوة إيمانها وصبرها.

٢- إنّ خطاب السيدة زينب عليها السلام في الكوفة يُعدُّ أوّل تصريح لأهل البيت عليهم السلام بعظم هذا الخطب، وتكمن أهميّة الخطاب في أنّه بيّن تحاذل أهل الكوفة وتقاّعسهم عن نصره الحسين عليه السلام، ويحملهم المسؤولية.

٣- كان القرآن الكريم متمكناً منها عليها السلام، فجاء الاقتباس شديد الامتزاج بكلامها، فلم نجد انفصلاً بين الآية ونصّ الخطبة؛ لأنّ النصّ القرآني جزء من مخزونها الذهني.

٤- اقتباسات السيدة زينب عليها السلام للفظة القرآنية تحمل معها المواقف والسياقات التي جاءت منها في النصّ القرآني، وتلك سمة فنيّة تُضاف إلى طبيعة اقتباساتها، فهي تُضيف مزيداً من المعاني داخل النصّ الجديد الذي حلّت فيه، وتمتّزج معه بعلاقات غاية في التمكّن والانشداد.

٥- نجد في نصوص الخطب الزينية دقّة في اختيار الألفاظ، فلا نجد الغرابة والتعقير، كما تتميّز خطبها عليها السلام بمتانة البناء، والتماسك بين تراكيبها، فضلاً عن البلاغة في أسمى مراتبها؛ فهي تزخر بالفنون البيانية، كالتشبيه، والاستعارة، والكناية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهرير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٢ - الأثر القرآني في نهج البلاغة.. دراسة في الشكل والمضمون، عباس علي حسين الفحام، العتبة العلوية المقدسة، النجف، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- ٣ - الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت ٦٢٠هـ)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ. ش.
- ٤ - إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ٥ - بلاغة الحجاج.. الأصول اليونانية، الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ٦ - البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- ٧ - التناص الشعري.. قراءة أخرى لقضية السرقات، منشأة توزيع المعارف بالاسكندرية، ١٩٩١م.
- ٨ - الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي، دار الشروق، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ٩ - زينب الكبرى عليها السلام من المهدي إلى اللحد، السيّد محمد كاظم القزويني، تحقيق: مصطفى القزويني، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ.

- ١٠ - قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، الجيزة - مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
- ١١ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- ١٢ - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١٣ - مستقبل الخطابة الحسينية وسبل تحديثها، أحمد بن محمد اللويحي، موقع (شبكة الإمامين الحسينين عليهما السلام).

الخطاب التوجيهي في خطبتي السيدة زينب عليها السلام

في الكوفة والشام

أ. م. د. آلاء محمد*

المقدمة

لقد تهيأً للسيدة زينب الحوراء بنت أمير المؤمنين عليها السلام من أسباب الشرف، والرفعة، والعظمة، والشجاعة، والبلاغة، والصبر، والعنفوان، ما جعلها مؤهلة لتقوم بدورها القيادي والإعلامي بعد واقعة الطفّ، فهي سليلة الدوحة المحمدية إلى جانب ما وهبها الله تعالى من الذكاء الفطري، وقوة الحافظة، وشدة الفطنة، ما جعلها تنبغ في حفظ القرآن وتفسيره، وحُفظ ما أثر عن عائلتها المطهرة، فأثر هذا في تكوين شخصية هذه الصابرة الجليلة، فجعلها قوية الحجّة، فصيحة اللسان، حسنة المنطق، بليغة الكلام، عميقة التأثير، فضلاً عن شجاعته وإقدامها؛ لتسطرّ بجميع ذلك للإنسانية أنموذجاً للمرأة التي قهرت الموت بتحملها المصائب، وقهرت الطغاة والجبابة فأخرستهم بمنطقها وحجتها.

كانت واقعة الطفّ تُمثّل أوج مراحل الصراع بين (قيم الخير ومثله)، و(الشرّ وادعاءاته)؛ إذ تعرّضت الأمة الإسلامية في تلك الفترة إلى هجمة شرسة تستهدف قيمها ومثلها، وأصبح الواقع الإسلامي يشهد مواجهة خطيرة مع تيار الضلال والانحراف، كادت أن تنتهي إلى نتائج كارثية، وفي مثل هذه الظروف البالغة

* جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد)/ العراق.

الحساسية كان من الطبيعي أن تحدث المواجهة بين المبدئية والشرعية، ممثلة بالإمام الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه، وبين الردّة والانتهازية، ممثلة بيزيد بن معاوية ومن معه من المرتزقة والسفّاحين، خاصّة وأنّ الإمام الحسين عليه السلام يُعدّ المعنى الأوّل بحماية القيم والمبادئ الإسلامية؛ لأسباب جوهرية عديدة، في مقدّماتها الدور الجهادي المعدّ للقيام به في ضوء مكانته التي تُمثّل امتداداً طبيعياً للنبوة الممثّلة بجده الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، والإمامة الممثّلة بأبيه وأخيه عليه السلام.

فكانت حتمية المواجهة الحسينية تُمثّل امتداداً للأسباب والدواعي التي ساهمت في المواجهة القديمة بين قيم الخير والشرّ، الشجاعة والتخاذل، الوفاء والغدر، الصبر والجزع، الإيمان والكفر، مواجهة حدثت منذ بداية الخليقة، وكانت بين رموز الحقّ الممثّلة بالأنبياء عليهم السلام، ورموز الكفر والضلال، وتستمرّ - بعد ذلك - مع استمرار الحياة. ومع هذا الامتداد بين المواجهة الحاصلة في يوم عاشوراء وبين المواجهات القديمة التي قام بها الأنبياء عليهم السلام ودعاة الحقّ، تتحوّل قيم التضحية والفداء الحسينية شاخصه في ضمير الأجيال، تُستمدّ منها المواقف والمعاني الضرورية للدفاع عن كرامتها ومعتقداتها، وتنهل من ينابيعها دروساً في المقاومة والتضحية؛ من أجل الاستقامة ومواجهة الانحراف.

ويُضاف إلى ما تقدّم أنّ التفاعل والتواصل مع الثورة الحسينية يُجسّد مدى نقاء وطهارة وقوّة الموقف الحسيني الرافض لعناصر الظلم والتهميش والضلال في الموقف اليزيدي، ويبين التوجّه الثابت - على مدى التاريخ - في معارضتها للشرّ؛ كونه القوّة التي تتعارض مع آمالها وتطلّعاتها، وتهدف إلى القضاء على قيمها ومعتقداتها.

الدور الإعلامي للسيدة زينب عليها السلام في واقعة الطفّ

إنّ للمرأة أدواراً عظيمة في المجتمع، وهي أدوار متميّزة جدّاً، ومن ذلك ما قامت به زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام في واقعة الطفّ، وهي أدوار جعلت كثيراً من الناس

يتساءلون عن سبب إخراج الحسين عليه السلام لها في مسيرته إلى كربلاء، وهي في عصمة زوجها عبد الله بن جعفر؟

والجواب عن ذلك: أنه عليه السلام كان يعلم أنّها ستقوم بأدوار لن يقوم بها أحد غيرها، ومن أهمّ تلك الأدوار الدور الإعلامي الذي قامت به عليها السلام بعد معركة الطفّ، والذي لولاه ما عُرف الكثير عن نهضة الحسين عليه السلام، فقد حمل التاريخ صوت زينب عليها السلام معه، الصوت الذي نقلته عليها السلام من ساحة المعركة، ومن بعدها إلى مجلس ابن زياد في الكوفة، ومجلس يزيد في الشام، ومن ثمّ إلى المدينة، فقد قالت مخاطبة أهل الكوفة: «يا أهل الكوفة، يا أهل الخثر والغدر والختل والخذل والمكر، فلا رقأت الدمعة، ولا هدت الزفرة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيّانكم دخلاً بينكم... ألا ساء ما قدّمتم لأنفسكم وساء ما تزرّون ليوم بعثكم، فتعساً تعساً، ونكساً نكساً...»^(١).

هذه هي زينب عليها السلام التي يُعبر عنها أحد الشعراء بقوله:

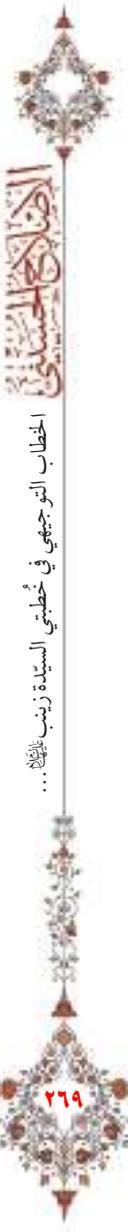
يا ابنة المجد في ذرا آل فهر وابنة الوحي في مدى جبريل
يا نسيجاً به مزاج علي وهدى أحمد وزهو البتول^(٢)

وفعلاً هكذا كانت عليها السلام، فقد كانت لها نيابة خاصّة عن الإمام الحسين عليه السلام، وذلك بحسب قول الشيخ الصدوق رحمته الله^(٣)، وهذا هو السبب الذي أخرجها من بيتها - وهي على ذمة عبد الله بن جعفر - مع ولديها (محمّد) و(عون) اللذين قُتلا في واقعة الطفّ. فقد خرجت السيّدّة زينب عليها السلام وأناط بها الحسين عليه السلام مجموعة من الوظائف، منها قيادة قافلة السبايا بعد استشهاده يوم العاشر من المحرمّ، ومنها أيضاً حفظ

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) آل مرهون، مصطفى، المرأة في الإسلام (من محاضرات الشيخ أحمد الوائلي): ص ٢٨.

(٣) أنظر: المصدر السابق.



المبادئ الإسلامية التي أراد الحسين عليه السلام تحقيقها من خلال أحداث واقعة الطفّ، هذا الحفظ الذي تجلّى بموقفها بعد المعركة في مجلس ابن زياد، ثمّ في مجلس يزيد، فقد مارست عليه السلام دورها الإعلامي على أتمّ وجه، وهو دور بطولي شرحت فيه للناس ما صنع الأمويون، ثمّ مارست ذلك الدور في المدينة، ممّا اضطرّهم لأن يُخرجوها من المدينة وينفوها منها إلى مصر على لسان بعض الروايات، أو إلى الشام على لسان البعض الآخر^(١).

وفي مقام أدائها عليه السلام للوظيفة الإعلامية الملقاة على عاتقها، فقد كان لبلاغتها الدور الأكبر في استثمار قواميس اللغة التي تولّدت منها لغة خطبها، والتي تراوحت بين السهولة والبساطة أحياناً، وبين القوّة والإيجاء أحياناً أخرى، وذلك بحسب الظروف والسياق الذي أنتجت فيه ومنه، فاللغة كانت وسيلة فعّالة في التأثير والإقناع، وفي نجاح عملية التواصل.

هذه المفاهيم والمعطيات مجتمعة زادت من إصرارنا على قراءة خطب السيّدة زينب عليها السلام، محاولين البحث عن مدى قدرتها على تحقيق عملية التواصل بين الأوساط المتلقّية؛ وقد ارتأينا - في المقام - تناول خطبتيها في الكوفة والشام وتحليلها بطريقة مغايرة، عبر التعمّق في دلالاتهما، ومقاصدهما، وحقائق الوظائف التي تُؤدّيها اللغة فيهما، والأهداف التواصلية المترتبة عليهما؛ وذلك من خلال التركيز على بُنية اللغة، والوظائف الأساسية التي تُؤدّيها، فالخطاب لا يتجسّد إلا عبر اللغة؛ كونها العصب في إحداث التواصل بين المبدع والمتلقّي.

ونهدف من وراء الكشف عن وظائف اللغة في خطبتيها عليها السلام، وتحليل الوسائل والأدوات اللغوية التي تجسّدت فيهما، إلى تحقيق التأثير والإقناع من خلال استثمار بلاغتها عليها السلام في نسج خطب تحمل قابلية التوجيه والتأثير.

(١) أنظر: آل سيف، علي بن محمّد (وآخرون)، وفيات الأئمّة: ص ٤٦٧-٤٦٨.

وهناك عدّة تساؤلات طرحت نفسها أثناء قراءتنا في الخطبتين المشار إليهما، وهي:

- كيف أسهمت اللغة والدلالة في تحقيق فعل التواصل؟

- ما علاقة الوظائف اللغوية والاستعمال؟

- ما هي الكفاءات التي استندت إليها في تحقيق مقاصدها؟

- ما مدى تفاعل المتلقي مع هذه المقاصد؟

- هل للسياق دور في تحقيق فعل التواصل؟

- ما هي الوسائل والأدوات الإجرائية التي توخّتها السيّدة زينب عليها السلام في تحقيق

هدف الإقناع والتأثير؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات لا بدّ لنا من مناقشة موضوع الخطاب؛ وذلك لما فيه من تجسيد واضح للغة ووظائفها، فإننا نتعامل مع مجتمع يُركّز أساساً على اللغة في الخطاب مهما كان جنسه. أضف إلى ذلك أنّه من المفترض علينا مراعاة المقاصد الموجودة في الخطاب.

مفهوم الخطاب

قال ابن منظور: «الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبته بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان... [قال] الليث: الخطبة مصدر الخطيب... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة»^(١).

وذكر إدريس حمادي بأنّ الخطاب: «يدلّ على توجيه الكلام لمن يفهم. نُقل من الدلالة على الحدث المجرد عن الزمن إلى الدلالة على الاسمية، فأصبح في عرف الأصوليين يدلّ على ما خوطب به وهو الكلام»^(٢).

وبالتالي فإنّ الخطاب يوجّه لمن يملك القدرة على فهم الكلام الموجه إليه، وقد

(١) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ١، ص ٣٦١.

(٢) إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استشارته: ص ٢١.

قيل بأن «الخطاب والكلام، والتكلم، والتخاطب، والنطق، واحد في حقيقة اللغة، به يصير الحي متكلماً»^(١). وهو كذلك الكلام الذي يتكلم به ويقوم على مبدأ المشاركة في كونه يقتضي وجود طرفين: (مخاطب)، و(مخاطب)، ومثلما يقوم على مبدأ المشاركة، يقوم أيضاً على مبدأ القصد، وهو أنّ المتكلم قاصد إفهام المستمع، كما ينبغي على الأخير أن يكون قادراً على فهم قصد المتكلم، وقد حدّد الأمدي ذلك بوضوح حين عرّف الخطاب بأنه: «اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»^(٢)؛ إذ يُحدّد اللفظ أساس الاستعمال اللغوي لتحقيق قصد الفهم، ولا يعتمد على الحركات والإشارات؛ كونها علامات غير لغوية، لا تحقق قصدية الفهم من وراء الخطاب، وهذا ما أكّده قوله تعالى عند حديثه عن نبيّ الله داوود عليه السلام: ﴿وَسَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنزَلْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(٣).

وفي مقام حديثه عن تفسير هذه الآية يعدّ الفخر الرازي فصل الخطاب من الصفات التي أعطها الله تعالى لداوود، معتبراً إيّاها من علامات حصول الإدراك والشعور الذي ميّز الإنسان عن سائر الكائنات، على الرغم من اختلاف الناس في مراتب التعبير عمّا يجول في ضمائرهم، فمنهم من يكون قادراً على ضبط المعنى والتعبير عنه، والآخر يتعذّر عليه التوصل والإفهام. وعليه؛ فكلّ من كانت هذه القدرة في حقه أكمل كانت الآثار النطقية في حقه أعظم، وكلّ من كانت تلك القدرة في حقه أقلّ كانت تلك الآثار أضعف؛ لأنّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عمّا يخطر في البال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وينفصل كلّ مقام عن الآخر^(٤).

(١) المصدر السابق، نقلاً عن الجويني، عبد الملك، الكافية في الجدل: ص ٣٢.

(٢) الأمدي، علي بن أبي علي، الإحكام في أصول الأحكام: ج ١، ص ٣٦.

(٣) ص: آية ٢٠.

(٤) أنظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ٢٦، ص ١٨٧-١٨٨.

وقد تنوّعت وتعدّدت مفاهيم الخطاب بحسب تنوّع واختلاف الدراسات اللغوية والتواصلية الحديثة، فأصبح للخطاب مفهومان، الأول: إنّه ذلك الملفوظ الموجّه إلى الغير، لإفهامه قصداً معيّناً. والآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة. وبناءً على هذا التنوّع؛ فقد تناول الباحثون مفهوم الخطاب كلاً حسب نظريته وتوجّهه، فمنهم من انطلق من ثنائية (اللغة والكلام) عند (سوسير)، للتفريق بين اللغة بوصفها النظام السابق على الخطاب، وأتمها موجودة بالفعل، وبالتالي فهناك فرق بين العلاقة اللسانية بين مستوى اللغة ومستوى الخطاب، إذ تكون هذه العلاقة - في اللغة - دالاً إذا مدلول واحد، في حين تتعدّد مدلولاتها على مستوى الخطاب؛ لأنّه ميدان استعمالها وتداولها.

أمّا الخطاب بوصفه ما يتجاوز الجملة فهو المفهوم الغالب في الدراسات اللغوية الحديثة، إذ بيّنت (ديورا شيفرن) أنّ هذا الاختلاف في تعريف الخطاب ناجم عن تعدّد النظرة المنهجية في الدراسات اللغوية لمفهوم الخطاب بوصفه واحداً من ثلاثة: (أكبر من الجملة)، أو (استعمال أيّ وحدة لغوية)، أو (بوصفه الملفوظ)^(١).

وفي نهاية حديثنا عن مفهوم الخطاب نقول: بأنّه عبارة عن كلّ منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً خاصاً مع تحقيق أهداف معيّنة. هذا، وتُسهم عدّة عوامل في بلورة عملية توصيل الخطاب، هي: المرسل، والمرسل إليه، والعناصر المشتركة المتمثلة بالعلاقة بين طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة، والظروف الاجتماعية العامة بما تفرضه من قيود تُؤثّر على عملية التوصيل^(٢)، بحيث يقوم أيّ خطاب على هذه العناصر الأساسية، وما يحيلها إلى عناصر سياقية تجعل منه ممارسة تجري تداولياً، ممّا يحول دون ثبات سماتها، فالمرسل متجدّد، والمرسل إليه متجدّد كذلك.

(١) أنظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب.. مقارنة لغوية تداولية: ص ٣٦-٣٧.

(٢) أنظر: يونسبي، فضيلة، استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني.. دراسة تداولية: ص ٤٣.

الخطاب التوجيهي

يهدف المرسل إلى تبليغ قصده من وراء الخطاب عبر هذه الاستراتيجية، وأن يفرض قيماً على المرسل إليه وإن كان قيماً بسيطاً، وأن يمارس فضولاً خطابياً عليه، وتوجيهه لمصلحته بنفعه من جهة، وإبعاد الضرر عنه من جهة أخرى، حتى لو أدى هذا إلى التدخل والضغط على المرسل إليه، والذي يكون هنا على صنفين:

الأول: المتخيل، وهنا يكون المرسل على معرفة سابقة بالمرسل إليه، ويتّصف خطابه بالعمومية، والديمومة، والمناسبة لكلّ زمان.

والثاني: هو الحاضر عند التلفّظ بالخطاب، ويكون التوجيه مقتصرأً عليه لضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب^(١).

ويُعدّ التوجيه في الخطاب أكثر من مجرد فعل لغوي حسب تصنيف (جاكسون)؛ إذ يُسمّى وظيفة التوجيه في اللغة بالإيعازية، أو الندائية^(٢).

ولكي تُحقّق هذه الاستراتيجية فعلها التوجيهي في النظام اللغوي لا بدّ أن تتوفر عدّة مقوّمات لدعم عملية التوجيه، ومنها (سلطة المرسل)؛ ولكون السيّد زينب عليها السلام كانت تحمل تلك الصفات التي جعلتها مؤهّلة للتوجيه - فهي بنت السيّد فاطمة عليها السلام، وأمير البلغاء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - فقد قامت بذلك الدور الكبير لحماية الإرث الفكري والعقائدي والديني، الإرث الذي لا زالت تنهل منه البشرية، وتُحقّق به المنفعة؛ إذ إنّ العلاقة السلطوية بين المرسل والمرسل إليه مؤثّر مهمّ لنجاح فعل التوجيه.

(١) أنظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب.. مقارنة لغوية تداولية: ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) أنظر: رومان جاكسون، وميشال زكريا، التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الألسنية.. علم اللغة الحديث (قراءة تمهيدية): ص ٥٢.

وكان لهذه الاستراتيجية التوجيهية امتداد في البلاغة العربية؛ إذ يذهب البلاغيون إلى أن الكلام يُقسَّم إلى طلب، وغير طلب، ويشمل الطلب كل من: الاستفهام، والتمني، والنداء، وهي من الأفعال التوجيهية، ومن هؤلاء البلاغيين السكاكي الذي يُعرِّف الطلب بشكل كلي بقوله: «الطلب إذا تأملت نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول... ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول»^(١).

الوسائل اللغوية في الخطاب التوجيهي

وُفِّرت اللغة مجموعة من الوسائل اللغوية التي ينبغي حصولها في مقام توجيه الخطاب، وبحكم بلاغة السيدة زينب عليها السلام النابعة أساساً من بلاغة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وقدرتها اللغوية، وبراعتها الأدائية في توجيه الخطاب، فقد تمكّنت عليها السلام من استشار وسائل اللغة، وإمكاناتها لتوجيه المجتمع، وكشف المخطئ الزيدي المنحرف، وإماطة اللثام عن قضية الثورة الحسينية الهادفة إلى إصلاح المجتمع، وبناء الإنسان وفق قيم الإسلام الصحيحة، ومن أهم ما استثمرته السيدة زينب عليها السلام من إمكانات اللغة ما يلي:

١- الأمر

يرى السكاكي أنّ الأمر هو: طلب حصول ثبوت متصوّر في الخارج^(٢)، وعرفه بعض الأصوليين بأنّ «حقيقة الأمر: الدعاء إلى الفعل»^(٣). والسيدة زينب عليها السلام أرادت توجيه القوم بالوعظ، والإرشاد، والنصيحة والتبصير، وإلقاء الحجّة عليهم، هذا إذا ما علمنا أنّ خروج الأمر في الخطاب إلى توجيه لا

(١) السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص ٣٠٢.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٠٣.

(٣) صحراوي، مسعود، التداولية عند العرب: ص ١٠٨، نقلاً عن الجويني، عبد الملك، الكافية في

الجدل: ص ٣٣.

يتحقق بمجرد التلفظ به، وإنما يجب أن يقترن بسلطة المرسل، ولا يقصد بالسلطة هنا بمفهومها الضيق، وإنما تتسع لتشمل كل ما يملكه المرسل من علم ومعرفة، مما يزيد من رتبة المرسل؛ ولهذا عدّ العلماء أنّ وجوب تحقّق الأمر مرتبط بالصيغة، والسلطة، وهذا ما يؤكّده السكاكي بقوله: «ولا شبهة في أنّ طلب المتصوّر على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه»^(١).

وقد تجسّد التوجيه بالأمر في خطبتها حين خاطبت يزيد، وهو منحنيّاً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة، وناكثاً لها بمخصرته، حيث قالت عليها السلام: «قد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك، زعمت أنّك تناديهم، فلتردّنّ وشيكاً موردهم، ولتودنّ أنّك سُلتت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت، اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا»^(٢)، فجملة (سُلتت وبُكمت ولم تكن قلت...) كانت سبباً في تحقيق رجاء حدوث الفعل (تودنّ).

وبما أنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت تملك مقوّمات السلطة الممثّلة ب: قوّة الحجّة، وبلاغة الأسلوب، ومتانة العبارة، وسعة المعرفة، فكان لخطابها الأثر في التوجيه والإرشاد.

٢- الاستفهام

للاستفهام أدوات، منها: «الهمزة، وأمّ، وهل، وما، ومن، وأي... وهذه الكلمات ثلاثة أنواع: أحدها يختصّ [ب] طلب حصول التصوّر، وثانيها يختصّ [ب] طلب حصول التصديق، وثالثها لا يختصّ»^(٣)؛ والاستفهام في التوجيه يوظّفه المرسل

(١) السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص ٣١٨.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٤.

(٣) السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم: ص ٣٠٨.

للتلميح إلى قصده، ويستدعي التلفظ بإجابة صريحة، وقد ضجّت خطبة السيِّدة زينب عليها السلام بالكثير من علامات الاستفهام التي كشفت عن قدرتها عليها السلام على خلق سياق تتربط فيه هذه العناصر المعجمية، معتمدة على حدسها اللغوي، وكذلك على مخزونها اللغوي الذي ورثته من بلاغة آل البيت عليهم السلام؛ إذ تقول منددة بيزيد: «أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وأطراف السماء، فأصبحنا نُساق كما يُساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة؟! [إلى أن تقول:] أمِنَ العدل يابن الطلقاء تحريك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وأبديت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الأعداء من بلد إلى بلد... ليس معهنَّ من رجالهنَّ ولي، ولا من حماهنَّ حمي»^(١).

وتقول عليها السلام أيضاً: «أتى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيِّد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقرّ سلمكم...؟! فتعساً تعساً، ونكساً نكساً، لقد خاب السعي، وتبَّت الأيدي...»^(٢)، ممَّا زاد في اشتعال دلالة التحدي وكشف حجم المؤامرة التي نُسجت.

وتُبرز زينب الكبرى عليها السلام قطرة من بحر سياسة أبيها، سياسة التقوى، لتمحي في خطبتها كلَّ الدعايات الأموية التي استمرَّت خمسين سنة، وهي وحيدة أسيرة، ولتهدم بيتاً بناه بنو أمية خلال خمسين سنة، بجيوشهم، وجواسيسهم، وحروبهم، وحرّاسهم، ودهائهم، وهم في غاية حرّيتهم. وبهذا يتبيّن أنّ العاقبة للتقوى، وأنّه كذلك يقذف الله بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

فزينب عليها السلام وهي في مجلس يزيد تحرق الحُجُب التي نسجها الباطل حول الحقّ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) المصدر السابق: ص ١٦٣.

حتى اختفى الحق وبرز الباطل، وتعرّف بأهل البيت عليهم السلام بأسلوب نقب الباطل، هذا الأسلوب الذي تعلّمته في سياق الزمان من أبيها علي بن أبي طالب عليه السلام حين قال: «فلا تُقَبِّنَ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه»^(١)، وهي بنقبتها لشخصية يزيد وبني أمية، وشرحها لأحوالهم السابقة مع الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، تخرج بحق أهل البيت عليهم السلام، فليس يزيد إلا ابناً لمن لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، فتلك نفوس طاغية وأجسام محشوة بسخط الله ولعنة الرسول، ويزيد إنما هو فرخ في عش شيطان بني أمية.

وهكذا تأتي السيّدة زينب عليها السلام ببيانهم من القواعد، وتقلع شجرة بني أمية بكل جذورها إن كان لها جذور، وتقيم موازنة بين (حزب الله النجباء، وحزب الشيطان الطلقاء)، (وأسباط الأنبياء وسليل الأوصياء، ونسل العهرة الفجرة)، (والشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة الملعونة)^(٢).

وقد قالت في يزيد: «قد عَشَّش فيه الشيطان وفرّخ، ومن هناك مثلك درج ونهض»^(٣). كما أنّها بيّنت أثناء خطبتها في الشام بأنّ الحسين عليه السلام الذي قتله يزيد ويفخر الآن بضربه على ثنياه، ويُفصح كفره بلسانه غير متحوّب ولا مستعظم، هو سيّد شباب أهل الجنّة، وابن يعسوب دين العرب، وشمس آل عبد المطلب^(٤)، وآل البيت هم حملة الوحي، ونور الله الذي لا يطفى، ويزيد هو الساعي لإطفاء نور الله ومحو وحيه. فترفع زينب عليها السلام بهذا الكلام الحجاب عن حزب الشيطان وأتباع بني أمية من الطواغيت، ثمّ تُنتهي خطبتها بكلمات تمتلئ إيماناً و يقيناً بالمستقبل الذي يضمن توعية

(١) نهج البلاغة (خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام): ج ١، ص ٨١.

(٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٥٦-١٦٠.

(٣) المصدر السابق: ص ١٥٩.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ١٥٨-١٥٩.

المسلمين في ظل الآيات التي تكشف حقيقة الإسلام وأهل البيت عليهم السلام، فتقول: «وإلى الله المشتكى والمعول، وإليه الملجأ والمؤمل»^(١). فصيغتي الاستفهام والاستفهام الإنكاري اللتين وظفتها في خطبتيها قد شدتا أذهان المخاطبين، وألزمتهم بالتفكير، والبحث عن إجابات محددة، رغم معرفتهم المسبقة بهذه الإجابات. كما أتمها عليها السلام انتقلت إلى الحوار النابع من تراصف أسلوب الاستفهام؛ لتلقي عليهم الحجة وتعظيم وتوجيههم، وهم لا يملكون جواباً.

٣- التوجيه بذكر العواقب

وهذه الآلية - حسب ما يرى الشهري - ليست حكرًا على ميدان معين أو مرسل خاص، بل هي ملك كل من يرى أتمها تخدم سياق خطابه^(٢). ومن هنا؛ نجد أن السيدة زينب عليها السلام قد استثمرتها في مقام توجيه القوم، وذلك كما في قولها: «يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقات العبرة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة؟! ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم، أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون؟ إي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً...»^(٣).

كما استثمرت السيدة زينب عليها السلام كذلك بعض الآليات الخاصة للتلميح عن قصد، متكئة على قدرتها البلاغية وكفاءتها اللغوية في بناء خطاب توجيهي، ومنها التشبيه الذي وظفته عليها السلام للإشارة إلى مقاصد متضمنة، واستعانت به كثيراً، وملكت زمامه؛ ليدل على قدرتها البيانية. فإن بناء التشبيه بما يلائم السياق ويخدم الفكرة، يعد من المهارات التي تُعين المبدع في إيصال مقاصده.

(١) المصدر السابق: ص ١٦٠.

(٢) أنظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب.. مقارنة لغوية تداولية: ص ٣٦٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٠٩.

فقد استطاعت السيِّدة زينب عليها السلام بهذه الكلمات أن تُسجِّل في التاريخ الحقيقة التي كان يزيد وأتباعه يريدون إخفاءها عن كثير ممَّن لا يعرفون شيئاً عن ثورة الحسين عليه السلام لو لم تكن زينب عليها السلام من ورائها، فقد أحييت بكلماتها المتعلقة بهذه الثورة العظيمة آلاف القلوب، وقامت بتخليد اسم الحسين عليه السلام وضرب كلَّ من سار على نهج يزيد.

الخاتمة

يا زينب بنت علي وفاطمة عليهما السلام سيري في القرون، وأطلي النظر علينا وعلى أُمَّة جدِّك، فو الله، لنحن في عصرنا أشدَّ حاجة إليك، يا زينب.. يا بطة كربلاء، ويا سفيرة الحسين عليه السلام، ويا رسولة دم سبط الرسول صلى الله عليه وآله، ويا أخت الحسين عليه السلام، ويا رمز الاستقامة والصبر والثبات، علِّمينا، فإنَّا نحتاج إلى أنفاس فاطمية، ونفحات زينية؛ لإحياء رهائن القبور في قلوبنا، نحتاج إلى نفوس تفوق الشمس في تطلُّعاتها، وتركب ظهر الثريا بعلمها وإيمانها.

يطمئن قلب زينب عليها السلام إلى مستقبل مشرق يكون بعد انتهاء كيد الكائدين، وجولة الشياطين، وقيام دولة الله، وهذا حين ينادي منادٍ ربَّاني: «ألا لعنَ الظالم العادي»^(١). وبهذا يتحقَّق اللعن الواقعي للظالمين، وتذوب قوى الشياطين، ويموت الباطل، ويبلغ العالم مبلغ شبابه بعد مُضي طفولته، ويحكم العقل والعلم على النفوس البشرية بعد حكومة شيطنة الطفولة، وجهالة الصغر عليهم، وبذلك يجمع الله شمل المؤمنين، ويلمَّ شعثهم، وينتقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقِّهم من أعدائهم.

هذا، وقد أنهت السيِّدة خُطبتها في مجلس يزيد بقولها: «فالحمد لله الذي ختم لأؤلَّنا بالسعادة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنَّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»^(٢).

(١) المصدر السابق: ص ١٦٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٥.

فكان ترسيخاً واضحاً لربحهم الدنيا والآخرة، في مقابل خسارة يزيد لهما. وأخيراً، فلتكن خُطبتها ﷺ خير موجّه ومندّد بحكومة الطيش والجهالة، وترسيخاً واضحاً لهمجية الخطّ اليزيدي في كلّ زمان ومكان، فزينب ﷺ راسخة في قلب كلّ مؤمن ومؤمنة، تمنحه الصبر والتوجيه والثبات على الشدائد، والقدرة على مواجهة الصعاب، والتحلّي بالمسؤولية؛ لبناء مجتمع قويّ قادر على الوقوف بوجه الفساد والجور والتهميش، مجتمع قواعده متينة، يستطيع إنشاء أجيال (حسينيين وزينبيات) يُسهمون في ترسيخ قواعد النهج النبوي في بناء مجتمع إنساني ذي قواعد متينة وركائز قويّة.

هذا، والسلام عليك يا سفيرة الحقّ والإنسانية ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أبي علي الآمدي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- ٢ - استراتيجيات الخطاب.. مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- ٣ - استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني.. دراسة تداولية، فضيلة يونس، رسالة ماجستير من جامعة مولود معمري تيزي، وزو - الجزائر.
- ٤ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ)، تحقيق: جمع من المحققين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٥ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٢٢٤-٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- ٦ - التداولية عند العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،

٢٠٠٥م.

- ٧- التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الألسنية.. علم اللغة الحديث قراءة تمهيدية،
رومان جاكسون، ميشال زكريّا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان،
الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
- ٨- الخطاب الشرعي وطرق استثماره، إدريس حمادي، المركز الثقافي العربي،
بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
- ٩- لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١)، دار صادر، بيروت - لبنان،
الطبعة الأولى، ١٩٥٥ م.
- ١٠- المرأة في الإسلام (من محاضرات الشيخ أحمد الوائلي)، اعداد: مصطفى مرهون،
منشورات شركة دار المصطفى.
- ١١- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي المعروف بالفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة
الثالثة.
- ١٢- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكّاكي، ضبطه وكتبه هوامشه: نعيم زرزور،
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م.
- ١٣- مناقب آل أبي طالب، محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)،
تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف،
١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦ م.
- ١٤- نهج البلاغة (خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام)، جمعه: الشريف الرضي، تحقيق وشرح:
الشيخ محمّد عبده، دار الذخائر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ١٥- وفيات الأئمّة، علي بن محمّد آل سيف (وآخرون)، دار البلاغة للطباعة والنشر
والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

صورة نساء الطفّ في أشعار الشيخ أحمد الوائلي

أ. م. د. فاطمة أكبري زاده*

المقدمة

احتوت نهضة الإمام الحسين عليه السلام القضايا الإنسانية التي تصبّ في مصلحة الناس، وقد احتلّت مكانة مرموقة في التاريخ لما فيها من فكرة إنسانية شاملة، ولهجت بها الألسنة العلمية، والأدبية، والدينية، والسياسية، والاجتماعية.

كما أنّها لا تنحصر في مشاهد كربلاء، وما سُفك فيها من دماء أهل البيت عليهم السلام، بل لها امتداد عبر ما أنتجته نساء الطفّ، ولا سيّما السيّدة زينب عليها السلام، فلا بدّ أن يُعالج دورهنّ معالجة عميقة. ومن الذين اهتمّوا بدراسة هذا الجانب من القضية الحسينية، الأديب الشاعر، والخطيب الموسوعي العملاق، أمير الخطباء العراقيين الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمته الله، فله قصائد رائعة في هذا الجانب من حادثة الطفّ.

إنّ الشيخ الوائلي رحمته الله قد رسم لنا شجاعة نساء الطفّ، وما قُمنَ به من دور في إكمال رسالة الحسين عليه السلام بلغة منظومة، من خلال خطبه ومحاضراته في المجالس الحسينية؛ إذ إنّ للمرأة - حسب رؤيته رحمته الله - دوراً كبيراً في واقعة كربلاء، لن يقوم به أحد غيرها^(١).

* جامعة الزهراء عليها السلام / طهران / إيران.

(١) أنظر: الوائلي، أحمد، محاضرات الوائلي: ج ١، ص ١٢٦.

والحسين عليه السلام هو صوت الإسلام في الحياة، وكلّ موقف من مواقفه يوم الطف لا بدّ أن يُحلّل تحليلاً دقيقاً، فهو صاحب رسالة أبدية خالدة تبقى طوال الدهر:

ويموت الرسول جسماً ولكن في الرسالات لن يموت الرسولُ
يا أبا الطف ساحة الطف تبقى وعليها مشاهد لا تزولُ^(١)

ولا بدّ أن تكون هناك أسباب لاصطحابه عليه السلام بنات الرسالة، ومن هذه الأسباب أن يقمنَ بدورهنّ المتميّز في النهضة الحسينية^(٢).

ويسمّي الشيخ الوائلي رحمته الله حركة السيّدة زينب عليها السلام في حادثة الطف: «الشرط الثاني من النهضة، (شرط الخطبة والإعلام والموقف)»^(٣)، وهو يدلّ على أهمية مكانة المرأة ودورها في حادثة الطف؛ لأنّه رحمته الله يعتقد أنّ للنساء دوراً هاماً في الساحة الدينية والاجتماعية.

خلفية البحث

عالج الباحثون وجوهاً مختلفة من آثار الشيخ الدكتور الوائلي رحمته الله؛ لما حظي به من مكانة مرموقة من الناحية الفكرية والأدبية، ومن ذلك مقال بعنوان: (تراسل الحواس في شعر الشيخ أحمد الوائلي)، ومقال آخر بعنوان: (التقابل الدلالي في شعر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي)، ومقال باللغة الفارسية بعنوان: (بررسی تحلیلی توصیفی سیای امام حسین عليه السلام در شعر دینی أحمد وائلی)، أي: (دراسة تحليلية توصيفية لملاح الإمام الحسين عليه السلام في الشعر الديني لأحمد الوائلي)، ومقال باللغة الفارسية أيضاً بعنوان: (در آمدی توصیفی تحلیلی بر شعر دینی أحمد وائلی)، أي: (مدخل توصيفي تحليلي إلى الشعر الديني لأحمد الوائلي).

(١) المصدر السابق: ج ١٢، ص ٤٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٨، ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) المصدر السابق: ج ٥، ص ٢٢٩.

والمقال الذي بين أيدينا يدرس جانباً من أشعار الشيخ الوائلي من الناحية الفكرية والأسلوبية، وهو تصوير نساء الطف في أشعاره عليه السلام، مما لم يتناوله الباحثون بصورة معمّقة.

ترجمة الشيخ الوائلي وحياته الأدبية

الشيخ أحمد بن الشيخ حسون بن الشيخ سعيد بن الشيخ حمود الليلي الوائلي النجفي، من مواليد النجف الأشرف (١٣٤٧هـ)، من الأسرة الوائلية العريقة، التي برز منها الكثير من العلماء والأدباء.

نشأ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي عليه السلام في عائلة كريمة، عالمة مثقفة، وترعرع في عتبات العلم والمعرفة، وانطلق في عالم العلم والأدب، وواصل العلم بشكليه الأكاديمي الرسمي والحوزوي، ونال شهادة البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية الفقه، وأكمل الماجستير في نفس الاختصاص في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة بغداد، ثم غادر إلى مصر، ودرس في جامعة القاهرة، ونال درجة الدكتوراه سنة (١٩٧٨م)، وخلال وجوده في القاهرة لإعداد أطروحة الدكتوراه درس الاقتصاد في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية، فحظي باهتمام الفئات المثقفة من العلماء والأدباء؛ لسعة ثقافته، وخُلُقِه السامي، واجتماعياته، ومكانته المرموقة، فهو شخصية متكاملة فقيهاً وشاعراً وخطيباً.

اهتمّ الشيخ الوائلي بخدمة أهل البيت عليهم السلام، وخدمة مجتمعه، وقام بترسيم معالم النهضة الحسينية، فمزج بين العاطفة والشعور، وبين المعرفة والعلم؛ للتعريف بحقيقة ومنهج أهل البيت عليهم السلام، كما اهتمّ بتزويد المنبر الحسيني بالعلم والمعرفة، فواصل التحصيل في موضوع الخطابة الحسينية الذي يحتاج إلى تحصيل موسوعي؛ نظراً إلى حاجة المنبر إلى مجموعة كبيرة من المواد العلمية، وحقّق نقلة في المنبر الحسيني،

فحوّله من مجرد محرّك عاطفي يعتمد على إثارة الشجون والحزن لمأساة الطف، إلى مرحلة حافلة بالسرد التاريخي، وربط الحوادث بعظات وعبر، وشيء من العقائد والأحكام، ليقدمها بمفردات النصوص الأدبية بقسميها الشعر والنثر، وليضعها في إطارٍ أدبيٍّ متميّز.

شعر الوائلي

«إلى جانب ما كان للوائلي من أثر في الخطابة الحسينية، فقد عالج قرص الشعر على طراز وأسلوب شعراء النجف الأقوياء؛ لذا اشتهرت أشعاره بين طبقات الشعب... فالنجف مدينة شاعرة، والشعر لدى أبنائها سهلٌ يسير، والوائلي أحد هؤلاء الذين نشأوا في بيئتها الشعرية الخصبة، وتأثروا بمحيطها الشعري العام، وتربّوا في ظلّ نهضتها العلمية والأدبية المتّزنة»^(١).

وللوائلي دواوين صغيرة، مطبوعة تحت عنوان: الديوان الأوّل والديوان الثاني... وقد جُمعت بعض قصائده - التي تنوّعت مضامينها - في ديوانه المسمّى: (ديوان الوائلي)، والتي كانت من غرر أشعاره في: المدح، والرثاء، والسياسة، والشعر الإخواني.

وإلى جانب العاطفة الشخصية في الإخوانيات والأشعار الوجدانية، وما أنشده تعبيراً عن عاطفته الحادّة المليئة بالحنين تجاه أطفاله وزوجته وأستاذه، تناول في أشعاره جملة من القضايا الهامّة، كالقضايا السياسية، والاجتماعية، والدينية، ودعا فيها إلى الوحدة العربية، وحفظ العروبة والوطن؛ ليحمل إلى أمّته رسالة الوطنية والحرية والإصلاح، فقد كان ﷺ يتحلّى بالأفق الواسع والوعي الكبير في رؤاه.

وله قصائد في أهل البيت ﷺ تسمو بالمعاني الرفيعة والمؤثرة، يبلغ بها رسالة أهل البيت ﷺ، ويزيل بها الستار عن زيف التيارات السياسية والفكرية التي أريد لها أن

(١) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ٧.

تستوعب الأمة.

يتميّز شعر الوائلي بفخامة الألفاظ، وبريق الكلمات، وإشراقه الديباجة، فهو يعتني كثيراً بأناقة قصائده. وهو شاعر ذو لسانين، فصيح ودارج، وقد أجاد وأبدع في كليهما.

اهتمّ بالأدب لما يرى فيه من غاية تربوية إصلاحية، ولا سيّما في القضية الحسينية، وكان يعتقد أن الأئمة عليهم السلام اهتموا بساحة الأدب، وترغيب الشعراء في إنشاد الشعر في قضية الطف؛ دعماً للحق، وتبييناً لأسرار النهضة، وفضحاً للظلم؛ لأنّ «الشعر كلمات مكهربة، فيها نوع من الحرارة لا تُوجد في النثر»^(١)، كما أنّه «كان ذا دورٍ فاعل في الميدان، ولم يكن الهدف رغبة مؤقتة، وإنما كان لإشعال جذوة الحق بالنفوس»^(٢). إذاً؛ فالشعر ديوان العرب، وهو قادر على مواجهة محاولات كبت نهضة الحسين عليه السلام^(٣).

«فالوائلي من أتباع المدرسة التقليدية في الشعر النجفي، بل من أنصارها والمدافعين عنها، لهذا فهو يستهجن الشعر الحرّ، ويعتبره بدعة مؤداها عجز وقصور أصحابه عن النهوض بمستوى لأنفسهم يُواكبون به الأدب الرفيع الذي تتطلبه الشاعرية الأصيلة»^(٤). وتسيطر عاطفة الحزن على أشعار الوائلي التي تختصّ بالنهضة الحسينية، وتصوير المصائب التي نزلت على أهل البيت عليهم السلام، من الدمار والأسر والضرب... وهو يصف آلامهم ويحزن عليهم، فالوجد واللوعة تظهر بوضوح في مثل قوله:

وكم أحزن الزهراء حشد ثواكلٍ ودورٌ خلت من أهلها وربوع^(٥)

(١) الوائلي، أحمد، محاضرات الوائلي: ج ٤، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩٥.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ج ٥، ص ٣١.

(٤) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ٣٧.

(٥) المصدر السابق: ص ١٢٥.

يا لوجد الزهراء وهي تراهم أَلْحَفُوا الشَّمْسَ وَالْفَرَّاشُ الصَّعِيدُ^(١)

يا لوجد النبي لو مرّ فيها ورآها والشمل منها بديد^(٢)

يُوصِلُ الْوَائِلِيَّ ﷺ اِمْتِدَادَ هَذَا الْوَجْدِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالزَّهْرَاءِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ لِيَعْمَقَ دَاهِيَةَ
الْإِسْلَامِ بِمَعَامَلَةِ النَّاسِ الْقَاسِيَةِ لِأَوْلَادِ النَّبِيِّ ﷺ.

وامزجيني بأهةٍ نفتتها زينب يوم قاست الأرزاء
وبآهات نسوةٍ منذ يوم الـ طفّ لآن ألهبت كربلاء
خبريه بأنني لم أعد أقوى على حمل ذكره لوعة وشجاء^(٣)

لم يقدر الشاعر على احتمال هذه اللوعات المحرقة للقلوب، بما لها من وقع عظيم
يهتزّ له العالم، وبها لهذه الحادثة من عمق وفكرة، فأثرها الكبير يُجلّد ذكرى الطف
ويجعلها حادثة حيّة.

ويُضفي الشاعر على العاطفة الحزينة الروح الحماسية؛ ليؤكد حقيقة الطف
بجانب الأحاسيس المؤلمة، فللشعر الحسيني وظائف متعدّدة، منها: التعريف بأهل
البيت ﷺ وجهادهم دعماً للحقّ، وعرض جانب الظلم، وأسرار النهضة، وأنها
ملحمة خالدة سُجّلت على صفحات التاريخ بالدماء والمواقف الحادّة، وأصبحت
ملحمة خالدة بما سطرّت يد البطولة والمقاومة:

ويا سفر ملحمة الخالدين بغير البطولة لم يكتب^(٤)

(١) المصدر السابق: ص ١٣٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٦. (بديد)، أي: متفرّق.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٠.

(٤) المصدر السابق: ص ١٠٣.

والشاعر يستخدم أسلوب السرد لكي يروي الحوادث، ويثير الأشفجان، ويسرد القضايا على لسان الشخصية، مثلما يقول عن السيدة رقية عليها السلام:

تسأل الأمهات أين أبوها؟! كيف أغضى وهو الشفيق الغيورُ
وألحّت تريده ذات يومٍ فهو في قعر ذهنها محفورٌ^(١)

إذا؛ رسم عليها السلام - من خلال أشعاره - ملامح البطولات في واقعة الطف، وجسد صور جهاد النساء فيها، وذلك بأسلوب حوارى تمثيلي.

ملامح صورة نساء الطف في أشعار الوائلي

المكانة المرموقة

تخطى نساء الطف - ولا سيما السيدة زينب عليها السلام - بمكانة شاحخة في أشعار الوائلي، فقد خاطب السيدة زينب عليها السلام بأسماء مختلفة، يُشير كل منها إلى وجه من وجوه شخصيتها البارزة، ويعتقد أنها ذات معنى سام، لا تُدرك حقيقته إلا بالغوص في أعماقه:

زينب لا الثنا ولا التمجيدُ يتأدى إليك مهما يجيدُ
أنتِ معنى احتوى اللفظ فيه فاجأ القائلين فيه جديدُ
هكذا أنتِ قَمّةٌ في مبانيها من المجد طارفٌ وتليدُ^(٢)

فمكانة زينب عليها السلام أعلى من أن ينالها الحمد والثناء، إنَّها في ذروة المجد والعلو، والإنسان يواجه في وجودها وجوهاً غير متوقّعة، إنَّها كعبة القلوب التي تنجذب وتشتاق إليها؛ لما فيها من صفات الكمال التي يتمنى كل إنسان أن يتحلّى بها، ليصل إلى الله تعالى:

(١) المصدر السابق: ص ١٦٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٦.

إنها كعبة القلوب إذا ما لوحت هرولت إليها الوفود^(١)

ويحمد الشاعر زينب عليها السلام باستلهاهم الآية القرآنية؛ ليعلو بشأنها، وليرسمها في مرآة القرآن، فيقول:

باركي رملةً غدت حين ضمّت بنتَ خير الأنام خيرَ مَقِيلِ^(٢)

فقوله: (خير الأنام خير مقيل)، يقع في التناسب مع القرآن، كأنه يعكس قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾^(٣)؛ فعاقبتها عاقبة أهل الجنة، وهي خير مستقر لخير الأنام.

كما يستخدم المفردات القرآنية (أهل الكهف وكلبهم)؛ إشارة إلى قصة أصحاب الكهف، فيعظم شأنهم، وشأن أهل البيت عليهم السلام، ويفتخر باتباعهم، ويقرن ذلك باتباع الكلب لأصحاب الكهف، الذي أصبح مصاحباً لهم، ودخل في زمرتهم، وخُلد معهم:

واجعلوني تبعكم فبأهل الكهف يُنشدُ كلبهم والوصيد^(٤)

مواجهة الظلم والتفهم

وبما أنّ صورة الحق لا تتجلّى ولا تُدرك إلا في التقابل مع الباطل؛ فالوائي يستخدم أسلوب المقابلة والتناقض في خلق التصاوير الشعرية، ويُبدع صوراً مختلفة من المفارقات، فقبل أن يدخل في تصوير نساء الطف، يتطرق إلى تصوير العدو المتناقض لتصوير أهل البيت عليهم السلام، وما يكنّ لهم من العداوة والبغضاء؛ ليبيّن حقيقة

(١) المصدر السابق: ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٥.

(٣) الفرقان: آية ٢٤.

(٤) الوائي، أحمد، ديوان الوائي: ص ١٤٨.

حركة زينب عليها السلام والنساء اللاتي شايعنّها.

قام العدو الظالم بمواجهة الحسين عليه السلام وأصحابه في ساحة الطف، وسفك دماءهم وسبى نساءهم، وستر الحقائق عن الأذهان، حتى لا تقدر على تمييز الحق من الباطل، والصدق من الخدعة والتزوير. ويستخدم الشاعر لفظة (الليل) استعارة للجهل والطغيان؛ لتصوير شدة الجهل والاحتقان، الذي جعل الناس حائرين في تمييز الصحيح من غيره:

مرّ حينٌ والحقّ بدرٍ ولكن
ليس ذنب العيون بل ذنب ليل
غير أنّ المقياس هبّ ليخطو
في مسار الصحيح والمعلول^(١)

ولا يزول ستار الظلمة والجهل إلا بطلوع صبح الحقيقة، فيقول:

هوّني فالظلام طارده الصبـ
ح فوّلّي إلا بقايا فلول^(٢)

ويخاطب الشاعر الأمكنة والأزمنة، فيقول:

أيتها الرمل في مشارف جيرو
أنت فيما وعيتَ تشهد بالعد
قد سمعتَ الإيمان عند رعيّل
من ثغور معبّاتٍ بذكرٍ
تبيّنتَ كيفَ ينكشف الزوّ
يومَ عاد الدويّي والترف الفا
وتهاوت زعامة سيّدوها
نَ عليه إجابة للسؤولِ
ل وماذا بعد الشهود العدولِ
وسمعت الإلحاد عند رعيّل
وثغور تعبّاتٍ بالشمولِ
رُ رغم الإغراق بالتأويلِ
جرُّ والعرش كلّها لأفولِ
بكذوب الثنا وقرع الطبولِ^(٣)

(١) المصدر السابق: ص ١٤١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٢.

(٣) المصدر السابق: ص ١٤٤-١٤٥.

هنا يسأل الشاعر الدهر، ويطلب منه الإجابة كالشاهد الصادق الذي يمكنه أن يسرد الحقائق التي وقعت، ليشير إلى أن ما ينشده هو الحقيقة التي لا يمكن أن تُنكر. وباستخدامه الجناس والسجع في أسلوب التقابل يصف جانب الحقّ بسِمات، مثل: الإيمان، ومراعاة العدل، والنفحة الرائعة بذكر الله، بينما يصوّر الباطل بعدم الإيمان (الإلحاد)، والعدول عن العدل والحقّ، ونفحة نتنة بسبب شرب الخمر الذي يُبعد عن ذكر الله.

فيستخدم التقابل في الألفاظ، ويتعدّاه إلى التقابل في الصور؛ ليتخيّل المتلقّي مدى التناقض بين الحقّ والباطل، وبين حركة زينب عليها السلام وحركة الأعداء؛ إذ «تنوّعت صور التقابل الدلالي في شعر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، فقد تأتي الألفاظ المتقابلة المتجانسة مألوفة الاستعمال، شائعة التراكيب، من دون أن يضطرّ الشاعر إلى إبدالها بأخرى»^(١). هكذا يصف مسيرة نساء الطف بصفات إلهية، ويجعل أصحاب الباطل بعيدين عن الله.

والشاعر في أبياته الأخرى يُخاطب مشهد الحوادث، ويعتبره موضعاً لمقارعة الحقّ والبعي:

أيها الموقف الذي قارعَ البغيَ وردّ الطغيانَ وهو عنيدٌ^(٢)

والرقيم الذي على صرحك الشا مخ فيه البيان والتفسيرُ
أن يحيق الهوانُ بالأسر البا غي ويسمو كما يشاء الأسيرُ
وتروح القصور والترف الفا جرّ والوشي لامعاً والحريرُ

(١) ناعور لاتا، عبد علي، التقابل الدلالي في شعر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي: ص ١٥٤.

(٢) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٤٦.

والعروش التي على البغي قامت وجنود ومنبر وأمير^(١)

فالباطل امتلك جميع أسباب القدرة، وصَدَرَ من عرش القدرة والسلطة والحكم والأمر، وله المنبر والجنود إلى جانب الثروة وقدرة الإعلام، وكما قال الشاعر: إنهم شيدوا زعامتهم بكذوب الثنا وقرع الطبول، أي: أيدهم أعوانهم بما امتلكوا من قلم ولسان وحسام، فاستطاعوا أن يواجهوا الحقَّ ويقارعوه بما امتلكوا من القوى، وتلك القوى العدوانية لم تحدث عندهم فجأة، وإنما هي وريثة أحقاد من أجدادهم المنهزمين في معركتي بدر وأحد، أي: كان أجداد الطغاة من مخالفين الإسلام، وكانوا قد حاربوا النبي ﷺ والإسلام منذ بداية حركة الإسلام، إلا أنهم لم يحققوا آمالهم:

مَنْ اجْتَرَّ حَقْدَ بَدْرٍ وَأُحَدٍ وَتَمَادَى سُعَارَهُ الشَّرِيرُ^(٢)

الوائي يستدعي تاريخ الإسلام ليفضح الباطل، ويكشف الجذور الفكرية والروحية التي تقوى بها، ويذكر ما فعلوا من الدمار والهتك عبر التاريخ؛ إذ الهتك بأهل بيت النبي ﷺ ليس أمراً جديداً لديهم، بل هذا ديدنهم:

إِنَّهُ مِنْ فَصِيلَةٍ هَتَكُوا الْبَيْتَ
وَاسْتَبَاحُوا قَبْرَ النَّبِيِّ وَبِالْحَرَّةِ
كَمْ دُنَسَتْ كَعَابُ حِصَانٍ^(٣)
ت وعاثوا بقدسه واستهانوا

لم يرغب الشاعر في أن يصرِّح بذكر أسماء أعداء حادثة الطف إلا نادراً، بل رغب عن ذكر أسمائهم؛ لئلا تتلوَّث الألفاظ وساحة الشعر بذكرهم:

أَتْرَى يَا بَنَ كُلِّ هَذِي الصَّرْوِ
لَا أُسْمِيهِ فَهُوَ أَتْفَهُ مِنْ أَنْ
ح الشَّم يَسْتَامُ مِنْ عُلَاكَ فَلَانُ
يَلْطَّخُ الشَّعْرَ بِاسْمِهِ وَالْبَيَانَ^(٤)

(١) المصدر السابق: ص ١٦٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٨.

(٤) المصدر السابق.

ويذكر اسم (يزيد) ويُكنى به عن كل حاكم ظالم فاجر، وليس عن الحاكم الأموي فقط، كقوله:

ستعشين زينباً يابنة الإسلام مهما يبين فينا يزيد
وسيمتدُّ للطغاة فناءً سيمتدُّ للهداة خلوداً^(١)

و(يزيد) هو تمثال للطغاة الذين واجهوا الهداة على مدى التاريخ، ولا يبقى خالداً إلا من يمشي على هدى الإسلام، فيستخدم التقابلات الكلامية (الطغاة، الهداة)، (فناء، خلود)؛ ليرسم الوجهين المتقابلين.

ويؤكد الشاعر على هذا الزوال بالتناص مع الفكرة القرآنية في قوله:

وتنذره من غرور الهوى من الفائزين إلى الخيب^(٢)

يستخدم المفارقة بين صورتَي الفائز والخائب، وهما متناقضتان، بالتناص مع الآية القرآنية: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٣)، ويشير إلى أن الغرور بالنعمة والسلطة التي في أيادي الأعداء سيؤدّي إلى مهلكتهم وعذابهم الأليم.

ويستخدم التناص المباشر مع المفردات القرآنية؛ ليسند قوله بسبع وثلاثين آية تصرّح بـ (إن الله على كل شيء قدير)؛ ليؤكد على زوال الباطل على ما قدره الله:

سيطال الخراب أروقة الظلم م ويحتاح صرحها التدمير
وسيدو للتائهيّن بأن الـ له في فعل ما يشاء قدير^(٤)

فكأنه يقسم بالفكرة القرآنية على أن الظالم لا يبقى على ظلمه، وأن بلاط الظلم ستهدم بقدره الله تعالى.

(١) المصدر السابق: ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٢.

(٣) آل عمران: آية ١٧٨.

(٤) الواثلي، أحمد، ديوان الواثلي: ص ١٦٥-١٦٦.

المثلة لحركة الحسين عليه السلام

إنّ زينب عليها السلام ممثلة الحقّ، ونائبة عن الحسين عليه السلام، وامتداد للنهضة، وخير من تولّت دور الحسين عليه السلام في مسير النهضة، فحينما تتعذّر زيارة قبر الحسين عليه السلام للوائي، يتّجه نحو الشام؛ لأنّها خير ممثّل عنه عليه السلام:

وحين نأى الطفّ زرت الشّام
إلى جدثٍ فيه منك المثال
فأنت أراك بكلّ عُلاك
هنا قد تجسّدت في زينب^(١)

إنّها المثال الأعلى في حركة الإمام الحسين عليه السلام، قامت بدورها الإعلامي؛ فأكملت الحركة الحسينية، وأنجزت أهدافها، وبيّنت الحقّ، بمخاطبة العقول، وسرد الحقائق، وفضح من حاول حرف الحقّ وكبت المعرفة.

ويستلهم الشاعر الوقائع التاريخية في قوله:

بدمٍ نائرٍ ودمعٍ بجنب
إنّها كربلاء تمتدّ للشّاء
الدمّ خطأ ملاحماً في فصول
م لتروي عدل السّما للعقول^(٢)

وابنة المجدّ في مدى آل فھر
وابنة الطھر فارق الجاهليّا
وهدى أحمدٍ وصبرِ البتول^(٣)
يامزاجاً به جهاد عليّ

فيه غصن من البتول نضير
في ربي قاسيون قبر صغير

(١) المصدر السابق: ص ١٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٢. (الأبيات منقولة بتصرّف).

(٣) المصدر السابق: ص ١٤٣.

تربةٌ هومت رقيةً فيها حُضن الطهر رملها والحفيرُ
عندها من محمد وعليٍّ والحسين الشهيد شيءٌ كثيرُ
والسمات المطيبات تراثٌ يتجلى به البشير النذيرُ^(١)

ويُصرِّح الشاعر بذكر أجداد النسوة؛ ليؤكد أن هؤلاء من سُلالة الإسلام والطهارة والهدى، من بيت متّصل بالوحي وجبرئيل، أي: إنهم من جذور أحمد وحيدر والبتول، تلك الجذور الكريمة التي تخلو من الشرك والدنس، على عكس جذور الأعداء، فإن أجدادهم ورّاث أحقاد بدرية وحنينية وغيرهما:

بنساء كرائم ربّهنّ الوحي والدين والكتاب المجيدُ
خفرت دنيا محمد غدتها ودنيا محمد تسديدُ
من جذورٍ محلّقات وبيت هو عن كلّ ما يشينُ بعيدُ
فوراء الخدور سنخٌ من الزهراء يروي نسيجها ومجيدُ^(٢)

فهؤلاء النسوة ينحدرن من جذورٍ تربّت على إرشادات الوحي وأوامر الكتاب والسنة، فيتّصفن بسات إسلامية أصيلة، وفي قوله: (بيتٌ هو عن كلّ ما يشينُ بعيدُ)، إشارة غير مباشرة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)، والبيت الذي أبعد أهله من الرجس والشرك، هو البيت النبوي.

حيث حَجَرَ الإسلام ربّي وحيثُ الأصلُ من منبتِ الجذور فريدُ
النسيج الذي تكوّنت منه هدْفٌ في تراثنا منشودُ^(٤)

(١) المصدر السابق: ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٧.

(٣) الأحزاب: آية ٣٣.

(٤) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٤٦.

أَيُّهَا الدَّهْرُ هَلْ بُوَعِيكَ ذَكَرَ
شَدَّهُ اللهُ لِلسَّمَاءِ وَثِيقاً
لَعْدِيلِ الكِتَابِ رَهْطَ الرَّسُولِ
وَنَمَاهُ بِجِبْلِهِ المَوْصُولِ
حَمَلَ النَّبْعِ مِنْ تَرَاثِ رَسُولِ الدِّ
لَهُ ثَرّاً فِي طَعْمِهِ السَّلْسِيبِلِ^(١)

فالشاعر يؤكد انتهاء هؤلاء النسوة لنبي الإسلام، ويجعلهنّ متّصلات بكلام الوحي، باستخدام التناصّ مع الألفاظ القرآنية، مثل (السلسيبيل)؛ ليستدعي الآية القرآنية: ﴿عَيْنَا فِيهَا نَسْمَى سَلْسِيبَلاً﴾^(٢)، وبما أنّهنّ رهط النبي ﷺ فتكون صلتهنّ بالسماة وثيقة ومحكمة.

ويستخدم الشاعر مفردة (النبع) استعارةً لجذور تنبع من أصل نبوي كريم، وهو النبع الذي لا ينضب:

يَطْلُبُ الوَرْدَ عَاطِشُ الرُّوحِ مِنْهُ
وَبِوَاتِ النَّبِيِّ نَبْعٌ نَمِيرٌ^(٣)

فَمَنْ يُوصَفُ بِالمَوَاصِفَاتِ الأَصِيلَةِ، وَيَنْتَمِي إِلَى نَبْعِ نَمِيرٍ طَيِّبٍ عَذْبٍ سَلْسِيبِلٍ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْقِي مَنْ يَطْلُبُ الحَقَّ، وَيَحْمِلُ لَوَاءَ الحَقِيقَةِ.

فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، يُشَبِّهُ الشَّاعِرُ الجَذْرَ الَّذِي تَنْتَمِي إِلَيْهِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ ٱلرَّضِيَّةُ بِالعَقْدِ الثَّرِيِّ، الَّذِي تَكُونُ كُلُّ دَرَرَةٍ مِنْ النِّسَاءِ ذَوَاتِ الأَلْبَابِ:

إِنَّ جَذراً نَمَاكَ عَقْدٌ ثَرِيٌّ
قَمَمٌ مِنْ عَوَاتِكِ وَيَلِيهِ
بِالعَقِيلَاتِ دُرٌّهُ مَنْصُودٌ
نَمَطٌ مِنْ فَوَاطِمِ مَعْدُودٌ
فِي وَجْهِهَا فَهِنَّ شُهُودٌ^(٤)
شَاخِصَاتٍ بِوَجْهِ أُمِّكَ وَالجِدَّةِ

إِنَّهُنَّ قَمَمٌ شَاخِصَةٌ عَالِيَةٌ، مِنْ عَوَاتِكِ وَفَوَاطِمِ تَشْهَدُ بِفَضْلِ جَدَّاتِهِنَّ وَأُمَّهَاتِهِنَّ.

(١) المصدر السابق: ص ١٤١.

(٢) الإنسان: آية ١٨.

(٣) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٦٤.

(٤) المصدر السابق: ص ١٤٦.

كذلك تتسم حركة هؤلاء النسوة بمواصفات جهاد علي عليه السلام، وهداية الرسول صلى الله عليه وآله،
وشيم فاطمة الزهراء عليها السلام في الصبر على المصائب، فحركة زينب عليها السلام امتداد لحركة
النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة عليهما السلام في مواجهة الباطل:

يا مزاجاً به جهاد عليّ وهدى أحمدٍ وصبرِ البتول^(١)

يابنة المرتضى عليّ ومَن شا
والذي رُغم شاسعات الصّحاري
يا امتدادَ الزهراء ثمّ أبيها
دَ من الدين سيفه المعهودُ
أنعشَ الكونَ ظلُّه الممدودُ
يا تُرى هل لبعده هذا مزيدُ^(٢)

فحركاتها عليها السلام امتدادٌ لحركة المرتضى الذي شيّد بناء الدين، ووهب للكون
الميّت الحيوية، وأحيا بسيفه الكائن الميّت، وأنعش روح الإسلام، إنّها امتدادٌ لحركة
الزهراء عليها السلام وأبيها الرسول صلى الله عليه وآله، وبالتالي فهي امتدادٌ للإسلام.
من ناحيةٍ أخرى، فإنّ هذا التصوير لنساء الطفّ، وهنّ من محدّد كريم وأصل
قويم، يبيّن مدى ظلم العدو لهنّ، مع أنّ الجدير بهنّ أن يعاملن باحترام وتكريم،
كما يرى الشاعر أنّ أضرحتهنّ أيضاً جديرة بالاحترام؛ لاشتغالها على أجسادهنّ
الطاهرة:

ربّ هذي رحاب بنت نبيّ ويُعزّ الرحابُ قدرَ التّزليل^(٣)

والضريح الذي يضمّ نسيجاً
علوياً بالاحترام جديرٌ

(١) المصدر السابق: ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٤٥.

حفلت بالشموخ مبنئاً ومعنىً فالمزايا جنباً لجنبٍ تسيراً^(١)

ورثت هؤلاء النسوة - ولا سيما زينب عليها السلام - العلا والمجد من حَسَبهنَّ الكريم والرفيع، فالشموخ يملأ كيانهنَّ ووجودهنَّ، فيخاطب الشاعر زينب عليها السلام بقوله:

اصعدي يابنة الجهاد فعقبى وثبات المجاهدين صعوداً
واشمخي يا حفيذةً لنبئٍ بُورك الجُدُّ شامخاً والحفيدُ^(٢)

ويدعوها للصعود، وأنّه من صفات المجاهدين الثابتين، والشموخ الذي ورثته عن جدّها الكريم صلى الله عليه وآله.

الجسوم التي بحجر رسول الله عاشت على الرمال رقوداً^(٣)

هذا التقابل بين الصورتين - عندما كانوا في أحضان الرسول صلى الله عليه وآله، وعندما تُركت أجسادهم دون تكفين على متن الصحراء - يبيّن أنّ العدو بغى على أحفاد الرسول، وابتعد عن الحقِّ والحقيقة، ولا يجدر أن يبقى في ظلال الإسلام، وأن يصف نفسه بالحق، ويُحسب زعيماً للإسلام، بل إنّ الرسول صلى الله عليه وآله يرفض أعمال هؤلاء الباغين الذين ما التزموا بوصيته في الحفاظ على ثقله:

يا لوجد النبي لو مرّ فيها ورآها والشمل منها بديداً^(٤)

قد أورثت شلوه مجداً وأورثها عاراً ويُدرك سرَّ الفرق من فهموا^(٥)

التقابل الدلالي في الألفاظ والمفاهيم يوجد بوناً شاسعاً بين الحقِّ والباطل، بين النهضة الحسينية وحرمة العدو، لا تُدرکه إلاّ الأفهام الواعية الطالبة للحقِّ.

(١) المصدر السابق: ص ١٦٤. (الآيات منقولة بتصرّف).

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق: ص ١٣٦.

(٥) المصدر السابق: ص ١٦٨.

الشجاعة والصمود

تتّصف نساء الطف بالشجاعة والصمود في معركة داهية لا يُطبقها الإنسان العادي، إلا إذا كانت له خصال يرثها من عائلة كريمة.

وقد اكتسبت السيّدة زينب عليها السلام سمات الشجاعة والصمود من أبيها حيدر الكرار عليه السلام، وهو الذي كان يكرّ في الحروب بشجاعةٍ دون خوف، ومن أمّها الزهراء عليها السلام التي كافحت الظلم بصبرها، ويستعير الشاعر لها عليها السلام لفظة (لبوة) وهي تزار بشجاعة دون خوف؛ لتحمي أشبالها:

ههنا بنتٌ حيدرٍ لبوةٌ تزارُ تحمي أشبالها وتذودُ
ههنا زينب نسيجٌ هو الإقدام والصبرُ كلُّه والصمودُ^(١)

إزاري فالزئير عندك إرثُ ومزاج الأسود إرث الشبول^(٢)

إنّها تقف بشجاعة في مواجهة العدو كاللبوة التي تحمي عائلتها، فتطبق شدة السياط وحدتها، ولا ترغب عن حماية النسوة والأطفال حين وقعها:

إذا زهّن السوطُ لذنّ بزئيب وقد يحتمي عند المروع مروع^(٣)

هي موضع احتفاء العائلة، تحفظها من الأعداء، وتواجههم بصلابة وشجاعة، وتصمد أمامهم؛ لتُظهر الحقيقة التي همّوا بكتانها والقضاء عليها:

ومن هي في السبي لكنّها تمرّغ من جبهة المستبي^(٤)

(١) المصدر السابق: ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٥.

(٤) المصدر السابق: ص ١٠٢.

يريد الشاعر أن يبيّن بالمفارقات التصويرية أن كلّ ما حدث في واقعة الطف لإخماد شعلة الحقيقة، وانتقاص شأن أهل البيت عليهم السلام، أدّى إلى نتيجة مغايرة.

الصبر والشموخ

تتّصف نساء الطف بتحمّل عبء المصائب الداهية بعد واقعة الطف، ولا سيّما زينب عليها السلام، وهذه هي أوّل رسالة لهنّ في النهضة الحسينية، فأغلب الأشعار تسرد أحوالهنّ، وما وقع عليهنّ من التوهين والضرب، إلا أنّ مفردة (السوط) أصبحت مفردة رئيسة في النصّ الشعري، تُثير الأحزان وترسم المصيبة:

كلّما صحنّ صاح فيهنّ سوطٌ فحذقنّ الشيخَ دون عويلٍ^(١)

يرسم الشاعر أصوات السياط الصاخبة، واحتمال النساء المصائب ووقع السياط دون أن يصرخنّ، وهو يدلّ على شدة صبرهنّ؛ لئلاّ يجزعنّ أمام الدلّ.

أو تدري ما شأن بيض وجوهٍ أطبقت حولها الخطوب السودُ
أفعمت روحها الرزايا فما للـ وجدِ والدموعُ والشجونُ حدودُ^(٢)

يصوّر الشاعر شدة المصائب باستخدام المفارقة بين شأن (بيض وجوه) و(إطباق خطوبٍ سودٍ ورزايا) بالتضاد بين السواد الهائل من المصائب وبياض وجوههنّ، وكذلك يستخدم الشاعر المفردتين: (أطبقت) و(أفعمت)؛ ليرسم المشهد بالسواد الكامل، وليبيّن أنّه ليس فيه فسحة للراحة، بل ملأته الحيرة والدموع والآهات والأحزان تماماً.

وسبايا روت فواجعها الرّم ضاءً والشمس والرّبي والنجومُ^(٣)

(١) المصدر السابق: ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٤.

(٣) المصدر السابق.

يا لوجدي وقد مررت عليها وعلى القبر من أساها سطور
فبدا طيفها لعيني نضواً من سياتٍ حدا بهنّ الغرور^(١)

ولتصوير شدة المصائب والحزن، وشدة قسوة الأعداء تجاه أهل بيت الحسين عليه السلام، يستخدم الشاعر لفظة «رعابيب»؛ ليشير إلى ما فيهنّ من النعومة والبياض مما يتناقض مع روح القسوة:

لونها السياتُ وهي رعابيب فضجّت من السياتِ زنود^(٢)

هنا يستخدم تراسل الحواس الذي «هو شكل من أشكال بناء الصورة، الذي يعتمد على نقل مدركات حاسة من الحواس إلى مدركات حاسة أخرى يستعملها الشاعر لمداعبة خيال المتلقي، وتحفيزه لسبر أغوار الصورة»^(٣)، فتصوير اللون البصري يمتزج بصوت الضجة المسموع من وقع السيات على أجسادهنّ الناعمة التي لا تتحمّل القسوة؛ إذ الزنود تشكو من شدة وقع السيات مجازاً، والأسى والظلم لا يليق باليتيم، لكنّ الأعداء لا يهتمون بشأن الصغار واليتيم، ويظلمونهم مخالفين للأوامر القرآنية:

فعلى الأوجه الصغيرة لاح الـ يئتم والذلّ والأسى والشروء^(٤)

يشبه الشاعر الأطفال بالبراعم؛ بسبب نضارة جلودهم، وضعفهم عن تحمّل المصائب والضرب والقيود:

إنّما برعم وما اشتدّ منها عودها الغضّ والفؤاد الغرير^(٥)

(١) المصدر السابق: ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٧.

(٣) عنوز، كاظم عبد الله، تراسل الحواس في شعر الشيخ أحمد الوائلي، مجلة مركز دراسات الكوفة: العدد ٧، ص ١٦٧.

(٤) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٣٥.

(٥) (الغرير): قليل التجربة، و(الوثير): اللين الناعم.

لم يزل مثلها تهدده الدم
فإذا بالزمان يُثقل كتيف
يةً والحلم والفراش الوثير
ها بما قد ينوء منه ثبير^(١)

وصغار براعم كل وجه
مسحتهم كف النبي بنور
منهم البشر والمنى والعيد
فمن الجد ما حكاه الحفيد^(٢)

هصر اليتم عودهم فألحوا
يسأل الأم عن أبيه الوليد^(٣)

هناك التقابلات اللفظية والدلالية والصورية ترسم لوحات عن أحوال الأطفال الذين لا تتلاءم أجسادهم مع الشدائد، فهم نشأوا على مسحة محبة النبي ﷺ وحنانه، ويجب أن يلعبوا بالدمى، وأن يجلّموا الأحلام الحلوة، لكن أدبر الدهر عنهم. ويكني عن شدة المصائب التي حلّت بهم بما ثقل على جبل ثبير في مكة. كذلك يستخدم الشاعر «زغاليل» استعارةً للأطفال، أي: إثمهم أفراخ صغيرة، خفيفة الروح، لا تطيق الشدة والقسوة:

بين أسرى تقسو السياط عليها
وزغاليل رُوّعت وعليل^(٤)

يصور الشاعر شدة الخوف والجزع في قلوب الأطفال الصغيرة؛ كي يتخيّل المتلقّي اضطرابهم ورعشة قلوبهم وأجسادهم، خوفاً من السياط، فيهربون من الأعداء خائفين تائهين، ويشبّه الزغاليل بالقطا، إذ يستعير لفظة (القطا) لهم، وهي نوع من الطيور قريبة الشبه من الحمام:

(١) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٨.

(٣) المصدر السابق: ص ١٤٣.

(٤) المصدر السابق: ص ١٢٥.

كصغار القطا ذوت من هجير ردها بعد نضرة لذبول^(١)

(النضرة) استعارة للنشاط والحيوية، و(الذبول) استعارة للنقص وعدم الحيوية، و(القطا) استعارة للأطفال، و(ذوت) استعارة لهلكت، فهنا يجمع الشاعر في التصوير بين عدّة وجوه: يُشبه الأطفال بالطير الصغير الذي لا يتحمّل العطش وحرارة الصحراء وحدة السياط، فيهلك كنبات صغير يذبل.

وفي موضعٍ آخر يرسم للمتلقّي عجز الأطفال أمام كلّ هذه القسوة، ويقول:

فهي جسم يدافع السوط بالكفّ وعين بدمعها تستجير^(٢)

ليس عن هذه الأغايد للأطفال إلا البكاء والتسهيّد^(٣)

لم يقدر الأطفال - ومنهم السيّدة رقية - أن يفعلوا شيئاً أمام ضرب السياط إلا البكاء والتسهيّد.

وفي لوحةٍ أخرى يشبّههم بالنبات الذي يذبل، فلا يتحمّلون قسوة مصائب الأسر، والسير في الصحاري القاحلة، والقيود، والضرب:

أيها الشجنة التي أذبلتها
لوعة الأسر والفلا والهجير
فهي من زحمة القيود على الصّد
ر أنين شهيقها والزفير
طفلة يكمن الذهول بعينها
فيبدو بدمعها التعبير
حملت قلبها الكسير على يت
م وقلبُ اليتيم قلب كسير^(٤)

ويستخدم (درّ نضيد) استعارة للأجساد اللطيفة للأطفال، التي لا تتحمّل

(١) المصدر السابق: ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٦٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١١٨.

(٤) المصدر السابق: ص ١٦٦.

القيود، ويشخص القيود، ويرسم المفارقة بين شأنهم وهذه الحدة، بقوله:

حسب القيد مُذبه صفدوهم أنّ ما صفدوه درّ نضيداً^(١)

واجه النساء والأطفال هذا الظلام والظلم بالصبر، ولم ينحرفوا عن مسيرة
الشموخ التي حُدّت لهم؛ وبذلك يتأثر الشاعر، ويقول:

لستُ أنسى عينيك وهي ذهولٌ بينَ رُزءٍ غمرٍ وصبرٍ جميلٍ^(٢)

هذان الوجهان للمرأة ذات المصائب أمام العدو أذهلا الشاعر، فيعتقد أنه لا
يمكن أن يقوم بهما إلا مثل زينب عليها السلام من البيت العلوي الشامخ، فيقول:

وشموخاً ما أركعته الرزايا يوم صُبتِ مصائب كالسيولِ
وفماً أبلج البيان ورأساً علوياً لم ينحنِ للذيولِ
غير أنّ الذي رواك شموخاً عزمات رغم المصاب الجليلِ
ورزايا بلا مثل ولكن عندك الصبر ماله من مثيلٍ^(٣)

في يوم المصائب الهائلة التي تُشبه شدة نزولها بانحدار السيول، برزت الرزايا
كفاعل قادر على أن يذلّ الرقاب، ولكن زينب عليها السلام لم تسمح له بذلك؛ لأنّها تتحلّى
بكبريات علوي لم ينحنِ للسيول، وهو كناية عن الشموخ وعدم قبول الذلّ.

الجهاد بالمنطق

انتصرت الحركة الحسينية بالتضحية، واحتمال المصائب من الأسر والأذى
في سبيل إبلاغ الرسالة الإسلامية، وهي عدم قبول الذلّ والانحراف عن مسيرة
الحق، وهذا المعنى هو امتداد لحركة النبوة، التي هي جذوةٌ في وجه الظالمين، ولكن
هذه الجذوة عتمّت عليها وسائل الإعلام، وحاولت أن تنسخ أهدافها ودوافعها،

(١) المصدر السابق: ص ١٣٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق. (الأبيات منقولة بتصرّف).

وصورتها بصور أخرى.

غير أن الدماء التي سُفكت في سبيل الله أنجزت مهمتها عبر ما تفوّهت به زينب عليها السلام من خطبة غراء أمام العدو، لتواجه بها جهل الأمة، ولتبيّن الحقيقة التي كتّمها الأمويون بأفعالهم المزورة وأكاذيبهم الملقّقة، فكافحتهم عليها السلام بمنطقها المحكم، وقولها الفصل.

ومن وقتت تكشف السرّ عن جهادك في منطق معرب^(١)

إنما الطفّ من حسينٍ دمَاءٍ شامخاتٌ ومنك قولٌ سديدٌ^(٢)

إنه عليه السلام يسمّى زينب عليها السلام (مقولاً)، والحسين عليه السلام (وريداً)، أي: بقولها عليها السلام وبدمه عليها السلام

اكتمل الجهاد ومسيرة الكفاح:

أمةٌ زينب بها وحسينٌ هذه مقولٌ وهذا وريدٌ^(٣)

ويعتقد الشاعر بأنّه لا بدّ أن يهتمّ بفهم هذا الجانب من النهضة الحسينية، «فإنّ الإمام الحسين عليه السلام أصرّ على أن تخرج زينب معه؛ لأنّه عليها السلام أراد أن يُرهن على أنّه إذا دار الأمر بين الدفاع عن بيضة الدين وساحة الأسرة، فإنّ جهاد المرأة يكون إلى جانب جهاد الرجل، كلاً^(٤) منهما يؤدّي دوره»^(٥)، «فالمرأة التي يربّيها الإسلام لا تقلّ خطراً وصلاحيّةً عن الرجل فيما يمكن أن يضطلع به ويقوم بتنفيذه»^(٦).

(١) المصدر السابق: ص ١٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) هكذا ورد في المصدر، والصحيح: (كلّ).

(٥) الوائلي، أحمد، محاضرات الوائلي: ج ٥، ص ٢٢٧.

(٦) المصدر السابق: ج ٨، ص ١٦٧.

والتي جاهدت بها الأم والأخت وبنْتُ كريمةً ووليدٌ^(١)

إنَّ زينبَ عليها السلام حملت راية النهضة، وواجهت العدو، رغم ثقل هذا العمد على عاتقها:

مثال الكفاح التي آزرتك على عبء نهضتك المصعب^(٢)

كان كفاح زينب عليها السلام وجهادها في الصبر على المصائب، وعدم قبول الذل أمام العدو، فقد واجهت كل الأكاذيب والأحاديث الملققة التي كانت تحاول أن تشوّه أهداف النهضة، بخطبتها وبلسانها الفصيح المعبر عن الحقائق، فبيّنت خداع النظام وتزويره، وغيّرت النتيجة التي خطّط لها الأعداء؛ إذ جعلت المقتول فائزاً وغالباً، وجعلت القاتل مغلوباً، فيكفي الشاعر عن هذا بقوله:

حيث يهوي للقاتلين لواء ويرفُّ اللواء للمقتول^(٣)

«المعركة لا تقف عند السيف فقط، فكما أنّ السيف له دور فللكلمة دورها كذلك»^(٤)، إنها عليها السلام بقولها الفصل، ونطقها الفصيح، ومنطقها الجزيل، وقفت بصلاية أمام الباطل، ورفضت فكرته بصوتٍ محكم سديد بالأدلة القاطعة المتتالية؛ إذ يستخدم الشاعر الكناية في قوله: (تقرّ عين الخصوم) تهكماً بالأعداء الذين عجزوا أمام منطقتها، وهي بصوت يشبه صوت اللبوة إذا زارت، ونطقت بطبع يشبه طبع الحسام الذي لا يخاف أن يواجه سيف العدو القاطع، بل يضربه بعنف وشجاعة ضربات متتالية:

تقرّ عين الخصوم بالمنطق الفصل فيأتي الدليل تلو الدليل

(١) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٢.

(٣) المصدر السابق: ص ١٤٢.

(٤) الوائلي، أحمد، محاضرات الوائلي: ج ٥، ص ٢٢٨.

إزأري فالزئير عندك إرث ومزاج الأسود إرث شبول
يالها من مواقف كشفت عنـ دك طبع الحسام عند الصليل^(١)

يستخدم الشاعر التناصّ التاريخي، ليُدخل في أشعاره كلمات من أقوال وخطب
السيدة زينب عليها السلام، فيقول:

ومن وقتت تكشف السرّ عن جهادك في منطـق معرب
ومن هي في السبي لكنّها تمرّغ من جبهة المستبي
تقول له اسعّ مهـما سعت وناصب بـالك من منصب^(٢)

هذا هو قول زينب عليها السلام: «فكِد كيدك، واسعّ سعيك، وناصب جهـدك، فوالله، لا
تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحيناً... وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد،
يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين»^(٣).

هكذا قامت السيدة زينب عليها السلام بدورها الإعلامي، وأدّت رسالتها، ودافعت عن
عقيدها ودين جدّها وأبيها عليهما السلام، بما ورثته من الميراث، ووقفت ما بين تلك المصارع
والمواقف، ولم يبدُ عليها شيء من الانهيار.

خلود الحق

صوت زينب عليها السلام أزال الستار عن الأكاذيب والخدع، فخلّدت الفكرة الحسينية
على مدى الزمان والمكان، وسيبقى صوتها خالداً ما دام الجدل بين الحقّ والباطل
قائماً، «وقد بقيت على مرّ التاريخ، الصوت الذي يعرّف بتلك النهضة، وهو ما أراده
الحسين عليه السلام منها»^(٤).

(١) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٥.

(٤) مركز الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، المجالس الحسينية لخادم العترة النبوية الدكتور الشيخ أحمد
الوائلي قدس سرّه: ص ٣٣٥.

وتهاوت زعامة سيّدوها
وبنا الدم والشهادة والمو
بكذوب الثنا وقرع الطبول
قف صرح الخلود عرضاً بطول^(١)

ههنا صوت الحقّ ما زال يعلو
منذ ألفٍ وما لواه الوعيد^(٢)

يبين الشاعر أهميّة صوت زينب عليها السلام ودورها الإعلامي، ويستخدم المفردات التي يُسمع منها الصوت والصرخة، مثل: (زئير، حسام، صليل)، كما يعبر عن السيّدة رقية عليها السلام بـ: (رمز، وصرخة حقّ)، وهي صوت الضمير الذي ينادي الإنسانية والعدالة:

أنتِ فيها رمزٌ وصرخة حقّ
صاح فيها صوت الضمير وعدل
عند سمع الطغاة منها هديرٌ
في الموازين لو أفاق الضمير^(٣)

لا تزال فكرة أهل البيت عليهم السلام خالدة طوال الدهر، وتعيش حيّة في قلوب أهل الحقّ، وهي حركة بدأت من الحسين عليه السلام، وستستمر إلى الأبد في مختلف النواحي والأزمنة.

ويشبهه الشاعر دماء الطف بـ (معين لم ينضب)، أي: لم يجمد، بل هي دماء لا زالت صاحبة ومؤثّرة:

لأدركت أنّ دماء الطفوف
فيا لدماء بأهدافها
معينٌ إلى الآن لم ينضب
تضمّ البعيد إلى الأقرب^(٤)

يستفيد الشاعر من التناصّر مع الآيات القرآنية عبر «الاستدعاء، والتحويل؛ ممّا

(١) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٤٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٦٥.

(٤) المصدر السابق: ص ١٠٣.

يجعل التناص يُشكّل من مجموع استدعاءات خارجية نصيّة، يتمّ إدماجها وفق شروط بنوية خاضعة للنصّ الجديد، ثمّ إنّ النصّ المدمج يخضع من جهة ثانية لعملية تحويلية؛ لأنّ التناصّ ليس مجرد تجميع للتأثيرات، فداخل الكتابة تقوم عملية جدّ معقدة في صهر وإذابة مختلف النصوص والحقول المدمجة مع النصّ المشكّل»^(١).

ويستدعي الآيات القرآنية المتعدّدة التي تصرّح بـ: ﴿عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾^(٢)، ﴿عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، ﴿عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤)، ﴿عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٥)، ويذكر نقيض كلّ هذه الآيات بقوله: (عاقبة المتّقين)، ليرسم خصائص من واجهوا المتّقين، وهم الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

أجل تلك عاقبة المتّقين وعُقبك في بارق خَلْبٍ^(٦)

حسب السنّة القرآنية وبما صرّح في القرآن من عاقبة المتّقين «حاول الظالمون... أن يطمسوا معالم واقعة الطف من التراث الإنساني، لكنّهم انهزموا أمامها وخلدت»^(٧). قد تكرّرت هذه الفكرة مرّات عديدة في أشعار الوائلي، مثلما يقول:

أيّدانيك ظالم بسرير وقد انحطّ للهوان السريرُ
سيطال الخراب أروقة الظلّ - ويحتاج صرحها التدمير^(٨)

- (١) لحام، زهور، آية التناص، مجلّة الناقد: العدد ٣٠، ص ٥٩.
(٢) آل عمران: آية ١٣٧. الأنعام: آية ١١. النحل: آية ٣٦. الزخرف: آية ٢٥.
(٣) يونس: آية ٣٩. القصص: آية ٤٠.
(٤) الأعراف: آية ٣٦ وآية ١٠٣. النحل: آية ١٤.
(٥) الأعراف: آية ٨٤. النحل: آية ٦٩.
(٦) المصدر السابق: ص ١٠٢.
(٧) مركز الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، المجالس الحسينية لخدام العترة النبوية الدكتور الشيخ أحمد الوائلي قدس سره: ص ٣٢٨.
(٨) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٦٥. (الآبيات منقولة بتصرّف).

جولة الباطل انتهت واستقرت دولة الحق في مداها الطويل^(١)

ستفنى ويفنى دويّ النفير وما حشد الزيف من موكب
ويهدم صرح وأيّ الصروح بنى الظالمون فلم يخرب^(٢)

وهذه هي الفكرة القرآنية التي جاء بها النبي ﷺ من لغة الوحي الخالدة، فالشاعر يؤكد مراراً على أنّ عمر الظلم والطغيان قصير، وستُهَدَم بلاط أهل الجور مهما كانت لهم القدرة والشموخ، وكأنّه يستلهم هذه الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣)، بالتناصّ غير المباشر.

ويستخدم الشاعر المفردات القرآنية مباشرة، كقوله في السيدة رقية ع:
إيه بنت الحسين يومك يسر وأمام الطغاة يوم عسير

المدى فيك بالخلود طويل والمدى عند شائريك قصير^(٤)

وهنا التناصّ المباشر الخارجي مع المفردات القرآنية (يسر، عسر، شائريك)، يستدعي الآية القرآنية: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٥)؛ ليقول: إنّ الدنيا دورٌ يتغيّر، فإذا أخذ الطغاة مقاليد الحكم والسلطة، فسينهدم عرشهم بقدرة الله تعالى، وإذا استشهد الحسين ع وسُبي أهل بيته، فإنّهم سيُخلَّدون ويفوزون بإعلاء كلمة الحقّ مدى الدهر.

(١) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٤١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٢.

(٣) الشعراء: آية ٢٢٧.

(٤) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٦٥.

(٥) الانشراح: آية ٦٥.

كما يستدعي آية: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١)؛ لتتصل أسباب الخلود بسورة الكوثر، ومنها بالنبي ﷺ وابنته عائشةؓ، وكذلك لتتصل جذور أعدائهم بفصيحة أعداء النبي ﷺ، ويؤكد فكرة الآية وهي أنه: «يرد الكيد على كائديه... ولقد صدق فيهم وعيد الله، فقد انقطع ذكرهم وانطوى، بينما امتد ذكر محمد وعلا، ونحن نشهد اليوم مصداق هذا القول الكريم، في صورة باهرة واسعة المدى، كما لم يشهده سامعوه الأولون. إن الإيمان والحق والخير لا يمكن أن يكون أبتراً؛ فهو ممتد الفروع، عميق الجذور، وإنما الكفر والباطل والشر هو الأبتَرُ مهما ترعرع وزها وتجرَّ»^(٢).
وكذلك يقول الشاعر:

أسفر الصبح يا شام فقولي	لبقايا الظلام في الأفق زولي
لنسيج الأصنام وابن الزبعرى	صادحاً في نشيده المنقول
خبريه أن الخبايا تجلّت	وتبدى ما كان من مجهول
جولة الباطل انتهت واستقرت	دولة الحق في مداها الطويل
أين عرش القلوب فيما بناه	من عريش مزور منحول ^(٣)

في هذا القول تناصّ تاريخي مع رواية قضية (ابن الزبعرى) الذي كان «شاعر قريش في الجاهلية، وكان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ. وهنا إشارة إلى ما نقله ابن الزبعرى من حديث العريش المزور المكذوب»^(٤)، ويؤكد أن الظلام لا يبقى، بل يزول كما أسلم ابن الزبعرى، ف(أسفر الصبح) كناية عن (ظهور الحقيقة).

(١) الكوثر: آية ٣.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن: ج ٦، ص ٣٩٨٩.

(٣) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٤١.

(٤) المصدر السابق (الهامش).

أهداف ساحة الطف

«إن واقعة الطف لم تكن مجرد دموع على امتداد تاريخها، فهي من أيامها الأولى كانت عبارة عن تذكير ووعظ وحثّ على الجهاد ونصرة الدين»^(١). فالشعر الحسيني لا يهتمّ بالإنشاد لتصوير القضايا والموضوعات لمجرد إثارة العواطف، بل يُنشد أسرار النهضة، وينوي تحريك الهمم للنهوض والحركة؛ دعماً للحقّ، ولكي ينظر الناس إلى الحركة المثالية ويسيروا على هديها:

النسيج الذي تكوّنت منه هدفٌ في تراثنا منشودٌ
نحتليه لجيلنا مثلاً أعلى كما تنشدُ العُلَى وتريدُ
فابزغي يا عقيلة الوحي نوراً في سمانا إنّ الظلامَ شديدٌ^(٢)

(النور) استعارة لـ(الهداية)، و(الظلام) استعارة لـ(الضلال)؛ فيطلب الشاعر أن تهتدي الأمة بضوء الحركة الزينية لتفوز، ويستمدّ من هذا التراث لإيقاظ روح الجهاد والشموخ في الأمة؛ ليمتدّ موقف النبي ﷺ وصوت جهاد علي والأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين لم يمت منهم أحد على فراشه، بل قُتلوا في ساحات الشرف، وها هي زينب عليها السلام امرأة علوية تقف إلى جانب الرجال وتكافح:

اصعدي يابنة الجهاد فعُقبى وثبات المجاهدين صعودُ
واشمخي يا حفيدةً للنبي بُورك الجدُّ شامخاً والحفيدُ^(٣)

(١) مركز الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، المجالس الحسينية لخدام العترة النبوية الدكتور الشيخ أحمد الوائلي قدس سره: ص ١٠٨.
(٢) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص ١٤٦.
(٣) المصدر السابق.

إنها الأمة التي قلَّ موتى
والتي جاهدت بها الأمُّ والأخت
أُمَّةٌ تحملُ الجراحَ وساماً
أُمَّةٌ زينبُ بها وحسينٌ
فاشمخي أيها العقيلةُ رمزاً
بين أبعادها وزادَ شهيدُ
وبنتٌ كريمةٌ ووليدُ
سبكته نار الوغى لا العقودُ
هذه مقولٌ وهذا وريدُ
بجهدٍ لجذره مشدودٌ^(١)

الأُمَّة التي تقتدي بكبارها وتتبع سبيلهم لا تقبل العار والذنيَّة، بل تقاوم
وتُستشهد، فهذه الأُمَّة تلتزم بهذه الأصول:

وإذا عرَّشَ الخنوعَ بجيل
دبَّ من روحه إلى الوهن عزم
وانحنى منه للمذلةً جيدُ
فإذا الوهن فارسٌ صنيديدُ^(٢)

وعلمنا أنّ الفداءَ فريضةٌ
إذا افتقر العيش الكريم إلى الفدا^(٣)

ستعيشين زينباً يابنةَ الإسلام
وسيمتدُّ للطغاةِ فناءٌ
مهما يبين فينا يزيدُ
وسيمتدُّ للهداةِ خلودُ^(٤)

إذاً، هذه دروس تتلقاها الأُمَّة الإسلامية من حركة النساء في ساحة الطف، تُعتبر
امتداداً لحركة الحسين عليه السلام، وهي دروس في الشموخ، والمقاومة، والفداء، واليقين
بخلود الحق، وفوز منار الهداية، ورفض الذل، وعدم الوهن والضعف أمام العدو.

(١) المصدر السابق: ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٥.

(٣) المصدر السابق: ص ١١٣.

(٤) المصدر السابق: ص ١٤٧.

النتيجة

ساهم الشاعر الكبير الشيخ الدكتور الوائلي رحمته الله بإنشاد الشعر الحسيني في التعريف بأهل البيت عليهم السلام، وعرض جانب الظلامه، وأسرار النهضة الحسينية، وتعميق مفاهيم واقعة الطف، بما في الشعر من طاقة فعّالة مؤثرة.

في تصوير نساء الطفّ - ولا سيّما السيدة زينب عليها السلام - يركّز الشاعر على دور المرأة الفاعل إلى جانب الرجال في ساحة المعركة بين الحقّ والباطل، ويرسم اللوحات الحية من الصبر والشموخ، والمقاومة والكفاح، والدور الذي أدّته زينب عليها السلام في الكفاح، وما كانت تحمله من ميراث ضخّم من أهلها عليهم السلام، فقد أزالته - بقولها الفصل وخطبتها الغراء - الستار عن وجه الباطل، وفضحت السلطة التي حاولت أن تطمس حقيقة الطف، فرفعت صوت الحقّ وخلّدت عبر الأجيال، واستنهضت همم الأبطال والمجاهدين.

واستخدم الشاعر الآليات المختلفة لتصوير المشاهد، وإبلاغ عاطفة الحزن والحماسة، ومنها الصور البلاغية، من التشبيهات والاستعارات، والتناقض والترادف، والتقابلات اللفظية والمعنوية والدلالية، ودعم القول باستلهاام آيات الوحي ونصوص التاريخ في التناصّ القرآني والتاريخي.

كما أكّد على دور المرأة الفاعل في الجهاد والكفاح والصمود والشجاعة والمقاومة، فأنشده ما يثير العواطف الخالدة والعزائم الراسخة؛ ليستخدم الإنسان المعاصر مثل هذه الشجاعة والتضحية في حياته، من أجل مواجهة الظلم والباطل، وليكافح ويدافع عن الحقّ، رجلاً كان أو امرأة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - آية التناص، زهور لحام، مجلّة الناقد، العدد الثلاثون، ١٩٩٠ م.
- ٢ - بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٣ - تراسل الحواس في شعر الشيخ أحمد الوائلي، كاظم عبد الله عبد النبي عنوز، مجلّة مركز دراسات الكوفة، العدد السابع، ٢٠٠٧ م.
- ٤ - التقابل الدلالي في شعر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، عبد علي حسن ناعور (لاتا).
- ٥ - ديوان الوائلي (ديوان شعر الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمته الله عميد المنبر الحسيني)، شرح وتدقيق: سمير شيخ الأرض، مؤسّسة البلاغ، بيروت - لبنان، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٦ - في ظلال القرآن، سيّد قطب بن إبراهيم الشاذلي (ت ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق، بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢ هـ.
- ٧ - المجالس الحسينية لخادم العترة النبوية الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمته الله، إعداد: مركز الإمام الحسن المجتبي عليه السلام للتحقيق والدراسات، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ٨ - محاضرات الوائلي، إشراف: مصطفى الشيخ عبد الحميد، مؤسّسة أمّ القرى للتحقيق والنشر، بيروت - لبنان.

قصيدة (على لسان السيدة زينب عليها السلام) للشاعر السيد رضا الموسوي الهندي قراءة نصية

م. م. فاطمة عبد الجليل ياسر الغزي*

في رحاب الشاعر والتصيدة

وُلد الشاعر السيد رضا الموسوي الهندي في النجف الأشرف سنة (١٢٩٠هـ)، اشتُهر منذ شبابه بالتقوى والصلاح، وعُرِف عنه أنّه حفظ أوّل حديث عن الإمام الشيرازي الكبير، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»، وذلك حين تعلّم القرآن الكريم في مدّة أيسر من المألوف، فأعجب به الإمام الشيرازي رحمته الله أشدّ الإعجاب.

واصل دراسته العلمية على أيدي أساطين العلم في النجف الأشرف، فقد تتلمذ في الفقه والأصول وجملة من العلوم على يد والده الحجّة السيّد محمد الهندي، والسيد محمد الطباطبائي، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ حسن ابن الشيخ صاحب الجواهر، والملا محمد الشرياني، والشيخ الملا محمد كاظم الخراساني، وقد شهد له الشيخ محمد طه بالاجتهاد المطلق سنة (١٣٢٢هـ).

أغنى مجالس العلم والأدب والشعر بما جعل اسمه قبل الأسماء، كما أنّه قد ترك الكثير من المؤلّفات المخطوطة والمطبوعة، منها على سبيل المثال: الميزان العادل بين الحقّ والباطل، وشرح على باب الظهار، وسبيكة العسجد في التاريخ بأبجد، والوافي

* جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد)/ العراق.

في شرح الكافي في العروض والقوافي، وغيرها الكثير، وهناك الكثير من كتبه ما زالت غير مطبوعة^(١).

هذه القصيدة (على لسان زينب عليها السلام) هي إحدى قصائد ديوانه الذي جمعه السيد موسى الموسوي، وراجعها السيد عبد الصاحب الموسوي. في هذا الديوان نقف على تنوع الشعر بين الولاء لآل البيت عليهم السلام، وبين قصائد المدح والثناء لبعض الشخصيات، حتى قصائد الغزل، وإن أكد جامع الديوان أنه قام بحذف كثير من القصائد التي فيها غزل لا يتناسب مع بقية القصائد، إلا أننا نقف على قصائد غزل منتشرة في الديوان.

يُعلن الشاعر في قصيدته بدءاً من العنوان (على لسان زينب عليها السلام) أن المتكلم هو السيدة زينب عليها السلام، أي: إن المتلقي سيسمع صوت السيدة عليها السلام، وهذا السبيل هو سبيل الشعراء الحسينيين عندما ينطقون بلسان حال الأئمة وأهل بيتهم عليهم السلام وأصحابهم الخالص.

وهنا يتبادر إلى ذهن المتلقي السؤال التالي: لم يلجأ الشاعر إلى هكذا سبيل؟ ربّما لأنه استوعب الحدث (الفاجعة) وانصهر في أحداثها، فأمسى ثمة اتساق واتحاد بين ذاتين: ذات الشاعر، وذات السيدة زينب عليها السلام، بيد أننا يجب أن لا نغفل أن الشعراء في بعض الأحيان يعبرون عن انكسارهم وضعفهم، ويسعون جاهدين لإسقاطها على ذوات الأئمة وأبنائهم عليهم السلام.

أما الشاعر في قصيدته هذه، فلم ينح هذا المنحى، فهو يعرض مأساة السبايا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، موظفاً ضمير المتكلم ليعود على السيدة زينب عليها السلام، ولو أن الشاعر - بدايةً - لم يسمّ قصيدته بـ (على لسان زينب) لانصرف ذهن المتلقي إلى أن الضمير في القصيدة يعود على الشاعر، فهو بنهجه هذا قطع الطريق على هكذا فهم.

(١) أنظر: الموسوي، موسى، ديوان السيد رضا الموسوي الهندي: ص ٩-١١.

خطاب الذات/ خطاب الوجد

يستهلّ الشاعر قصيدته بعرضه لمسيرة السبايا على لسان السيّدة عليها السلام في قوله:

ساق المطايا بنا للشام حادينا ولا محامٍ لنا إلا أعادينا^(١)

فالمسيرة إلى الشام كانت شاقّة وفق عدد من المعطيات، فإذا سبّرنا أغوار النصّ نجد أنّ الضمير (نا) يفرض سطوته على المفردات: (بنا، حادينا، لنا، أعادينا)، ولعلّ الامتداد الصوتي لهذا الضمير يكشف عن ذلك، فهو يشغل مساحة صوتية تُعبّر عن مأساة الرحلة إلى الشام ووجعها.

ومن نكد الأيام أن يكون المدافع عن السبايا هم الأعداء، وتلك مفارقة كبرى، لم يلبث الشاعر حتّى كشف عن غياب الناصر في قوله:

لم يبقَ من إخوتي حامٍ فيحميننا أضحى التنائي بديلاً من تدانينا^(٢)

ذكر الشاعر الإخوة، وأيّ إخوة! إنهم أبناء علي عليه السلام حامي الذمار، مبيناً مسوّغ ذلك البعد، وربّما معادلة الحياة والموت كان لها الثقل الأكبر في هكذا (تنائي). والشاعر هنا يستغل الطاقة الإيحائية لشعراء آخرين، فيتّجه تلقاء ابن زيدون، عندما يغمس قصيدته بأبيات من قصيدة له تُشير إلى ألم الفراق، يقول فيها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيب لقيانا مجافينا^(٣)

ولعلّ الشاعر السيّد رضا كان يُدرك أثر قصيدة ابن زيدون في الموسيقى والمضمون، فسعى إلى أن يتناصّ معها، فيستغل طاقتها الإيحائية في التأثير، فالتداخل الذي صنّعه هذه القصيدة مع نونية ابن زيدون، نجح في رفق بنائها جمالياً، خاصّة مع ترداد أسطر تامّة من النونية فيها.

(١) المصدر السابق: ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن زيدون، أحمد بن عبد الله، ديوان ابن زيدون: ص ٢٩٨.

بدءاً من العنوان (على لسان زينب عليها السلام)، توجد ثلاث كلمات أكدت على أنّ الخطاب في القصيدة هو خطاب السيّدة زينب عليها السلام، فعتبة النص تُخصّص مناسبة النصّ ووجهته، وهذه العتبة بدأت من البيت الأوّل بوصف حال السبايا في مسيرهم إلى الشام، وتبدأ السيّدة زينب عليها السلام بالمقايسة بين الحاضر الذي فرّقهم، والماضي الذي كان يجمعهم، كما في قولها:

كنا جميعاً فأضحى جمعنا فرقا سرعان ما عاد ذاك الشمل مُفترقا^(١)

ويبدأ صراع السيّدة زينب عليها السلام بين حاضرها الموجه وانثيالات الماضي، فكانت القصيدة شبه مقايسة بين الماضي والحاضر.

كنا وكنتم وكان العيش قد نعما بكم وثمر الليالي كان مبتسما
كنا لكم يا أحباء النفوس كما كنتم لأنفسنا أنفاسهنّ وما
كنتم لأرواحنا إلا رباحينا^(٢)

فخطاب السيّدة زينب عليها السلام موجه لإخوتها وأبناء عشيرتها، وهي في حوارها معهم تُعاتبهم، وتُعاتب أيامها التي حالت بينها وبينهم، وهي إنّما تُخاطب ذاتها، فالملتقى لم يعد موجوداً، وإنّما الأحداث والصور فقط هي ما تبقى من ذكرهم، فبصوت موجوع تُنادي الذكريات، وتُحاول استحضارها؛ لتخفّف من وطأة الألم:

فاهمّ طول الليالي لا يُبارحنا والذكر إن لا يُياسينا يُصاحبنا^(٣)

ويستمرّ خطاب السيّدة زينب عليها السلام إلى نهاية القصيدة، وهي تتحسّر وتتوجّع على فراق أهلها:

(١) الموسوي، موسى، ديوان السيد رضا الموسوي الهندي: ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق.

وقد أفلتم وفيكم كربلا سعدت
حالت لفرقتكم أيّامنا فغدت
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا^(١)

فالشاعر حاول عبر نصّه الشعري أن ينقل لنا صوت السيّدة زينب عليها السلام، وما كانت تفكّر فيه أثناء طريقها إلى الشام مسيبةً بعد استشهاد الحسين عليه السلام ومن معه، فيبين تحرق شوقها لإخوتها ولحياتها الماضية، فعبرت عن عواطفها المتأجّجة، كما حاول التعبير عن مكنون الوجد وال ألم الذي عاشته بعد فراقهم عبر البوح الذاتي، وكأنه أراد أن لا يسمع الأعداء صوتها، فانطلقت تُحاوّر ذاتها، وتُحاول تخفيف وجعها.

كما نجد الشاعر قد وظّف ألفاظاً جزلة في التعبير عن مدى وطول البعد والفراق الأبدي، ونجده أيضاً قد وظّف حروفاً ممدودة، يمتدّها النفس؛ ليعبر بها عبر صوت السيّدة زينب عليها السلام عن تألمه لفاجعة الحسين وأهله عليهم السلام، حتّى كأنّ الذات التي تسرد النصّ بمثابة القناع لذات الشاعر الذي حوّلها ضمائرياً إلى لسان السيّدة زينب عليها السلام. كما سيطر صوت الحزن على النصّ من بدايته حتّى نهايته، وهذا واضح وبيّن عبر توظيف الشاعر للأساليب البلاغية التي عبرت عن وجع السيّدة زينب عليها السلام، مثل أسلوب الاستفهام الذي وظّف لغير ما وُضع له في الحقيقة:

هل ينجلي ليل همّي عن صباحهم
وهل لهم غدوة عقبى رواحهم
وكيف والأرض فاضت من جراحهم
من مبلغ الملبسينا باتزراحهم^(٢)

فالاستفهام هنا خرج لغرض التوجّع والتحصّر والألم الذي حلّ بأهل البيت عليهم السلام، فالحزن على فراقهم أصبح ملازماً لمحبيهم، وسيكون هو السبب في فنائهم وموتهم:

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ٤٨.

وأظماًونا فعاد الدمع مشربنا وقد خلعنا رداء الصبر أعقبنا

ثوباً من الحزن لا يبلى ويبلينا^(١)

فتوب الحزن هنا لن يبلى، بل هو سيبلهم، وقول ابن زيدون:

بتتم وينا فما ابتلت جوانحنا^(٢)

جاء كناية عن شدة الشوق، وهو مجاز مرسل علاقته المحلّية، أراد الشاعر به القلب، وقد حاول السيّد الهندي - باستعمال مفردة (الظماً) - توظيف المعنى ذاته للتعبير عن شدة الوجد الذي يشعر به الإنسان عندما يفارق عزيزاً عليه، فكيف إذا كان هذا العزيز هو الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

أمّا في قوله:

وقد أفلتم وفيكم كربلا سعدت

حالت لفرقتكم أيامنا فعدت

سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

فيؤكّد الشاعر - في آخر بيت من القصيدة - الغرض الرئيس لها؛ إذ نجده يقدم صورة بيانية عبر المقابلة من خلال قوله:

سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

والطباق بين (سوداً وبيضاً)، يؤكّد تبدّل الحياة وتحوّنها إلى ظلام، فقد جلّ لها

السواد وعمّها الظلام بعد فاجعة الحسين عليه السلام.

التعالق النصّي في قصيدة: (على لسان زينب عليها السلام)

لا يمكن أن ينطلق الشاعر في أثناء عمله الإبداعي من العدم، وإنّما يكون متأثراً بها حوله أو بمرجعياته الثقافية، والتعالق النصّي، هو: دخول نصّ في علاقة مع نصّ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٩٩.

آخر أو نصوص أخرى، فالشاعر السيد رضا الهندي أنتج نصّه الشعري (على لسان زينب عليها السلام) متعلقاً مع نصّ الشاعر الأندلسي (ابن زيدون) في قصيدته (النونية) المشهورة التي مطلعها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا^(١)

تلك القصيدة التي كان يبكي فيها شوقاً إلى (ولادة بنت المستكفي)، حبيته التي حال بينه وبينها الوشاة، وقد وظّف الشاعر رضا الهندي أشطراً كاملة في قصيدته (على لسان زينب عليها السلام)، حتّى لم يخلُ أيّ محمس من بيت شعري كامل أو جزء من بيت شعري، متناسلاً مع قصيدة الشاعر (ابن زيدون)، وكأنّ الشاعر بتوظيفه لهذا النصّ، إنّما يصوّر شوق السيّدة زينب عليها السلام وحرزها بشوق ابن زيدون لمحبوته وحرزته على فراقها.

ولكن شتّان بين مصيبة آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وحرز ابن زيدون، والشاعر إنّما وظّف هذه الأبيات توظيفاً جمالياً، فجاءت معارضة الشاعر لنونية ابن زيدون جيّدة في مواضع، وضعيفة في مواضع أخرى. وقد يكون توظيف الشاعر لهذه القصيدة بالذات؛ لشيوعها ولشهرتها كقصيدة بكائية، فأراد الشاعر أن يُحاكي هذه القصيدة، كما يُحاكي الحزن ولوعة الحزن فيها.

وحاول أن يوظّف موضوع الفراق واستعانته بالتشكيل اللفظي؛ لأنّه وجد فيها ما يتناسب ويتطابق مع الشعور الوجداني، فرام الشاعر التعبير عن ذاته وذات كلّ إنسان يُعاني فراق الأحبة، فالشاعر استغلّ الطاقة الإيجابية الكامنة في هذه القصيدة كأسلوب من أساليب التعبير، ولأنّها تحتوي على خاصية جمالية، وقدرة فائقة على إثارة الأحاسيس ومشاعر المتلقّي.

(١) المصدر السابق.

إذا؛ فالتداخل الذي صنعه هذه القصيدة بينها وبين نونية ابن زيدون نجح في ردف بنائها جمالياً، خصوصاً مع ترداد أسطر تامّة من النونية فيها.

موسيقى الحزن

كُتبت قصيدة (على لسان زينب عليها السلام) بأسلوب الشعر الخمس، وهو شعر يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى خمسة أقسام، في كلّ منها خمسة أشطر، مع مراعاة نظام ما للقافية في هذه الأشطر، وهذا النوع من الشعر استحسنته الشعراء المحدثون، ونظم عليه شعراء، كحافظ إبراهيم، والرصافي، وقد مهّد هذا الشكل من البناء لنواة الموشحات التي ظهرت فيما بعد.

ونحن نقرأ قصيدة (على لسان زينب عليها السلام) نقف على ألفاظ الحزن والوجع، ونجد أنّه أضاف الألف المطلقة كشكل من أشكال الامتداد الصوتي للحزن والتأوّه، فكان حرف الروي المطلق الذي يكون مطلقاً، وكأنّ حزن السيّدة زينب عليها السلام حزن مطلق، وأينها على إخوتها لا حدود له، حتّى كأنّ آهاتها وتوجّعاتها مطلقة في الآفاق، بل وممتدّة على مدى الزمن.

كما تضمّنت القصيدة تكراراً كثيراً، أفادها موسيقياً وصورياً أيضاً، وقد توزّع التكرار على أبياتها كلّها، وقد تكون غاية الشاعر السيد رضا الهندي أن تنشّد قصيدته في الاحتفالات الدينية، وفي أيام شهر محرّم الحرام؛ إذ إنّ المدّة الزمنية التي عاشها الشاعر، كانت حافلة بالمنشدين في العزاء الحسيني، الذين كانوا ينشدون مرثي أعدت لهذا الغرض، وقد اعتمد المنشدون على أبيات الشعر الخمسة، إذ يقوم المرّدون بإعادة ترداد البيت الخامس، وهذا ما يؤكّد السبب في لجوء الشاعر السيّد رضا الهندي إلى أسلوب كتابة الأبيات الخمسة في هذه القصيدة.

ولو قمنا بإحصاء ألفاظ الحزن والوجع والتحرّس لوجدنا أنّها تمثّل الجزء الأكبر من الألفاظ، وهذا يؤكّد على بكائية النصّ، ويمكن ملاحظة أنّ صوت السيّدة

زينب عليها السلام جاء بأسلوب المتكلمين؛ للدلالة على جمع الموكب الذي اقتيد إلى الشام، فهي قد تحدّثت بلسان آل بيت النبي الأطهار عليهم السلام، فكانت تعبر عن لسان حالهم، ولم يجعل الشاعر ذاتها تنفرد بالحزن والوجع ولوعة فراق الأهل، إنّما كان هذا حال أهل بيت النبوة الذين عاشوا فاجعة كربلاء.

فوجع السيدة زينب عليها السلام وجع عام، وهو أيضاً وجع الشاعر؛ إذ إنّ في أسلوب كتابته لهذا النصّ جعل المتلقّي على تماسّ ومشاركة وجدانية مع السيدة زينب عليها السلام، حتّى كأنّ المتلقّي يشاطرها ألم التجربة، ولذلك تزيد قراءة النصّ من مشاركة الناس وجدانياً في هذه التجربة.

المصادر والمراجع

- ١ - ديوان ابن زيدون، ابن زيدون، أحمد بن عبد الله، شرح: د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- ٢ - ديوان السيد رضا الموسوي الهندي، إعداد: السيد موسى الموسوي، تحقيق: الدكتور السيد عبد الصاحب الموسوي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

خُلَاصَةُ الْمَقَالَاتِ

بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ

EDITORIAL

Editor-in-chief

Praise be to Allah, Lord of the Worlds. Peace and blessings upon the most beloved creation of God of the Worlds, the Trustworthy Messenger, the Prophet of Mercy, Muhammad al-Mustafa, and upon his auspicious and blessed family.

The Warith al-Anbiya Institute of Special Studies in the Uprising of Imam al-Husayn, has become among the most important specialized scientific projects regarding Imam al-Husayn (PBUH). The Institute, was established under direct supervision from the legal custodian of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, his eminence, the scholar, Shaykh Abdul Mahdi al-Karbalai (may he live long), the representative of the High Religious Referential Authorities. He was, and has always been very invested in this blessed project and aware of all of its scientific activities and projects in details.

The Secretary-General of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, his eminence, Sayyid Ja'afar al-Mousawi (may he live long), also shows engagement in the Institute, and is keen to have it continue its scientific contributions.

After this specialized theological institute, with its numerous branches, made considerable progress in its specialized scientific field regarding Imam al-Husayn's blessed uprising, it began to have a presence in the wider scientific fields in different western countries. Not to mention the Islamic and Arabic countries also. Thus, the reports of its projects, activities, and scientific and theological publications reached different fields, scientific and academic, where they moved into prominent scientific circles.

After the success granted from Allah and His divine support, and the fact that this work is related to the Master of the Martyrs and Free People of the World, Imam al-Husayn (PBUH) – not a narrow political



orientation or party – perhaps, the secret behind this undeniable developing, is that the Institute has taken upon itself to work toward creating a specialized scientific establishment. Knowledgeable in every field of the Husayni Uprising and its wide theological, historical, societal, and ethical dimensions, as a part of its project and scientific or specialized departments. Factors, which aided in the expansion of the Institute to different countries on a considerable scale.

Among the largest scientific projects which our Institute worked on – based on the guidance of his eminence, the legal custodian, to emphasize on women's conditions, and create departments for women, and encourage them to write – was the establishment of a department for women, to focus on the scientific and intellectual aspects related to women, and their role in the Event of al-Taff. This was a part of the large-scale project within the institute, in addition to other works, such as cooperation, public relation, and the appealing to female writers who actively contribute to educating the Muslim women to serve the community. Therefore, the Warith al-Anbiya Institute worked relentlessly with exceptional effort, and took upon itself the responsibility of establishing a scientific family, in different fields, with the specialized staff from the Department of Women as its core.

After the constant consultations with the scientific elite, the Women's Section began its specialized scientific work, while focusing on the scientific publications and research regarding the blessed Hussayni uprising, while stressing on the female aspect of it. The section corresponded with different scientific bodies, inside and outside of Iraq, to strengthen the departments and projects of the institute.

Among the strategic plans which made this section noticeably successful, is that the staff of the Institute is not limited to the employed staff, as it is common practice in institutes. Rather, the Institute worked to create a large family with members from outside the Institute, to work with the Warith al-Anbiya Institute as one beehive with the purpose of making the female related project succeed, and improve the educational status of women.



The Activities of the Women's Section

Among the subjects, which are worth mentioning and focusing on, concerning the Women's Section, is the activities and achievements of this section at a record time since its launch:

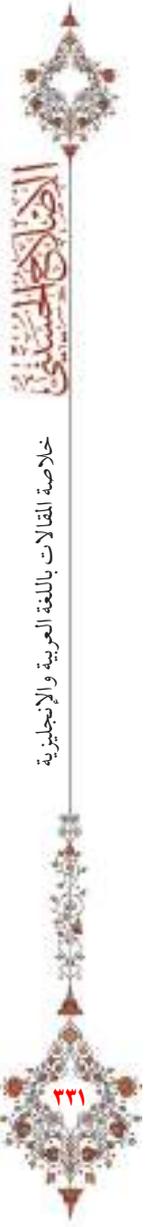
1. The preparation and holding of conferences and seminars, either with the participation of independent female writers, or in cooperation with contributing lecturers and researchers in their respective fields. Until now, we have had a variety of scientific activities, such as seminars, forums, or conferences, as The International Scientific Conference for Women concerning the women in Karbala, which contributed to different areas, such as the scientific, intellectual, and media area. Among the conference's most important contributions, is the present magazine in the hand of the dear reader. It contains proper scientific research serving society and upholding the scientific field.

2. Appealing to the proper scientific research and contributions written by female scientists about the women's role in Karbala or about more general topics, yet concerning Imam al-Husayn's uprising. These contributions will be published in their respective specialized fields and other encyclopedias, currently being worked on in the institute.

3. Proposing subject matters to be studied as academic thesis, including a detailed plan containing the demanded chapter subjects, and the general outline of the thesis, in order to be presented to the Department of Scientific Thesis at the Institute.

4. Searching for publications and contributions, regarding Imam al-Husayn (PBUH), written by women, in any language, in order to be translated by the Department of Translations in the Institute, or to whoever is found capable, among the sisters, to do so.

5. Being receptive and open towards the scientific capabilities in religious institutes for women, and the academic universities inside and outside of Iraq, in order to widen the scientific exchange. Also, to benefit from the Academic and Islamic Seminaries' expertise, to enrich the scientific field and promote Imam al-Husayn's uprising's ideology of the Muslim women.



The Conference for Women in Karbala

This blessed conference, was the result and the outcome of the aspirations and ambitions of the brothers administrating the Warith al-Anbiya Institute, when they decided that it was time to arrange the conference. Thus, they held several extensive meetings with the Women's Section at the institute, in order to reach a strategic plan, that would make a wonder out of the conference.

After the idea had been well addressed, and every corner of it covered, the decision was made, that the project would be worked on in cooperation with some scientific departments from The Holy Shrine of al-Abbas. The institute corresponded with the Holy Shrine, and discussed the possibility of establishing a female project that would open the doors for women to enter the world of writers. In order for them to contribute with their true potential, in work that would answer the raising obscurities and critical questions about women in the past and the present. While simultaneously, presenting a sample of their role in serving science and the intellect. The addressed departments were optimistic about this initiative, and we witnessed their reply that was thoughtful and full of eager towards making such projects succeed. Henceforth, we began to decide the scientific, preparatory, and technical aspect of the conference.

The Board of Directors of the Warith al-Anbiya Institute and the brothers responsible for the conference, laid strong emphasis on the necessity of having an extraordinary scientific female presence from the universities and the Islamic seminaries and the scientific institutes. In addition to the presence of the female associations at the holy shrines, with the hope of having this conference contribute to its part, and meet the expectations of the organizers and responsible people.

Therefore, scientific preparatory workshop, which aids in making this blessed scientific project succeed, was held, in order to benefit from the valuable suggestions and constructive opinions from the esteemed sisters, within and outside the institute.

The preparatory work for this conference thrived greatly, and this



resulted in an unseen and unprecedented appealing effect, which attracted the female researchers and writers, who write about the specialized scientific perspective in the Husayni uprising, and in particular, the female perspective. We have received nearly 100 research and reports, and many of these solid and beneficial contributions were accepted. Some of these mentioned contributions have been published in this issue of Al-Islah Al-Husayni Magazine. We have chosen to print them and publish them for the general good, under the title " Women and Karbala... A Literary Approach".

The Outcomes of The Conference

The attention to the intellectual and scientific contributions of women, and the improving of the educational status of women, regarding Imam al-Husayn (PBUH), in addition to the noticed attention by the legal custodian of the Holy Shrine of Imam al-Husayn (may he live long), in order to make this project succeed, was and still is, among the most important interests of our dear scholars, from the past and from the present. Accordingly, when we presented this project to our dear mentors, we witnessed how they emphasized this project while they simultaneously assured that the project would be successful and beneficial to the scientific field.

After we had initiated the project, we sensed the foretold results which exceeded the expectations and assumptions we had. To keep this editorial short, we will mention some of the outcomes.

1. Learning about the scientific and intellectual female contributions, and their regarding of the Husayni Uprising and the women's role within.
2. Discovering promising female writers, unknown to us previously: We had received some promising research, written by the esteemed sisters, which the Conference's Scientific Board was content with.
3. Upholding our scientific projects inside the Institute with a new type of contributions, which differs from the previous contributions, both in subject and in writing style, as the subject of this conference were related to Karbala and because its contributions were written, solely, by



women. These contributions have provided the Institute with scientific projects, such as; conferences, the project of the Al-Islah Al-Husayni Magazine, and other such projects, which made use of the same female writers which we learned about through this exceptional activity.

4. Proving that the Muslim woman is prepared and capable of establishing widespread and large scientific, intellectual, and cultural activities and projects. While simultaneously proving, that her adherence to her religious duties and obligations is not hindering her from conducting her reformative and intellectual role in society.

In reality, these important results and outcomes have been sought, and called for, by our previous scholars. They considered them to be among the important future expectations, which those in charge must conduct and achieve. Ayatollah Shaykh Muhammad Mahdi Shams al-Deen (may he rest in peace) says in his book, *Waqe'at Karbala fi al-Wejdan al-Sha'abi*, "(...) regarding this understanding, we focus on the following things (...) that the women's role in Karbala must be presented in a better fashion than the current one (...) we acknowledge that the subject of women in Karbala is in need of wide historical research, which has not been done yet, and which encompasses all the reports regarding this subject, and regarding other subjects related to the Husayni commemoration ceremonies. This is a research field, which was expected to be covered centuries ago by an institute that is 1300 years old. And if this field was not covered in the past, then it must be covered now, by reaseachers engaged in the affairs of the Husayni commemoration ceremonies...."⁽¹⁾.

We do not seek to address the important indications which this text contains, and which the Warith al-Anbiya Institute sought to accomplish a large part of, in this conference. Rather, we only mentioned the text as a sample of the calls by our prominent scholars, which sought for such important projects. It, simultaneously, depicted their interests and great emphasis on portraying the active role of the woman in Karbala.

(1) Shams al-Deen, Muhammad Mahdi, "Waqe'at Karbala fi al-Wejdan al-Sha'abi", p. 433.



Appreciation

In the end, I would like to pay our gratitude to the following entities:

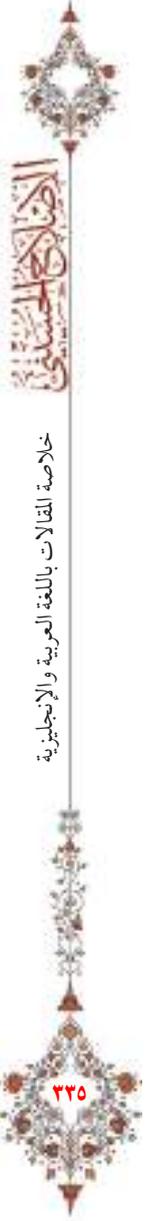
1. The Legal Custodian of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, his eminence, Shaykh Abdul Mahdi al-Karbalai (may he live long). This appreciation and gratitude, are due to his fatherly caring and his continuing support of all of our projects. Especially, his support and caring related to this conference through all of its phases. Especially, his blessed initiative, with a scientific evening gathering before the conference, where he appreciated the ongoing efforts. He also appraised, what the Institute and its female staff had done in the conference. He also mentioned the contributions made by female researchers from different Arabic and Islamic countries. We are still benefiting from his blessed speech, and we have published it at the beginning of this number of the magazine, hoping that others will benefit from its important and valuable notes.

2. The Secretariat-General of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, for their support and supervision of all of our projects, especially, the International Scientific Conference for Women

3. All of the departments of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, who only treated us with the utmost respect, and who were very helpful from the very beginning. Especially, the Department of Intellectual Affairs, the PR Department, the Department of Female Relations, the Technical Departments, the Department of Protocols, Karbala Satellite TV, and the radio channel of the Holy Shrine of Imam al-Husayn and other departments which eased the hardships for us, and prepared anything we needed, in order to make this conference succeed. I would also like to send a message of gratitude to the brothers responsible of the Sayyidul Awsiya Hall, the Khatamool Anbiya Hall, and the Complex of Sayyidul Shuhada, and the Visitor's City (the Complex of Sayyidul Awsiya) for their exceptional hosting of the pre-conference evening, which was held at their blessed facility.

4. The dear sisters who participated in the conference, for their engagement from the beginning of the conference till its end.

5. Our sisters, the researchers, for their valuable efforts which



contributed to portraying the scientific and intellectual aspects of women in the past and the present. This makes us proud, and makes us appreciate our educational status and our women's raising capabilities.

6. The Holy Shrine of al-Abbas. Beginning with their legal custodian, his eminence, Sayyed Ahmad al-Safi (may he live long), and the Secretary General of the Holy Shrine of al-Abbas. Including all of the departments, and I would especially mention the Department of Intellectual and Cultural Affairs, and more precisely the Women's Library, for their exceptional efforts and caring of this blessed conference.

7. The Holy Shrine of Imam Ali, especially its female sections for their blessed efforts, devotion, and sincerity in serving the Master of Martyrs (PBUH) and in support of all of our scientific activities, especially the Scientific Conference.

8. In the end, I would like to express my endless gratitude and appreciation to the women's section of the Warith al-Anbiya Institute, for the exceptional efforts made by the sisters to make this conference succeed. Truth be told, the secret of this blessed conference's success is due to the effort and sacrifice which were made by the sisters in the Warith al-Anbiya Institue. In addition to their needed patience and tolerance when arranging large activities like this rare international conference.

Finally, I ask Allah the Exalted, to make this work beneficial in its field, so that we become among those who contributed to something of use, in the intellectual Husayni field.

The last of our prayers is; praised be Allah the Lord of the worlds, and may He send His blessings upon Muhammad and his pure Household.



The Speech of the Legal Custodian of the Holy Shrine of Imam al-Husayn⁽¹⁾

His Eminence, Shaykh Abdul Mahdi al-Karbalaie

I seek refuge in Allah from the accursed Satan. In the name of Allah the most Beneficent, the most Merciful. Peace and blessings upon our prophet, Abi al-Qasem Muhammad and his pure and immaculate Household. Peace be upon al-Husayn and upon Ali, son of al-Husayn, and upon the children of al-Husayn, and the companions of al-Husayn.

Dear Brothers. Dear holders of scientific esteem. Dear sisters, researchers, and lecturers... Peace and blessings and the mercy of Allah the Exalted, upon you all.

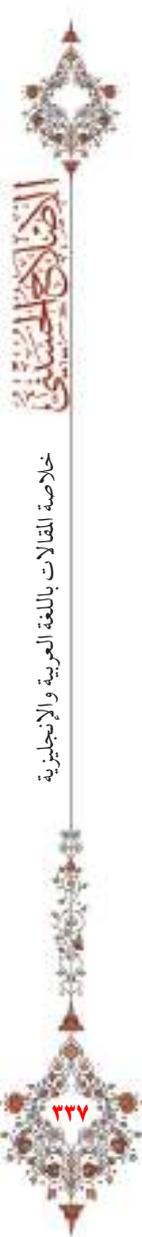
Gratitude and Appreciation

In the beginning, I would like to congratulate you on the occasion of the instatement of Imam al-Mahdi (may Allah hasten his reappearance) and his receiving of the Imamate's preparatory duties. I would also like to offer extended gratitude, thanks, and appreciation to the dear brothers and sisters in the Warith al-Anbiya Institute. I would also like to offer gratitude and appreciation to the sisters in the women's library at the Holy Shrine of al-Abbas. In addition to special gratitude and appreciation to the sisters, the researchers, who added to the excellence of the conference with their valuable research.

In reality, when I saw some of the research titles, I became sure of, and hopeful toward the continuance of the Zaynabi⁽²⁾ path regarding

(1) This speech was delivered at the pre-conference evening which were held before the International Scientific Conference for Women, at the 28th 29th of November 2017, in participation with the women's library, The Intellectual and Cultural Department, the Holy Shrine of Imam al-Husayn.

(2) [Translator's note: Lady Zaynab's path. Will be used in this text as 'related to Lady Zaynab', and/or 'Zaynab-like'.].



preserving Islam, and preserving the values of the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH). This conference, and this international participation from many of the female researchers who looked up to Lady Zaynab, makes us proud since it supports the education of woman with their enrichment in accordance to the Zaynabi school. Especially since the sisters have written about different subjects, some concerning the present and the past, and some concerning the hardships the Zaynabi women face, and some concerning the contemporary time's need.

Women's Role in Changing the Intellectual Contributions Into a Practical Reality

The papers of the sisters at the Conference for Women contained intellectual enrichment. This enrichment expresses the intellectual depth, and the precise analysis and rich conclusions which the researchers from different fields, and with different specialties, reached. The desired goal and the benefit from these research will be achieved if the theory is transformed into practice. At the moment, we are in need of continuing the path of these knowledgeable research who are benefiting the school of thoughts of Zaynab by having women stepping forward, especially in the high seasons where millions of pilgrims attend. A participation, we have not seen the like of in the past.

Based on the experience that we have had in the last years with administrating the Holy Shrines, proselytizing, and other tasks, I suggest that the sisters – especially when considering the available chances in the fields that I will mention later – pay great attention to the proselytizing aspect in their work. Especially the academic sisters and the sisters from the Islamic Seminary Schools. We need such intellectual contributions by having women participating in the community through:

1. Benefiting from the gathering of millions in the Arbaeen pilgrimage, and the Pilgrimage of the 15th of Sha'aban, for at no other place in the world does such large gatherings exists.

2. Coordinating with the concerned personnel at the Holy Shrines and those in charge of the Husayni caravans⁽¹⁾, in order to improve the

(1) [Caravans which commemorate Imam al-Husayn (PBUH), and provide food and shelter for the pilgrims.].



cultural and intellectual level, and the practical implementation, even within the families.

My sisters, in the last years when these numbers of pilgrims began to grow day after day, there was a presence of the dear brothers and students from the Islamic Scientific Seminary courses, in the Arbaeen season. There were a noticeable attendance and presence of proselytizing campaigns in the form of stations, from different cultural Islamic theological jurisprudential and ethical fields. This is an opportunity only made possible by such an event, and such presence is not possible in other months of the year.

We expect from the dear sisters to also invest their enriching knowledge in the practical field, especially when we have a blessed group of sisters who have made a detailed and deep analysis of the Uprising of al-Husayn and the path of Zaynab (PBUT).

The Contributing Presence at the Women's activities

If we only count those who participated in the Arbaeen pilgrimage, the numbers that have been mentioned for this year are around 13 to 14 million [pilgrims]. And you will notice that there are 5 to 6 million women – who look up to Zaynab – participating in this season, if we assume that they only pose half of the participants. We know that this number is unreachable at other months of the year. Therefore, we have an opportunity to conduct religious awakening proselytizing, whose methods are various. Such as:

1. By meeting with people in person.
2. Through culturing and approaching the female community in any field needed by women.
3. By answering the jurisprudential questions related to women.
4. By educating women on problem-solving and dealing with hardships faced by Zaynabi women.

The proselytizing to women is not limited to the Arbaeen pilgrimage only. We have other gatherings of women too, for instance, the congregational prayers which exemplify the characteristics of the followers of the Household (PBUT), by portraying their relationship



with prayers and their adherence to pray at the time. At the Arbaeen pilgrimage, congregational prayers are being held at the three main entrances to Karbala (Najaf, Babylon, and Baghdad), which can be well-used to serve the jurisprudential proselytizing to women.

The role of the cultured woman and the enlightened researcher is not limited to this. Their role is so wide, that it demands that the dear sisters, the researchers, enter the community and have an aware presence through the following;

Firstly: Opening up to the society of the employed women, the university lecturers, the engineers and physicians, the teachers and pupils, the students and stay-at-home mothers. Especially, when considering that some of the sisters do not possess the intellectual and cultural know-how that would prepare them for the hardships of life, and that they lack the knowledge that the researchers possess. This requires greater efforts when proselytizing and propagating the Zaynabi message to the entire female society.

Secondly: Presenting role models that embody the Zaynabi role in the battle against unrighteousness. We must focus on this point and focus on its importance, for when we read about female role models at the Battle of al-Taff, we assume that the existence of these personalities was limited to the time around the year of 61 HE, as these Role models represented the noblest values, and they reached the peak in the embodiment of them. We also assume, that we lack such role models in the female community at other times. However, brothers and sisters, we have discovered a sufficient amount of such role models who re-embodied the roles from the Battle of al-Taff.

I, therefore, wish that the sisters read the stories of the mothers and the wives of the martyrs of the current battle, the battle which we are engaged in with the gangs of Daesh. This battle completely revived the scenarios of the Event of al-Taff. Perhaps when we witness the nature of the intellectual battle of it, and the nature of the principles that are witnessed at the two fighting camps; we will notice that it is a recalling of what happened at the Event of al-Taff. Moreover, the conduct of women witnessed at that battle, are now being witnessed in this battle. Perhaps,



some people do not know about the stories that have been written about the families of the martyrs. If you were to read about them, you would find the same mother who urged and encouraged her son to fight. Also, you will find a mother, who did not care when all four of her sons were martyred, or when she urged her fifth son to fight, and we witness, that he also answers the call of the fight. Or that patient wife who urged her husband to fight, and then takes upon her the responsibility of a mother and a father, and other responsibilities after her loss of her husband.

Those previous examples, that we read about in the Event of al-Taff, are being repeated today in our fight against Daesh. Our responsibility is to present a woman who embodied those principles in our current time. When we recall one of the women from al-Taff we might become emotional, however, when we recall the women from our current time; the mothers, the wives, and the sisters of the martyrs, we will certainly be more moved due to two factors:

Firstly: The following and imitation of the women from the Event of al-Taff have transformed from being a theoretical following and imitation, into a practical following. And that is something rare, yet the families of our martyrs have made this possible in the best way.

Secondly: Presenting a contemporary example of a woman sacrificing, fighting, and defending the inviolability of the religion, for women to follow as a sample in the future.

It is no secret, that we stand in respect and gratitude, when we witness the mother who has offered four of her sons as martyrs at the Battle of al-Taff, being present among us in our battle against the gangs of Daesh. We have seen many mothers offering four or three of their sons as martyrs. And despite the pain and the tragedy, we find them at the highest level of patience, motivation, and preparation to offer the fourth or fifth martyr as well.

We must present these role models to the world, so that they become immortalized, just as the Zaynabi women in the past were immortalized. Especially, when our battle with the gangs of Daesh has created many women, who are being counted as the best sample and the embodiment of a Zaynabi woman, as the women who encourage their husbands to



Jihad, and then their patience in their absence, or when they encourage their sons to fight.

Dear sisters, notice that these women, were simple people, with a simple cultural background, and a simple social status. However, they embodied a great sample, and therefore we need to introduce them to the people today.

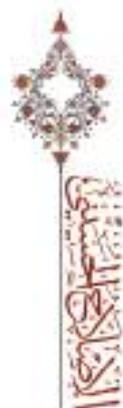
Thirdly: Opening up to the other sects, and that is something that we witness at the Arbaeen Pilgrimage with its millions of participants and also at other pilgrimages. The battle that we have experienced, and the conditions that Iraq went through these past years, where the country almost went into a sectarian war, forces us to work toward propagating the culture of social coexisting, following the principles of the School of the Household (PBUT). This requires the women who follow the Sect of the Household, to open up to the women who follow other sects, especially in Iraq and the Islamic world. In addition, to opening up to the followers of the other religions in the rest of the world, especially, in the European and Eastern societies, to present the principles of the Husayni Revolution to the world.

In reality, we have not witnessed a time, in which the world has been so aware of the Husayni Revolution, such as this time. And that is due to many reasons, which I hope you will pay attention to:

1. The cultural, valuable, political, and educational status, which the followers of the Household (PBUT) hold in the world of human values and in the field of spreading these values to the entire world.
2. The resilient and strong embodiment of these values in our time, and at important places around the world, especially, in our area which had an important role in propagating these principles and making them international.

Therefore, we need liberation and openness from the intellectual narrow-mindedness, in order to present these values to the women of the Eastern and Western world. We will mention an example of this from the Arbaeen Pilgrimage:

Sisters, when we see that many men from around the world come to Iraq and witness values and principles that they are in need of, and which



they did not find in the West nor East. Nor in the cultural and intellectual world. Nor practiced in real life, then that [need], will at least become a triggering factor that will attract these people towards these principles and values. This attraction, will strengthen the position and status of the followers of the Household (PBUT) in the international community, and it will empower them. Thus, there are many benefits gained and achieved from being open and practically embody the principles and values of the Husayni Uprising.

When the western women become affiliated with many of the principles and values that she was short of, and then finds them here, embodied in the women in the Arbaeen Pilgrimage then she will be attracted to these principles.

Fourthly: Identifying the most effective tool and meeting its requirement. We must study the case, of the great and wide acceptance toward the collective Jihadi Fatwa in Iraq, and the secret behind this acceptance. In four years of battle with many martyrs and injured – mostly from the lower-income classes, and many from very poor families – we have witnessed firmness and patience being practiced through all these years. Years, which were preceded by explosions, which lead to many martyrs, injured, widows and fatherless children. Yet still, we witness resilience, firmness and patience toward tolerating the results of this battle.

Among the important reasons and factors which led to these results and this wide acceptance, is the role of the Husayni dais, due to its great effect on people. Therefore we must strengthen the pillars of the Zaynabi dais, for just as there exist men with a wide cultural knowledge about the Husayni case, who have great capabilities of addressing the society in general, we are also in need of female Zaynabi proselytizers and speakers who have the capability of addressing woman from the dais.

My sisters, there is an important point which we must pay attention to, and that is that sometimes, the proselytizer preaches about principles and values; however, he does not use the Husayni dais. And sometimes a preacher sits on the Husayni dais, and that fact alone has a great effect on people, due to the dais' relation to Imam al-Husayn (PBUH).



When we have a Fatimi⁽¹⁾ dais and a Zaynabi dais, then that person who preaches becomes affiliated with Fatima al-Zahraa (PBUH), and having the dais affiliated to Fatima and Zaynab (PBUT) is a factor that makes it effective among people. Therefore, we need the effect of the Zaynabi proselytizers and preachers who possess the required, culture, values, and presentation abilities that meet the needs of the female society. That is why, the development and preparation of that dais, with many Zaynabi preachers and proselytizers, has become important. With preachers and proselytizers who possess the culture, knowledge, and capability to influence the female society and address it.

Fifthly: Spreading cultural and religious awareness to the women, and spreading awareness to the women in the religious, educational, and proselytizing fields. The academic aspect of the academic sciences is being emphasized. Therefore, there must also exist equivalent emphasizing on the importance of the religion and the Islamic Seminaries. This should be done by having a proper amount of women, directing their attention to these sciences. For just as families wish that their daughters become physicians and pharmacists, we must also direct our [and their] attention toward the needs of the female society, and present female preachers, proselytizers, researchers, and professors in the jurisprudential, theological, and ethical fields, in order for that segment of women to lead the society.

We need to direct our attention toward these sciences, which rely upon a group of values, such as the social status and position of the female preachers, and we must hold the Zaynabi female proselytizers and preachers in high esteem, respect and admire them in the society. Exactly, as we hold the physician and engineer in high esteem. This attitude does encourage and inspire women to pay attention to this field and move toward understanding the secret of the Zaynabi media.

Dear sisters, sometimes we notice that a simple sermon, keeps influencing the societies for thousands of years, just like the sermon of Lady Fatima al-Zahraa (PBUH), and the sermon of Lady Zaynab

(1) [Related to Lady Fatima (PBUH)]



(PBUH). Therefore, it is upon us to understand the secret behind this immortalization of Zaynabi media, which has stretched for centuries and still influence people to this day.

We suggest, that the brothers and sisters, establish an academia for proselytizing for women, named “The Academy of Zaynabi Media”, dedicated to understand how to address women, inside or outside of Iraq, from other societies, and how to utilize the Zaynabi preaches, in order for us, to have the media capabilities to address the female society. This requires some sort of specialized study in the Zaynabi media.

We expect - by the will of Allah - that such academies will be established, and we also hope that the sisters will contribute in other countries as well, such as Pakistan, Turkey, and European and Asian countries. For we have a will, to open our door to the whole world. By the grace of Allah, at our present time, we have participants from Islamic countries, such as Iran, Lebanon, and Bahrain and other countries. However, we do hope that there will be more openness toward other Islamic countries, and western and eastern countries as well, in order to introduce the Husayni uprising, and simultaneously embody this revolution to these worlds.

May Allah reward you for this conference, and our thanks and appreciation to all the brothers and sisters, which contributed to this conference for women, which makes our religion proud. It brings us contentment, to witness such an activity, which we hope becomes wider and larger in the years to come, by the will of Allah, the Exalted. Our thanks and appreciation to everybody, and we ask Allah that He accepts this effort, and makes us succeed. Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace be upon Muhammad and his immaculate and pure Household.



العقيلة الهاشمية سيّدة البلاغة الإقناعية

أ.د. عهود عبد الواحد العكيلي

تناول المقال صنوف البلاغة الإقناعية للعقيلة زينب عليها السلام، مما جاء على لسانها إبداعاً مُرتجلاً في أعظم مواقف الألم التي تُخرس غيرها من البلغاء. فلقد خاطبت عليها السلام الناس على مقدار عقولهم، ومبلغ قدراتهم، فأوصلت ما تتبغيه إليهم من خلال وسائل بلاغية إقناعية استمدت من الإبداع البلاغي، وذلك من خلال توظيف الوسائل المفضية إلى ذلك، مشفوعة بالحجّة والدليل العقلي والنقلي، فكشفت النقاب عن تضليل الأعداء، والتعظيم الإعلامي الذي أحاطوا به عقول من حولهم.

وقد جاء البحث بعد المقدمة بتمهيد وثلاثة فصول، تبعتها خاتمة تضمّنت أهمّ نتائجه.

أمّا التمهيد فهو تحت عنوان: (السيدة زينب عليها السلام الشخصية المُقنّعة)، تناولت فيه مقوّمات هذه الشخصية ووعيتها لعظيم رسالتها، ممّا أفضى إلى الحديث عن سمات الإقناع في شخصية العقيلة، فإنّ للسيدة العقيلة عليها السلام شخصية فريدة تميّزت عليها السلام بسمات عديدة، أدرجتها الكاتبة ضمن عدّة نقاط.

أمّا فصول البحث فهي كالآتي:

الفصل الأوّل: (وسائل الإقناع البديعية)، بيّنت فيه أثر فنون السياق الواردة في مآثور السيدة عليها السلام في إثراء دلالاته، وتتمثّل هذه الوسائل بانتقاء الألفاظ، وبيان أثر أصواتها، وأثر استعمالها في أماكنها، بحيث تُثري دلالة سياقاتها بهذا الانتقاء.

الفصل الثاني: (وسائل الإقناع التركيبية)، مُبيّنة فيه أثر البناء التركيبي لمآثور

السيدة عليها السلام في إثراء دلالاته، كأساليب الطلب المتعدّدة، واستعمال أنواع الأخبار،
والجمل الحالية.

الفصل الثالث: (وسائل الإقناع البيانية)، مبيّنة أثر فنون التصوير الواردة في
مأثور السيدة في إثراء دلالاته، وتقصد بذلك الوسائل التي كان التصوير فيها أداة
لإقناع السامعين.

The Hashimite Dame - The Lady of Persuading Eloquence

Dr. Uhood Abdel Wahed al-Ageyli

The article addresses the different classes of persuading eloquence of Lady Zaynab (PBUH), which she delivered with complete improvisation and innovation, at the harshest scenes of suffering. Scenes that would have silenced the greatest of rhetoricians.

She (PBUH) addressed people understandably and simply, and she delivered her desired message by the persuading eloquence's tools, accompanied and aided by intellectual and textual proofs. Thus, she uncovered the deception of the enemies and the media silence which those close to the enemy suffered from.

The article consists of a prelude, an introduction, and three chapters, followed by an ending with the most important conclusions reached.

The prelude was titled 'Lady Zaynab (PBUH) - The Convincing Personality', and addresses the constituents of her personality and her great awareness of her message. After that follows a presentation of the characteristics of her persuading personality, as the Lady possesses a unique personality with a great number of characteristics.

The Chapters of the research are as follows;

Chapter One: The Innovative Persuading Tools; This chapter consists of the art of the red line of the persuading, and its influence in deducting. Also, the selection of the specific term, the effect of the sound, the effect of the place of the speech. All these tools and factors had an enriching influence on the red line of the speech.

Chapter Two: The Structuring Persuading Tools; In this chapter, the writer elucidates the effect of the sentence structure of Lady Zaynab's speeches in her persuading. Such as the use of participle clauses.

Chapter Three: The Elucidating Persuading Tools; In this chapter, the writer elucidates the effect of the art of depicting in the speeches in her persuading. She concludes that depicting itself, was a tool for persuading the listeners.



قبس من القرآن الكريم ونهج البلاغة في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد

د. زهور كاظم زعيميان

تعرّضت الكاتبة في هذا المقال إلى الخطبة التي ألقتها السيِّدة زينب الكبرى عليها السلام في مجلس طاغية الشام يزيد بن معاوية، وقد جعلت البحث في مقدّمة وعرض وخاتمة. فتكلّمت في المقدّمة عن ضرورة الوقوف على الخطبة والتعرّف عليها؛ لما فيها من مضامين وأحداث ومصطلحات.

ثمّ عرضت الخطبة بتامها، وتدرّجت بذكر الألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم ونهج البلاغة، وبدأت بذكر المعاني اللُّغوية، وذكر الآيات القرآنية المقتبس منها كلّ لفظ، وقرنته بذكر مقاطع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، فذكرت جملة من المصطلحات منها: (متسقة، مساق، هوان، أقطار، آفاق، الطلقاء، عطفك، شنآن، أضغان، خصيم، ظهيراً، مغرمأ، فند، جمعك، خطرك، مناقل، مناهل، تتحلّب، فراعل)، وتعرّضت أثناء شرحها لبعض المفردات إلى ذكر بعض الحوادث التاريخية. كما ختمت مقالها بقولها: إنَّ مَنْ يوالي آل البيت عليهم السلام لا بدّ له من التعرّف على سيرتهم ومتابعة أقوالهم، وتوصّلت إلى أنّ قوّة السيِّدة زينب عليها السلام وبلاغتها وفصاحتها، إنّما كانت ممّا نهلته من أبيها عليه السلام سيّد البلغاء والمتكلّمين، وفي الوقت نفسه فهي الحافظة للقرآن والناطقة والعاملة به، فجاءت خطبتها مقتبسة من صميم القرآن الكريم وجوهر بلاغته.

A Beacon from the Holy Quran and Nahj al-Balagha in the Speech of Lady Zaynab (PBUH)

Dr. Zuhoor Kadhem Zaimiyan

The writer addresses the speech delivered by Lady Zaynab at the assembly of the Levant's tyrant, Yazid Bin Muawiya. Her research consists of an introduction, analysis, and a conclusion. In the introduction, she mentions the necessity of studying the speech due to what it contains of meanings, events, and terms.

She then presents the whole speech and begins with the presentation of the terms taken from the Holy Quran, and Nahj al-Balagha, where she begins with the linguistic meanings, and every Quranic verse from which the term was taken. After that, she compares the speech with some excerpts from the speeches of the Commander of the Faithful (PBUH) in Nahj al-Balagha and the historical events related to them.

She ends her article with the conclusion; Those who pledge allegiance to the Household (PBUT) must study their life and follow their sayings. She also concludes that the strength and eloquence of Lady Zaynab (PBUH) were inherited from her father, the Master of Rhetoricians and Speakers (PBUH). At the same time, she was the memorizer of the Quran and the one who propagated and acted in accordance with it. Thus, her speech was a beacon from the Holy Quran and its eloquence.



المرأة .. الحضور والتفاعل في ديوان الشاعر حيدر الحلي

دراسة أسلوبية في تحليل الخطاب الشعري

أ. م. د. أزهار علي ياسين

يمثل البحث دراسة أسلوبية تخصصية في شعر السيد حيدر الحلي، وقد وقع اختيار الكاتبة على هذا الشاعر الكبير لما تميّز به من إبداع شعري أسلوبى وتصويرى متجلاً في كلّ مناحي شعره، ولدواعٍ بحثية وأكاديمية، وكثافة المادة الشعرية وغزارتها في ديوان الشاعر.

اقتصرت الدراسة على حضور المرأة الحسينية أو المرأة الزينية في رثاء أهل البيت عليه السلام، وقد اعتمدت هيكليّة البحث على تحليل ثلاث تقنيات شعرية برزت في شعر الشاعر، هي: التقنية الأسلوبية، والتقنية البنائية، والتقنية السردية الوصفية. وقد تركّزت في مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: اختصّ بدراسة الأنساق الأسلوبية التي تمثّلت بالفردة اللغوية، التي ارتكزت في شعر الشاعر على ثلاثة مبادئ: مبدأ الاختيار والانتقاء، ومبدأ الإيحائية، ومبدأ الاتساق السياقي.

المبحث الثاني: درست فيه الابتداء الأسلوبى التركيبى، وشمل التحوّل الأسلوبى التركيبى، والسلوك الوظيفى لأسلوب الاستفهام، والتوجّهات الوظيفية والدلالية لأسلوب التعجّب، وأسلوب التكرار، بوصفه منبهاً وظيفياً وأسلوبياً.

المبحث الثالث: تبلور حول صورة المرأة الزينية عند الشاعر الحلي، وتحليل وظائفها لشخصية المرأة الزينية، ونزعة الصورة التشخيصية.

وقد امتازت الدراسة بكثافة التطبيقات، ودقّتها، وعمق التحليل، والطابع

التخصصي الملحوظ في الدراسات البلاغية والألسنية.
وفي خاتمة الدراسة، أشارت الكاتبة إلى عدد من الرغائب تمكّنت من تحقيقها إثر
تحليلها لقصائد الشاعر أسلوبياً ووظائفياً.

The Woman.. The Presence and the Interaction in the Anthology of the Poet Haidar al-Helli

A Methodological Analytical Study of the Poetic Speeches

Dr. Azhaar Ali Yaseen

The research is a methodological study in the poems of Sayyid Haidar al-Helli. The writer chose this great poet, due to his unique poems with innovative depictions in every corner of his poems. Also, due to academic reasons and the number of works contributed by this great poet to the world.

The study was limited to the women's presence, especially, the Zaynabi women's presence in the eulogy of the Household (PBUT). The study addresses three poetic methods in the poet's poems, each one presented, and its implementation analyzed, in their respective chapter. Hence, making the research consist of three main chapters.

The research is unique in its practical approach, details, depth of study, and visible specialization of eloquent and linguistic studies.

At the conclusion, the writer mentions some of the objectives achieved from conducting this study.

قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام

أ. د. ابتسام السيّد عبد الكريم المدني

يتحدّث المقال عن الاقتباسات القرآنية التي وظّفها أهل البيت عليهم السلام في خطبهم وكلماتهم، ويعتمد على فكرة مفادها أنّ المتلقّي أو المخاطب يجب عليه ألا يتوقّف عند خصوص ذلك النصّ المقتبس، وإنّما لا بدّ له أن ينظر إلى كلّ السياق القرآني الذي ورد فيه ذلك النصّ، ويطبّقه على مصاديقه المناسبة. سعت الباحثة إلى تطبيق هذه الفكرة على خطاب السيدة زينب عليها السلام في الكوفة، مبتدئة بمقدمة وضّحت فيها قدرة السيدة زينب عليها السلام البلاغية المتجلّية في خطاباتها.

ثمّ بيّنت الكاتبة تحت عنوان: (فرضية مشروع البحث) بأنّها بصدد تطبيق فكرة البحث على كلمات السيدة زينب عليها السلام، فقامت بتقسيم بحثها إلى ثلاث فقرات رئيسية، تطرّقت في الفقرة الأولى منها إلى نظرة حول فنون البلاغة العربية، سلّطت الضوء فيها على بيان المعنى الاصطلاحي للاقتباس والتعريض، وكذلك فنون البلاغة في كلام أهل البيت عليهم السلام، ممهّدة الطريق إلى الفقرتين الثانية والثالثة اللتين تناولت فيهما البحث الأساس في هذه الدراسة، حيث تناولت في الفقرة الثانية وبطريقة غير قصدية اقتباساً مرتبطاً بسورة النحل، وفي الفقرة الثالثة اقتباساً آخر من الخطبة نفسها مرتبطاً بسورة المائدة، وفي كلا الاقتباسين تطرّقت الباحثة إلى بيان المراد من الاقتباس والآيات التالية له أو السابقة عليه، التي عبّرت عنها بالنصوص النازلة أو الصاعدة، وذلك بالاعتماد على أقوال المفسّرين في المقام، ثمّ قامت بتطبيق تلك المعاني على الناس المخاطبين الذين صدر منهم ذلك الفعل الشنيع المتمثّل بقتل الحسين عليه السلام.

A Beacon From the Quranic Extensions in the Speeches of Lady Zaynab

Dr. Ibtisam Sayyid Abdul Karim al-Madani

The article addresses the Quranic excerpts which were used by the Household (PBUT) in their speeches. The article supports the idea of having the audience and addressee look beyond the excerpted text. Rather, they must go back to the original text and consider the whole Quranic context of that specific text and apply it to the proper situation.

The researcher sought to apply this idea to the speech of Lady Zaynab (PBUH) in Kufa. She begins with an introduction in which she elucidates the eloquent ability of Lady Zaynab (PBUH) in her speeches. She thus divides her research into three parts.

In the first part, she addresses the art of Arabic eloquence, and the same art in the speeches of the Household (PBUT), to pave the way for the next two parts, which contains the main subject in this study. The second part, mentions an excerpt from Sura al-Nahl from the Holy Quran, and in part three an excerpt from Sura al-Maida.

In both excerpts, the writer presents the meaning of the excerpts and its context by referring to the interpreters' exegesis.

Thus, she applies these meanings mentioned in the excerpts on the people who conducted those horrible crimes against Imam al-Husayn (PBUH).

السيدة زينب عليها السلام في شعر السيد رضا الهندي

م. د. إسراء محمد رضا العكراوي

ابتدأت الكاتبة مقالها بمقدمة ذكرت فيها أنّ السيدة زينب عليها السلام لم تكن شخصية عابرة في واقعة الطف، بل كانت شريكة الإمام الحسين عليه السلام في النهضة؛ لذلك احتلت عليها السلام مكانة عالية في تاريخ الطف والأدب الحسيني عامة، والشعر بصورة خاصة.

وقد اختارت الكاتبة ديوان الشاعر السيد رضا الموسوي الهندي الذي رثى الإمام الحسين عليه السلام بعدة قصائد ما زالت تُداول على السنة محبّي الإمام الحسين عليه السلام وأرباب المنابر، وقد وجدت أنّ السيد الهندي اهتمّ بإبراز دور السيدة زينب عليها السلام في القصيدة الحسينية، بل احتوى ديوانه قصيدةً كاملةً على لسانها.

ونظراً للمواقف التي جاء فيها ذكر السيدة زينب عليها السلام، فقد قسّمت المقال إلى ثلاثة مباحث، تطرقت فيها إلى السيدة زينب عليها السلام ومأساة السبي، ووداعها للحسين عليه السلام، وكونها قد مثلت اللسان الناطق عن كربلاء.

علماً بأنّ الشاعر لم يُحدّد في شعره أبياتاً خاصّة لهذه العناوين والأغراض، بل جاءت هذه الأغراض ممتزجة متلاحقة في شعره وبين ثنايا قصائده، وقد ارتأت الكاتبة التقسيم المذكور لتُشخّص بدقّة هذه الأدوار التي ركّز عليها الشاعر.

وقد استعانت الكاتبة في هذا المقال بمجموعة من المصادر، أهمّها ديوان الشاعر السيد رضا الهندي، وبعض الكتب التاريخية والأدبية التي تناولت سيرة السيدة زينب عليها السلام.

وقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج أوردتها في خاتمة البحث، مع مجموعة من التوصيات.

Lady Zaynab in the Poems of Sayyid Ridha al-Hindi

Dr. Israa Muhammad Redha al-Akrawi

The researcher begins her article with an introduction in which she mentions that Lady Zaynab (PBUH) was not a common person in the Event of al-Taff. Rather, she was the partner of Imam al-Husayn (PBUH) in the uprising. Therefore, she held a great position in the history of al-Taff, the literature, and the poems especially.

The writer chose the anthology of Sayyid Ridha al-Mousawi al-Hindi, which had eulogized Imam al-Husayn with several poets, still recited by the lovers of Imam al-Husayn (PBUH) on the dais and at the commemoration ceremonies.

The writer concludes that Sayyid Ridha al-Hindi sought to present and propagate the role of Lady Zaynab (PBUH) in the Husayni poems. His anthology even contains a whole poem written about Lady Zaynab (PBUH).

She divides her article into three parts based on Lady Zaynab's stances, in which she addresses Lady Zaynab and the calamities of the captivity, her farewell to her brother, and her role as the spokesperson of Karbala.

The writer relied upon several sources in her research, both historical and literary books related to Lady Zaynab (PBUH).



أساليب الإقناع في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام في الشام

دراسة تداولية

أ. م. د. سناء هادي عباس

بدأت الكاتبة مقالها بمقدمة تناولت (التداولية) كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، تدرس كل شيء إنساني في العملية التواصلية، منطلقة من هدف أساسي، وهو: استثمار الممكن والمتاح من الآليات؛ لتوصيل رسالة لغوية معيَّنة.

وقد أشارت الباحثة إلى أنّ السيِّدة زينب عليها السلام تعتمد في خطابها على الحجاج اللُّغوي بوصفه ظاهرة لغوية، نجدها في كتابات (ديكرو) الذي يعوّل على وجودها في كل قول وخطاب.

وقد حققت خطبة السيِّدة زينب عليها السلام في الشام قيمةً اجتماعية وثورية كبيرة، فكانت خطاباً حوارياً طرفاه (مرسل ومتلق)، مع وجود مقصدية التأثير والإقناع، وقد تألفت صياغتها في حركة متناسقة، لتكتمل الصورة الإقناعية المؤثرة.

ثم تناولت الكاتبة أساليب الإقناع؛ لما حظيت به الخطبة من أبعاد تداولية ووظائفية مهمّة؛ لقدرتها على الاستمالة والتأثير والإقناع، ويُعدّ الحجاج رافداً من روافد البحث التداولي، فنصّ الخطبة المباركة نصّ حجاجي؛ لكونه يطرح تراكيب وملفوظات لها الأثر الدلالي.

ومن أمثلة ذلك (الاستهلال)، فالخطبة الزينية تُقبَل على المُتلقي بموضوع إثبات الحقّ، وحججها هي آيات الله تعالى، و(العرض) الذي يُعدّ جزءاً منتصفاً بين المقدمة في الخطبة وخاتمتها، فهناك وحدة موضوعية ونفسية تتناسب مع أجزاء الموضوع الواحد، ثم (الاختتام)، وهو يعلق غالباً في الذهن، ويوحى بالنهاية.

وقد عُني البحث بدراسة المحاور الأساسية في الخطبة، وهي: الأفعال الكلامية، والملفوظ والعامل، والصورة الحجاجية، والاستلزام الحوارية.

The Persuading Tools in the Speech of Lady Zaynab in the Levant A Deliberative Study

Dr. Sana Hadi Abbas

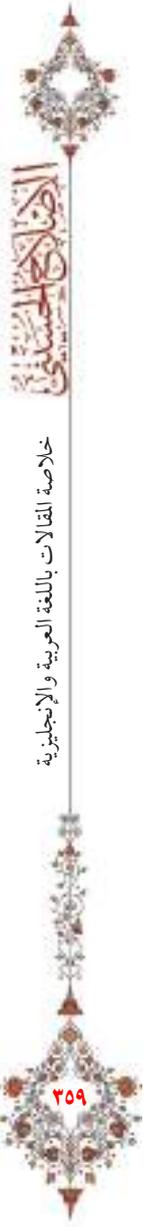
The writer begins her article with an introduction in which she addresses the phenomenon of deliberation, as a rhetorical, interactive, and social phenomenon.

After that, the writer addresses the use of the available and possible tools at the hands of any speaker to deliver a linguistic specific message.

The writer mentions that Lady Zaynab's (PBUH) speech in the Levant achieved great social and revolutionary values. Her speech was a debate - with two sides, the speaker and the addressees - in which she sought to persuade and convince the listeners.

Thereafter, she addresses the tools of persuading that was used in the speeches of Lady Zaynab (PBUH), especially, since her speeches seek to elucidate the righteousness, while using the verses of the Holy Quran as proof, keeping a red line through her speeches, and being relevant with her deduction. All factors which aid in the listener's reception of the message.

The writer then analysis the speech of Lady Zaynab (PBUH), and present some linguistic terms and articulate how they were used in her speech.



وظيفة المثل القرآني في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة

دراسة تحليلية

م. د. نور مهدي الساعدي

يسعى المقال إلى بيان مساحة النصّ القرآني في خطبة السيِّدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة، وكيفية توظيفها للمثل القرآني بما يتناسب والجو العام التي أُلقيت فيه الخطبة، وذلك في ثلاثة مباحث:

تطرّقت الكاتبة في المبحث الأوّل إلى معنى المثل القرآني، وخصائصه، ومفهوم الخطبة لغةً واصطلاحاً، ومواصفات الخطبة المؤثّرة.

ثمّ تناولت في المبحث الثاني صور الاقتباس القرآني في الخطبة، وأنّه يكون - تارةً - بتضمين الخطبة مفهوم الآية مع شيء من الزيادة، أو التقديم والتأخير في النصّ القرآني، وأخرى بتضمينها آية كاملة من غير زيادة أو نقصان، وثالثة بتضمينها مفردة أو حادثة قرآنية، ثمّ ذكرت نماذج تطبيقية من الخطبة لتلك الصور. وفي المبحث الثالث تطرّقت إلى وظيفة المثل القرآني في الخطبة، مشيرةً إلى أنّ السيِّدة زينب عليها السلام تناولت وظيفتي التقرّيع والاحتجاج في خطبتها، وأنّ تقرّيعها لأهل الكوفة لم يكن لمجرد التوبيخ والتحقير، وإنّما لإرجاعهم إلى رشدهم الذي فقدوه، كما أنّها عليها السلام أثبتت بذلك ثلاثة أهداف:

- ١- هدف عقدي، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام إمام مفترض الطاعة.
- ٢- هدف أخلاقي، وأنّ نقض العهود والمواثيق أمر يستقبّحه العقل.
- ٣- هدف فقهي، وأنّ أهل الكوفة قد نكثوا أيّمانهم التي قطعوها مع الإمام الحسين عليه السلام.

وفي الختام، ذكرت أهمّ النتائج التي توصلت إليها في المقال.

The Role of the Quranic Example in the Speech of Lady Zaynab (PBUH) to the Kufans

An Analytical Study

Dr. Noor Mahdi al-Saidi

The writer seeks to articulate the Quranic verses in the speeches of Lady Zaynab (PBUH) in Kufa, and how she made use of the Quranic example, in her speech, such that it became comparable to the conditions of that current society.

She divides her research into three parts. In the first part, she addresses the Quranic example and its characteristics, and the linguistic and terminological meaning of a speech, and finally the trait of the influencing speech.

In the next part, she addresses the use of the Quranic verses in her speech and each verse's specific traits. After that, she mentions some practical samples to some of the verses.

In the third and last part of the article, she addresses the role of the Quranic example, in the speech, and she mentions that Lady Zaynab's rhetoric aimed to wake them from their sleep, and persuade them to come to their senses. Here she achieved three goals; A theological goal: Imam al-Husayn (PBUH) is an Imam that must be obeyed. An ethical goal: That the brake of vows and deals is disgraceful and something rejected by the logic. A jurisprudential goal; The Kufans had broken their vows pledged to Imam al-Husayn (PBUH).

بلاغة المرأة في تصوير القضية الحسينية ونشرها للأجيال

السيدة زينب عليها السلام أنموذجاً

م. د. زهرة حميد عودة

يمثل المقال وقفة بلاغية مختصرة، تناولت فيها الكاتبة ظاهرتين بلاغيتين في خطبة السيدة زينب عليها السلام في الشام، ابتدأته بمقدمة تعرّضت فيها لضعف المرأة تكويناً إزاء المصاعب، مشيرة في المقابل إلى أنّ المواقف البطولية ليست غريبة على ابنة فاطمة عليها السلام التي تحمّلت الكثير من المصائب.

ويتوزع التحليل على محورين، أولهما: الاستفهام الإنكاري، وثانيهما: التقابل. فالاستفهام بمعناه الحقيقي هو طلب الفهم، أما إذا خرج عن حقيقته فهو الاستفهام البلاغي، ومنه الاستفهام الذي يؤدّي معنى النفي، ويُسمّى استفهام الإنكار، وهو أبلغ من النفي، على الرغم من أنّهما يعبران عن النفي. عمدت السيدة زينب عليها السلام إلى محاصرة يزيد بجملته من الأسئلة الإنكارية؛ كي تضعه في وضع المُلزَم بالإجابة، فإن أجاب بالإثبات فإنّه سيضع نفسه في موقف حرج، وإن سكت فقد اعترف بجريمته.

أمّا التأويل التقابلي فهو استراتيجية قرائية لصناعة المعنى، تقوم على أساس التقريب بين العناصر والمستويات ذهنياً، وعلى الجهد الذهني المستقصي للمعاني والعلاقات الممكنة بين العناصر والمستويات المكوّنة للخطاب.

وتتمثل العلاقة التقابلية في هذا النصّ في جانبين، أولهما: الجانب الضعيف، وهو (مَنْ بَوَّأَكَ وَمَكَتَكَ مِنْ رِقَابِ الْمُؤْمِنِينَ)، والجانب الثاني يتمثل بالحكم: اللهُ جَزِيلٌ، والخصم: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد تمكّنت العقيلة عليها السلام بكلماتها أن تُسكت يزيد، وهو الحاكم المتجبر، وأن تزيل
الغشاوة عن عينيه؛ ليرى بوضوح آية جريمة ارتكب، وتُبرهن للناس أنّ من يتوقّع
كونه قوياً ما هو إلا ضعيف ذليل.

The Eloquence of Women in Depicting and Propagating the Husayni Case to the Generations

Lady Zaynab (PBUH) as a Sample

Dr. Zahra Hamid Awda

The article represents a short, eloquent sample in which the writer addresses two rhetorical phenomena in her speech at the Levant. She begins the article with an introduction in which she mentions the calamities of women, and that the heroic stance is not strange to the daughter of Lady Fatima (PBUT). The mother and the lady who withstood many great tragedies.

The study is divided into two parts, each part dealing with a rhetorical term and the use of it in the speeches of Lady Zaynab. The writer presents, that Lady Zaynab deliberately sought to corner Yazid Bin Muawiya with some rhetorical questions that he would be forced to answer. If he were to answer with affirmation, he would embarrass himself, and if he were to be silent, it would mean his acceptance of his doings.

The Dame of Hashim was able to silence Yazid, the tyrant. She succeeded in removing the scarf from his eyes, in order for him to witness, with his bare eyes, what kind of crime he had committed. Simultaneously, she also succeeded to depict him as a weak and meek person in front of the people.



أثر القرآن الكريم في خطب السيدة زينب عليها السلام

م. م. إيناس محمد العبادي

يهدف المقال إلى بيان حجم الاقتباسات القرآنية وأثرها في خطب السيدة زينب عليها السلام، ودقتها في اختيار الآيات والتراكيب والألفاظ القرآنية، وتوظيفها في خطبها خير توظيف؛ لإيضاح الفكرة، وإفحام العدو. بدايةً ذكرت الكاتبة تعريف الخطابة، وأنواعها، ثم بينت مفهوم التناص، ومنشأه، وأوردت بعض النصوص في ذلك.

بعد ذلك تطرقت إلى خطب السيدة زينب عليها السلام، وما تميّزت به من كثرة الاقتباسات القرآنية ودقتها؛ الأمر الذي يدلّ على فهمها العميق للنصّ القرآني، وسلوكها - في ذلك - نهج أبيها أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ قسّمت اقتباساتها القرآنية إلى قسمين:

الأول: الاقتباس المباشر، وهو: اقتباس آية كاملة أو عدّة آيات من القرآن الكريم. الثاني: الاقتباس غير المباشر، وهو: انتقاء بعض التراكيب والألفاظ القرآنية، وتضمينها الخطبة.

كما قامت الكاتبة بتوضيح كلّ قسم من خلال تطبيق بعض المقاطع من الخطب الزينية عليه؛ لتبيّن بذلك دقّة اختيارها وتوظيفها عليها السلام للنصّ القرآني في الخطبة بما ينسجم والهدف المراد إيصاله للمتلقّي، وأنّ ذلك يكشف عن قدرتها البلاغية الواسعة التي تزخر بالفنون البيانية، كالتشبيه والاستعارة والكناية، كما يوضّح مدى اطلاع السيدة زينب عليها السلام على القرآن الكريم، وأنّ النصّ القرآني كان جزءاً من مخزونها الذهني.

ثمّ ختمت المقال بجملته من النقاط، أو جزت فيها أهمّ النتائج التي توصلت إليها.

The Holy Quran in the Speeches of Lady Zaynab (PBUH)

Inas Muhammad al-Abadi

The article seeks to depict the size of the Quranic excerpts, their effect in the speeches of Lady Zaynab (PBUH). In addition to the detail and scrutiny when choosing these verses and terms, and the use of them, perfectly, to articulate the idea and silence the enemy.

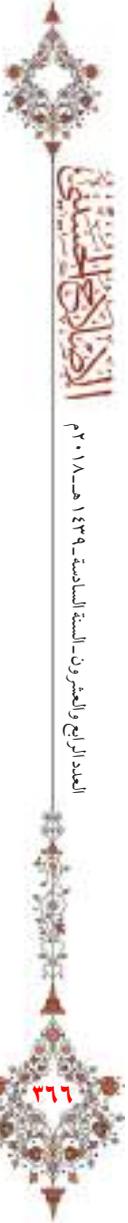
In the beginning, the writer presents the definition of rhetoric and its different types which she supports with some texts. After that, she addresses the speeches of Lady Zaynab, and how they differ from other speeches due to the unique excerpts from the Holy Quran, which indicate her deep understanding of the Quranic text and her following of her father, Imam Ali's (PBUH) method in speech.

The writer then divides the Quranic excerpts into two types:

The Direct Excerpt: To excerpt a whole Quranic verse or several verses.

The Non-Directive Excerpt: To chose some terms from the Quran and use them in a speech.

The writer explains each of the types with some example, to articulate the detail and scrutiny of Lady Zaynab's chose of the verses and term, and the use of them in her speeches. This choice and usage were in alignment with her desired goal. This elucidates her eloquence, and that the Quranic texts was a part of her knowledge bank.



الخطاب التوجيهي في خطبتي السيدة زينب عليها السلام في الكوفة والشام

أ. م. د. آلاء محمد

يتحدّث المقال عن الوظيفة التوجيهية التي قامت بها السيدة زينب عليها السلام في خطبتها في الكوفة والشام، والتي استطاعت من خلالها جعل لغة هاتين الخطبتين فعّالة في التأثير على المخاطبين وإقناعهم.

بدأت الباحثة مقالها بمقدمة سلّطت فيها الضوء على الأسباب التي جعلت السيدة زينب عليها السلام بليغة الكلام، قويّة الحجّة، فصيحة اللسان، عميقة التأثير، وغيرها من الصفات. ثمّ تطرّقت - بعد ذلك - إلى الحديث عن الدور الإعلامي الذي مارسته الحوراء زينب عليها السلام بعد معركة الطفّ، وبيّنت بأنّ التاريخ قد حمل لنا صوت هذه السيدة بدءاً بساحة المعركة، ومن ثمّ في مجلس ابن زياد في الكوفة، وصولاً إلى مجلس يزيد في الشام، وبيّنت أيضاً بأنّ بلاغة هذه السيدة كان لها الدور الأكبر في استئثار قواميس اللّغة التي تولّدت منها لغة خطبها؛ ممّا ولّد عند الكاتبة إصراراً على البحث عن مدى قدرتها عليها السلام في عملية التواصل بين الأوساط المتلقّية، وذلك من خلال تحليل خطبتيها في الكوفة والشام.

ثمّ انتقلت الكاتبة إلى صُلب موضوعها مبتدئة ببيان مفهوم الخطاب، الذي اختلف فيه الباحثون بسبب اختلاف النظرة والتوجّه لكلّ واحد منهم، ومنتية إلى أنّ هناك عدّة عوامل تُسهّم في بلورة توصيل الخطاب: كالمرسل، والمرسل إليه، والعناصر المشتركة المتمثلة بالعلاقة بين طرفي الخطاب، وغير ذلك. ثمّ انتقلت إلى الحديث عن الخطاب التوجيهي الذي يُمارس فيه المتكلّم فضولاً خطابياً على المستمع من خلال توجيهه لمصلحته ونفعه، مع بيانها لمقومات عملية التوجيه

في هكذا نوع من الخطاب، التي منها سلطة المرسل، السلطة التي كانت تمتلكها
السيدة زينب عليها السلام في جميع خطاباتنا.

ثم قامت الكاتبة - بعد ذلك - بتبيين جملة الوسائل اللغوية التي وفرتها اللغة
بغية تحقّق الخطاب التوجيهي من قبل المتحدث، هذه الوسائل التي استثمرتها
السيدة زينب عليها السلام - بحكم بلاغتها - في مقام توجيه المجتمع لما فيه صلاحه ونفعه.

The Directive Speech in the Two Speeches of Lady Zaynab (PBUH) at Kufa and the Levant

Dr. Alaa Muhammad

The article addresses the directive role conducting by Lady Zaynab (PBUH) in Kufa and the Levant, which enabled her to make these two speeches effective toward the addressee and also convince them.

She begins her article with an introduction in which she focuses on the reasons which made Lady Zaynab (PBUH) eloquent and strong in her deduction and other such linguistic characters.

Thereafter, she addresses the informational role conducting by Lady Zaynab (PBUH) after the Event of al-Taff, and she articulates that the history carries the call of this great Lady from the very beginning of the battle, and then at the assembly of Ibn Ziyad in Kufa, all the way to the assembly of Yazid Bin Muawiya in the Levant.

The writer insists in her article to study Lady Zaynab's ability in interacting among the involved recipients, by analyzing her two speeches in the Levant and Kufa. After that, she addresses the main subject of her study, where she elucidates the meaning of a speech, which the researchers disagree about due to their different views and orientation.

The writer then mentions the directive speech where the speaker involves him- or herself with the addressee and then presents suitable guidance and directives.

Thereafter the writer elucidates different linguistic tools provided by the language, in order to become a directive speech by the speaker. These tools used by Lady Zaynab (PBUH) – are due to her eloquence – a guide and directive to society.

صورة نساء الطف في أشعار الشيخ أحمد الوائلي

أ. م. د. فاطمة أكبري زاده

يسعى المقال إلى إبراز صورة نساء حادثة الطف، وملامح شجاعتهنّ وكفاحهنّ، عبر أشعار الشيخ الوائلي؛ ليستخرج السّمات الهامّة التي ركّز عليها الشاعر، وأسلوبه في الشعر، والتقنيات التي استفاد منها.

بدايةً أشارت الكاتبة إلى أنّ من بين عمالقة الأدب هو الخطيب والشاعر الكبير الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمته الله، وهو أمير المنبر الحسيني، وقد اهتمّ بحادثة الطفّ من خلال أشعاره، ورسم التصاوير المؤثّرة من حركة النساء - ولا سيّما السيّدّة زينب عليها السلام - في مسير النهضة الحسينية.

كما أشارت إلى أنّ الشاعر قد تناول الأدب - بنوعيه: النثر والشعر - تعبيراً عن التجارب الشعورية بصورة موحية ومؤثّرة؛ إذ يعبّر عن الأحداث والحقائق بعبارات تُثير العواطف وتحركّ الهمم، ومن الحوادث التاريخية والإنسانية المهمّة، هي حادثة الطف التي حُلد فيها صوت الحقّ بالتضحية والكفاح والمقاومة، وأنها لا تزال موضع اهتمام الأدباء والشعراء، وهم يصوّرون أسرارها؛ ليُلهموا الأُمّة روح الجهاد في مواجهة الظلم والطغيان.

وكذلك أوضحت - من خلال ذكر أبياتٍ من أشعاره رحمته الله - أنّه كتبها بأسلوب تقليدي يراعي العمود الشعري، ويستخدم الصور البيانية من التشبيه والاستعارة، وبأسلوب سهل مُرسل، فينشد قضية الصبر والصمود والكفاح بالمنطق، ويسرد أحوال النساء وما جرى عليهنّ؛ ليؤاكبها المتلقّي، فتُثير فيه عاطفة الحزن والحماسة معاً.

The Depiction of the Women of al-Taff in the Poems of Shaykh Ahmad al-Waeili

Dr. Fatima Akbarizadeh

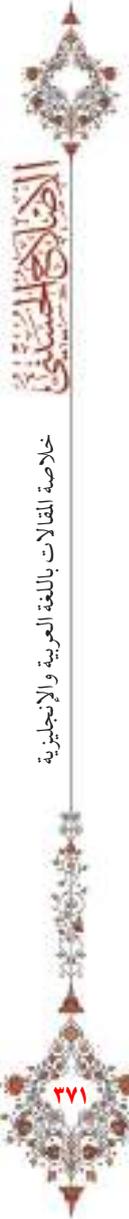
The article seeks to portray the women of the Event al-Taff, their bravery, their stance, and their resistance, through the poems of Shaykh al-Waeili. In order to extract the important traits that the poet focused on, and extract his method in the poem, and his techniques.

In the beginning, the writer mentions that among the great literary personalities are the prominent speaker, the poet, Dr. Shakh Ahmad al-Waili. The Prince of the Husayni Dais, who devoted much of his life to the Event of al-Taff, through, e.g., his poems. He depicted emotional portrayals of the movement of the women, especially, that of Lady Zaynab (PBUH) in the caravan of Imam al-Husayn (PBUH).

The writer also mentions that the poet made use of different types of poems, due to the different impacts each different type has, where the poet articulates the events and the conditions in an emotional way that evokes the hearts.

The poet wrote greatly about one of the great humanitarian events in history, the Event of al-Taff. At this incident, the sound of righteousness was immortalized through sacrifice and resistance, and the incident is still of great importance to the poets and artists, in order to evoke the emotion of Jihad against the oppression and tyranny.

She also articulates and mentions some excerpts from his poems, in order to depict that the poet wrote his poem in accordance with the rules of Arabic poems.



قصيدة (على لسان السيِّدة زينب عليها السلام) للشاعر السيِّد رضا الموسوي الهندي

قراءة نصِّية

أ. م. د. بشرى ياسين

بدايةً أشارت الكاتبة إلى دقَّة الشاعر في اختيار العنوان، وعرض مأساة أهل البيت عليهم السلام، من خلال توظيف ضمير المتكلِّم على لسان السيِّدة زينب عليها السلام. ثمَّ ذكرت أنَّ الشاعر استهلَّ قصيدته بأبيات وصف بها حال السبايا ومسيرتهم الشاقَّة، وقارن بين الماضي الذي كان يجمعهم، والحاضر الذي فرَّقهم؛ ليعبِّر بذلك - عبر صوت السيِّدة زينب عليها السلام - عن ألمه وتفجَّعه بالمصيبة.

كما تطرقت الباحثة إلى الأساليب البلاغية التي وظَّفتها الشاعر للتعبير عن ألم السيِّدة عليها السلام، كأسلوب الاستفهام المجازي الذي جاء به كناية عن شدَّة الشوق، وأسلوب المقابلة والطباق بين السواد والبياض؛ ليُدلِّل به على تحوُّل الحياة إلى ظلام بعد فاجعة الحسين عليه السلام.

بعد ذلك تناولت مفهوم التعالق النصِّي، وأوضحت أنَّ الشاعر قد أنتج قصيدته متعالقاً مع القصيدة (النونية) لابن زيدون؛ وذلك لمحاكاة الحزن فيها. وتحت عنوان: (موسيقى الحزن)، أشارت الكاتبة إلى أنَّ القصيدة كُتبت بأسلوب الشعر الخمس، وأنَّه نوع استحسَّنه وكتب به كثير من الشعراء، كما أشارت إلى أنَّ كثرة التكرار في القصيدة أفادها موسيقياً وصورياً.

وفي الختام، احتملت أن تكون غاية الشاعر من كتابة القصيدة، هي أن تُنشد في الاحتفالات الدينية، وفي أيَّام شهر محرَّم الحرام.

The Eulogy ‘Ala Lisan al-Sayyida Zaynab (PBUH)’ by the Poet, Sayyid Redha al-Mousawi al-Hindi

A Textual Perusal

Dr. Bushra Yaseen

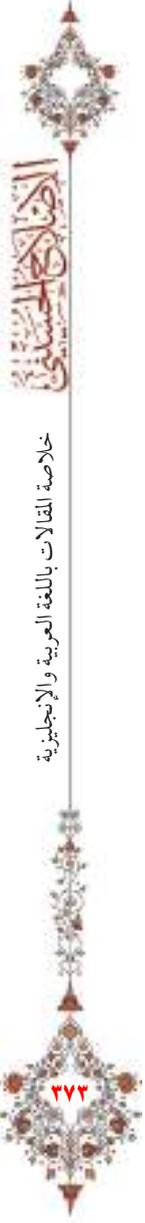
At the beginning, the writer addresses the scrutiny and detail of the poet, when choosing the title of the poem, and when he depicted the calamities of the Household (PBUH), by making use of rhetorical tools.

After that, she mentions that the poet began his poem with some verses in which he describes the conditions of the captives and their harsh journey. He compared between the past, where they were gathered, and the present, in which they are divided, in order to express – written as if Lady Zaynab were speaking – her pain and agony toward the tragedy.

The writer also addresses the tools of eloquence that the poet made use of, to depict the pain of Lady Zaynab (PBUH), in order to paint a picture of their world becoming dark and gloomy after the tragedy of Imam al-Husayn (PBUH).

Under the title of ‘The Music of Sorrow’, the writer mentions that the poem, was written in a way preferred by many poets, and she also mentions that the great number of repetitions in the poem, aided in the musical and imaginative portrayal of the poet.

In the end, the writer suggests that the objective of the poet was to have his poem recited in the commemoration ceremonies in the holy month of Muharram.





لَمَّا خَرَجْتَ لَطَبْتَ الْأَضْلَاحَ فِي بَيْتِ سَجْدَةٍ

الْأَضْلَاحُ الْحَسَنِيَّةُ

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الْحَسَنِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ